جـامعـة الجـزائـــر
مـعهـد عـلـم الاجتمـاع

الاستقرار الطوعي للبدو الرحل في المناطق الحضريـة وأثره على تغـيـير نمط حياتهــم

دراســة ســوسيــوا انثــروبولوجيــة بمنطقــة قصــر البخــارى

مذكــرة لنيــل دبلــوم الماجستيــر

اعـــداد : رابــح درواش
اشــراف : الاســتــاذ / كمــال علــى مزيغــى

الســنــة الجـامعيــة 1990 – 1991

مقدمة

يعتبر موضوع البداوة من المواضيع الهامة التي استقطبت اهتمام العديد من الباحثين والدارسين (1) كما كان محور نقاش العديد من الملتقيات (2) في فترات تاريخية متباينة .

و اهم الدراسات في هذا المجال على سبيل المثال لا لحصر تلك التي قام بها ابن خلدون و التي تعتبر من اقدم الدراسات العلمية القائمة على اسس منهجية خلال القرن الخامس عشر هذه الدراسات مكنته من استنتاج تفسير عقلاني لنشوء الحضارات وارتقائها ثم افولها ، مستندا في ذلك على ما لاحظه من خصائص البداوة في المجتمع العربي .

الا ان دائرة الاهتمام بظاهرة البداوة قد اتسعت لتشمل دوائر وجهات عديدة من اوربا ، رغم ان هذه الظاهرة محصورة في المجال فهي على الخصوص من مميزات بعض القبائل العربية الامر الذى يجعلنا نتسائل عن خلفيات هذا الاهتمام ثمة هناك مؤشرات اخرى على الاقل تعطي تفسيرا لهذا التساءل ذلك ان تشخيص انتماءات ووظائف بعض الباحثين الاوروبيين يكشف لنا حقيقتهم فاغلبيتهم اما ذوى مناصب عسكرية او جواسيس عملاء لجهات استعمارية تستهدف معرفة طبيعية هذه المجتمعات قصد التحكم فيها ، خاصة اذا علمنا مثلا ان السكان البدو كانوا يشكلون ثلثي سكان الجزائر (3) مع بداية احتلال الفرنسي للجزائر بالاضافة الى وجود تكامل بين الاقتصاد الرعوى و الاقتصاد الزراعي نتيجة استغلال البدو اثناء انتقالهم الى الشمال في فصل الصيف للاراضي غير الزراعية او تلك التي تم حصادها فتكون مصدر رزق كما يزودون المناطق التي يحلون بها باليد العاملة الموسمية و السلع و المنتجات البدوية ، هذه الاهمية دفعت الاستعمار الى تجنيد العديد من الانثروبولوجيين و الضباط العسكريين لدراسة عاداتهم وتقاليدهم فاتخذت اجراءات لتشديد الخناق على حرية الرعي ، وتفكيك البينة الاجتماعية و الاقتصادية للبدو من خلال قانون سيناتوس كونسيلت .

---

1 ـ من بين المهتمين بالبداوة في المجتمع العربي : محي الدين صابر ، محمد عوض احمد ابو زيد و من الجزائر : محمد السويدى ، محمد بوخبزة .

2 ـ بعض الملتقيات : ـ الملتقى الدولي الخاص بلبدو الرعوية الذى انعقد بباريس في ديسمبر 1976 ـ الملتقى الدولي حول الرعي الذى انعقد بالجزائر سنة 1974.

3) BOUKHOBZA M'hamed : "L'Agropastoralisme traditionnel en Algérie" Office de publication universitaires ALGER. 1982. P 15

أهميـــة البـــداوة تـاريخيـــا واجتمـاعيـا :

كمـــا يعـود مصـدر اهتمـام البـاحثـين مـن ناحيـة آخـرى لسببين آولاهمـا تـاريخي يتمثـل فـي الادوار الـتي لعبهـا البـدو ضمـن السـيرورة التـاريخيـة سوى تعلـق ذلـك بمجـال اوسـع يتمثـل فـي الانسـانية جمعـاء ، حيث يـذكـر ارنولـد توينبي فـي كتـابـه تـاريخ البشريـة ما يلـي : ((و قـد صنـع البـدو الرعـاه التـاريخ منـذ القـرن 12 ق م حـتى زمـن لا يـزال الكثـير مـن الاحيـاء يذكرونـه .))آوتعلـق الامـر بنطـاق محـدود كـالمغـرب العـربي بمـا فيهـا الجزائـر فقـد جـاء في كلمـة افتتـاح مؤتمـر بوسعـادة حـول البـداوة بتـاريخ 25 آوكتـوبـر 1983 جـاء على لسـان وزير الثقـافـة الجزائريـة مـا يلـي : ((وصنهـاجة الصحـراء قـد خرجوا من فيـافي موريط نيـا ، وهـم اهـل ابل و من كبـار الرحـال ينتقلـون على مسـافات الاف الكلومترات وانشؤوا في جيل واحـد حـاضرة مـراكش ودولـة المرابطين وجيش الجهـاد ضد الافـرنج ثم ساهمـوا في اثـراء الحضـارة الاندلسيـــة .

و ثـانيهمـا : يتمثـل في استمـراريـة الظاهرة في الوجـود وتـأثـيرهـا بـالكل الاجتمـاعي الـذى يشهـد تغيرات سريعـة سرعـان ما تنعكس على بنيـاته فينتج عن ذلك مشـاكل قـد تعرقـل الحيـاة الاجتمـاعية فجأة وبقوة اثنـاء الانتقـال من طور البـداوة الريفيـة الى الطـور الحضـرى .

لكن هـذا الانتقـال كمـا سبق وان ذكرنـا لا يتم بصورة طبيعية دون ان يفـرز اعـراض سلبيـة

ازمـة البـــداوة وانعكـاساتهـا :

فـي الاونـة الاخيرة ظهرت اطروحـات عديدة تؤكد الازمـة التي تمر بها ظاهرة البداوة (3) هـذه الازمـة لا تقتصـر عواقبهـا فقط على اختفـاء البـداوة وانعكاسات ذلك على المجـال الصحـراوى ، الذى كان موردا اقتصادى مستمرا يساهم في تكامل الاقتصاد الوطني و ايضـا كمجال يمكن ان يخفف من حدة الكثافـة السكنية المتمركزة في المدن الكبرى و تحقيق التـوازن الجهـوى بوجود هؤلاء البدو في المنـاطق السهبية و الصحراوية ولكن الامر يتعدى هذا حيث ان اثرها قد يصيب ايضا المناطق الحضرية بسبب استقـرار هؤلاء البـدو و ما ينجـم عنـه من تصـادم القيم التي يحملها البدوى بمـا هو موجـود في البيئة الحضـريـــة .

1 ـ ارنولد توينبي ((تاريخ البشرية)) الجزء الاول ترجمة نقولا زيادة . الاهليـــة للنشـر والتوزيع بيروت لبنـان 1985 ص 127.

2 ـ عبد المجيد مزيان ((محاور للدراسات الاجتماعية عن ظاهرة التبدى)) (19 ـ 26) مجلة الثقافة عدد 78 ـ 1983 الجزائر ص 20.

3) BOUKHOBZA M'hamed : "L'Agropastoralisme en Algérie" OP Cité P 121.

مما آدى الى بروز عدة ظواهر زادت من حدة المشاكل التي تعاني منها المدن الجزائرية كبروز الاحياء القصديرية والحرف الهامشية غير المنتجة وانحراف الشباب الخ . مما لا يساعد على تحقيق اهداف المخططات الانمائية التي تأخذها الجزائر فنجاح اى تخطيط شامل ، انما ينبغي ان يأخذ بعين الاعتبار الجماعات الاجتماعية من حيث عاداتها وتقاليدها . ضمن الكل الاجتماعي .ذلك ان الاستقرار الطوعي الذى يشكل محور هذه الدراسات هو اكثر خطورة وتأثيرا على المخططات الاجتماعية . لكونه لا يسمح بقيام مشاريع تتعلق بمجال صحراوى وتطويره ما لم تعالج هذه الظاهرة بطريقة علمية تسمح بالوقوف على اسباب التخلي عن الحياة البدوية في الصحراء والاستقرار في المدن وذلك من آجل حل مشاكل البداوة وتطويرها بشكل منظم وفعال ومن آجل ايضا تجنب الفوضى المناقضة للاهداف التي يسعى التخطيط الى تحقيقها .

- الدراسات السابقة نقدو تقويم :

آما فيما يخص الدراسات التي اجريت عن البداوة فمعظمها يمتاز بالطابع الوصفي وتعتمد على ما كتب عن هذه الظاهرة منذ زمن بعيد الامر الذى يجعلها عقيمة وبعيدة عن الواقع . فالبداوة الحالية هي غير البداوة التي وصفها ابن خلدون في زمانه بحيث طرأت عدة تغيرات على هذا المجتمع .

فالروح القبلية التي كانت المحرك الاساسي للغارات التي كانت تقوم بها قبيلة على آخرى لم تعد موجودة في الوقت الحالي نتيجة وجود الدولة والحدود تفصل المناطق عن بعضها البعض اذن يمكن ان نقول عن هذه الدراسات انها ستاتيكية وليست ديناميكية لكونها لا تأخذ التغيير الاجتماعي بعين الاعتبار فالتطور سمة من سمات المجتمع لا يمكن تجاهلها فمهما احتفظ البدو ببعض القيم و العادات ، فان جوانب منها البدى وان يكون قد تعرض للتغير سواء بفعل عوامل خارجية او وفق نزوع داخلي ولذلك اما ان يكون تغير بطئ او سريع وهو ما ينبغي دراسته في الاونة الاخيرة ,

مجـال اختصاص الدراسـة وحـدودهـا :

ان حـدود الدراسـة التي يمكن ان نتصورهـا ، انما يحددها طبيعة الموضوع الذي يفرض منذ البدايـة طرحـة في اطار نظري معين ، فاذا عدنا الى الدراسـات التي سبق و ان تناولت هذا الموضـوع بالدراسة نجد ان اغلبيتها عا لجتـه من زاويـة علـم الاجتماع الريفي او الانثروبولوجـي الامر الذي يفرض علينـا القيام بمحاولة الجمع بين تكامل مناهج العلوم الاجتماعية من اجل تطوير فـرع علم الاجتماع البدوي فهـذا التخصص يعترض مسـار تطوره عـدة عقبـات نذكر منهـا :

اولها - عدم وجودمـراكز متخصصة في الوطن العربي تهتم فقط بالحياة البدوية بحيث توفر معلومـات دقيقة عن هـذا المجتمع .

ثـانيهما - انصـراف الباحثين في علم الاجتماع الى دراسة الظواهـر التي نجمت، عن ادخال التصنيع في البلاد العربية ، كحوادث العمل و التغيب ، و نقل التكنولوجيـا و لما كانت ظاهرة البداوة ليست كتلك الظواهـر التي تظهر طفرة لتختفي بعد ذلك بل وجدت منذ زمن بعيد يصعب تحديده يذكـر توينبي في كتابه تـاريخ البشرية مايلي

((ولمـا دجن الجمـل ذو السنـام الواحـد قبل انتهاء الالف الثاني قبل الميلاد و لما تالق الحصان هنـاك قبل بـدأ التاريخ الميلادي اتسع مجال البداوة الرعويـة فشمل بلاد العرب وانتقلت البداوة الرعوية الى شمال افرقيـا)) [1]

هـذا يعني ان التوغـل في الصحراء الكبرى لشمـال افرقيـا وممـارسة الرعي فيها كـان مستحيلا الا بعد استقدام الجمل من اسيـا الذي يعتبر و سيلة النقل الوحيدة انذاك سمحت للبدو قهـر الصحـراء ، والتنقل في ارجائها بل وتكوين حضارة راقيـة لها نظمها وخصوصياتها الاجتماعية . و لا زالت مستمـرة في الوجـود فمن الطبيعي ان تتضمن دراستنا تحديـد خصائص البداوة وانواعهـا ، كمـا حددهـا الباحثـون في مختلف الفتـرات التارخيـة وهـذا بهدف تتبع مسار الظاهرة ورصـد اهم التغيرات التي طرأت ، واهـم العوامـل التي كانت من وراء هذا التغير .

---

1 - ارنـولد تـوينبي : ((تاريخ البشرية)) مرجع سابع ص 100

الامـر الذي سوف يسـاعدنا في معرفة تأثير الاستقرار في حياة البدو ما دام ذلك يخالـف مـا اعتـاد عليـه الـبدو .

- و عملا بقاعدة تمايز المجتمعات عن بعضها البعض ، فاذا كان بدو الصحراء يختلفون عن بدو الهضاب العليا فان التمايز يكون شاسعا بين البداوة في الوطـن العـربـي بصـفة عامـة ، ولذلك سوف نخصص جزءا من الدراسة لمناقشـة هذا المـوضـوع مع مقارنة بما هو موجودفيالجزائر من حيث طبيعة ظاهرةالبداوة وانتشارها الجغرافـي تـاريخها ثم ارتباطها بالواقع الاجتماعي الكلي، و تحديد وزنها اجتماعيا و ابراز اهـم المشاريع المتعلقة بتطوير حياتهم و دمجهم في مجتمع(الام) من اجل المساهمة في تنمية الاقتصاد الوطني ، و حتى يتسنى لنا تقييم مدى نجاح هذه المشاريع ، سـوف نقوم بعرض بعض التجارب التي اجريت في كثير من الدول العربية و الاسيوية ، كـمصـر السعودية ، العراق، منغـوليا . . .الخ قصد الكشف عن اهدافها و منطلقاتها لنخلص بعـد ذلك الى نتيجـة تسمح لنا عن طريق المقارنة و تقييم ما أنجز في حق البداوة في الجزائـر .

بـعد ذلك سـوف ينصب اهتمام الدراسة ميدانيا على ابراز اسباب استقرار البدو في منطقة قصر البخاري و تأثير ذلك على تغيير نمط حياتهم ، في مختلف الجوانب كالسكـن و طبيعـة الحياة الاسريـة ، علاقات الاتصال بين الافراد و توزيعالادوار، وظيفة التنشئـة الاجتماعية ، طريـقة اللباس، يلي ذلك التعرض الى التحولات التي شهدها النشاط الاقتصادي من حيث الوظائف التي اصبح يشغلها البدو و علاقة ذلك بالاستهلاك و تنظيم الاسرة ، و كذا مسألـة علاقة البدو المستقرين بباقي سكـان المنطقة ، و ذلك من اجل معرفة مدى تكيف البدو واندمـاجهـم في مجتمع الـمديـنـة .

و هـنـاك جـانب آخـر من الدراسـة تهتـم بالمؤسسات الجديدة و تأثيرها عـلى الحياة التقليديـة للـبدو كـمؤسسـة التعليم ، التي من دون شك ان البدوي يحمل تـصورات و مـواقف معينـة اتجـاهها و خـاصة و انها تحمـل قيم جديدة لم يعهد عليها فيـتخذ مـواقف تتنـاسب و درجـة تمسك البدوي بقيمـه الاصليـة و ايضا درجة الارتباط و التضامـن الـذي يجـمع افـراد الـعائلة من جهة و العرش او الفرقـة من جهـة ثـانيـة .

كما ان ظاهرة الاستقرار الطوعي لهؤلاء البدو في هذه المنطقة لا تبقى مجرد ظاهرة معزولة عن البيئة الخارجية فعملية الاحتكاك و التفاعل تبرز ظواهر: كزيادة انحراف الاحداث وانتشار الاحياء القصديرية ، و الطلاق ، و الحرف الهامشية غير الانتاجية ، البغاء مما يفرض علينا تأكيد أو نفي علاقة هذه الظواهر بالاستقرار.

مما سبق لا شك و ان اهمية الدراسة قد اتضحت و يمكن تلخيصها فيما يلي:

- معرفة اسباب تخلي هؤلاء البدو عن حياة التنقل و الرعي و الاستقرار في المدن و علاقة ذلك بالوضع الاجتماعي و الاقتصادي الذي يمر به المجتمع الكلي.
- معرفة التغيرات التي صاحبت عملية التحول من مجتمع متنقل الى مجتمع مستقر و ذلك من اجل تحقيق هدفين.

1- معرفة احتياجات هذا المجتمع و امكانياته من اجل الحفاظ على بنياته و تطويره.

2- تحديد الوسائل و الاجراءات التي تتناسب مع مدى قابلية المجتمع البدوي للاندماج في المجتمع الحضري، و هذا كله سوف يساعد المخططين في تصميم مخططاتهم و مشاريعهم المتعلقة بالبداوة ، انطلاقا من الواقع آخذين بعين الاعتبار مفاهيم و معتقدات الانسان البدوي.

سبب اختيار منطقة قصر البخاري كمجال للدراسة :

تكتسي منطقة قصر البخاري اهمية كبرى من الناحية الجغرافية بالنسبة للبدو فهي تعتبر بوابة استراتيجية تربط الشمال بالجنوب ، كما تمثل همزة وصل بين السهوب الشرقية و الغربية ، فمنها يمكن الحصول على السلع و الخدمات المتوفرة في الشمال و ينقل البدو منتجاتهم المتواضعة للتبادل بها في اسواق المدينة ، تبادل السلع المنتجة في الصحراء كالملح و الصوف و الاغنام مع ما يحتاجه البدو من سلع الشمال.

كما ان بعد المنطقة يتناسب و مدة البحث القصيرة بحيث يمكننا من التردد المستمر على ميدان البحث، و من ناحية اخرى فان عدد البدو المستقرين في هذه المنطقة يشكلون عينة ممثلة جديرة بالدراسة.

فهـــــــرس

الفصل الاول

الاطار المنهجي و النظري للدراسة

المبحث الاول: محاور تساؤلات الدراسة

1 - الاشكالية :

- ترتبط تساؤلات الدراسة بطبيعة الدراسة و اهدافها التي تنحصر في كونها محاولة سوسيولوجية للكشف عن مظاهر تغير المجتمع البدوي، و العوامل التي كانت من وراء هذا التغير ، واتجاهه تحت تأثير الاستقرار في المناطق الحضرية و لتوجيه البحث تم صياغة محاور اساسية تدور حولها اشكالية البحث على النحو التالي:

أول هذه المحاور يتعلق بالاطار المنهجي الذي ينبغي ان تعالج في نطاقه هذه الظاهرة فهل نتعامل مع ظاهرة البداوة بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع ظاهرة انحراف الاحداث و الانتحار على سبيل المثال: بحيث يجب البحث عن العوامل المتحكمة فيها بغية القضاء عليها ، باعتبار أن البعض يرون ان البداوة ظاهرة شاذة عن قاعدة التطورية فقد اورد نبيل صبحي حنا في كتابه ((المجتمعات الصحراوية مبررات الذين يريدون القضاء على البداوة و هي:1- ان الحياة البدوية تتعارض مع سياسة نشر التعليم، و تقف معوقا لها.

2- ان نمط البداوة مختلف و بربري و لا يجب ان يضل موجودا في القرن العشرين.

3- ان نمط البداوة يمثل فاقدا في المصادر الطبيعية ، بجانب ان البدو لا يلعبون الدور الذي يجب ان يلعبوه في الاقتصاد الوطني))(1)

- ام اننا ندرس البدو كمجتمع يتميز بنمط اقتصادي واجتماعي و ثقافي خاص و من هذا يمكن ان نبحث عن خصائص هذا المجتمع و طبيعة التخلخلات التي ظهرت في بنياته نتيجة هزات تاريخية عنيفة تتعلق بالعهد الاستعماري و منها ما هو طبيعي كالجفاف و اخرى مرتبطة بالتغير الحاصل في البيئة من جراء انتشار مراكز تكرير البترول في الصحراء بوادر هذا التخلخل

1- نبيل صبحي حنا المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي " دراسة ميدانية و نظرية ، دار المعارف القاهرة :1984ط ص : 53 و 54

ظاهر في الوقت الحاضر، رغم قيام الدولة ببعض المشاريع المتعلقة بتوطين البدو و تحسين ظروف معيشتهم في القرى الاشتراكية الرعوية و الزراعية .

- فهل يعود تخلي البدو عن الحياة البدوية واستقرارهم في المناطق الحضرية الى فشل هذه المشاريع في تحقيق اهدافها المرسومة ، ام ذ لك راجع الى ازمة اقتصادية ، ازمة ماشية منهارة او رعي فقير ؟ (1)

لقد تميزت المخططات الانمائية في الجزائر بالتركيز في كل خطة على قطاع اجتماعي معين دون غيره :

- فهل حضي البدو بنفس المشاريع التي نالتها القطاعات الاجتماعية و الاقتصادية الاخرى ؟.

خلصت بعض الدراسات الى النتيجة التالية : ((ادى استقرار بعض الجماعات التى تمارس التجوال الى تغيرات في نمط حياتهم))(2) . على ضوء هذه النتيجة ما هي الجوانب التي مستها التغيرات في حياة البدو ؟ هل هذه التغيرات جذرية ام سطحية ، فالتحول من مجتمع متنقل يعتمد على نمط حياة مغلقة و محافظة الى مجتمع حضري متفتح و متعدد الثقافات لا يتم دائما بصورة عادية . فأن ذلك يتوقف أساسا على ديناميكية المجتمع البدوي و مرونته و مدى تكيفه مع المستجدات الطارئة ، و لمعرفة هذا الجانب طرحنا التساءل التالي:

- هل لاستقرارالبدو في المناطق الحضرية - نموذج قصر البخاري - له علاقة مباشرة ببعض الظواهر كأنحراف الاحداث، وازدياد الاحياء القصديرية وانتشار الزواج المبكر و الطلاق و البغاء..الخ؟

و على ضوء الاجابة عن هذه التساؤلات سوف نصل في النهاية الى استنتاج خلاصة يمكن من خلالها تحديد اتجاه و مصير البداوة في الجزائر بصفة خاصة و الوطن العربي بصفة عامة .

---

1) MAIRIE Dominique CHOISEL et autres "Adaptation du nomadisme pastoral à des structures Modernes."Etude de deux communes des hauts plateaux Sud- Oranais - Mecheria et El-Biod CENEAP . Alger. 1975. p90

2 الـفرضيـات : 1ـ يساعد الاستقرار الجماعي للبدو على مقاومة القيم الحضرية الجديدة .

2ـ يتعرض الجانب المادي من حياة البدو عند استقرارهم الى تغير سريع على عكس الناحية الاجتماعية ـ العادات و التقاليد .

3ـ تتفاوت درجة تأثير القيم الحضرية بين الجيل الاول و الثاني من البدو المستقرين .

تحديد المفاهيم :

من المسلم به ان المفاهيم التي ترتكز عليها الدراسة من اولويات المسائل التي ينبغي ان تكون واضحة المعالم في البحث، لكونها تساهم في توجيه الباحث و تحديد الاجراءات الضرورية لملاحظة الفئات و المتغيرات التي يمكن ان تمدنا بمعلومات اكثر عن موضوع الدراسة (1) و عليه فان تحديدنا للمفاهيم الاساسية في البحث تستهدف تجنب الخلط الظاهر في استعمالها من طرف بعض الباحثين و التي تتمثل في المفاهيم التالية :

مفهوم البداوة :

لهذا المفهوم استعمالات كثيرة ، فهناك من يرى أن هذا المفهوم يخص فقط المجتمعات الصحراوية التي ترتبط بأصول سلالية واحدة (2) فهذا التخصيص يرتكز اساسا على الجانب لايكولوجي و الاثنولوجي لهذه المجتمعات في حين يهمل نمط الحياة و ما يتميز به من خصوصيات تجعله يختلف عن باقي الانماط الاخرى و لذلك فهو استعمال غير دقيق و لا يعبر عن الواقع فقد ظهرت نتيجة اكتشاف البترول في الصحراء متجمعات مستحدثة قد تكون منحدرة من سلالة واحدة الا انها ليست لها اي علاقة بالرعي و التنقل، فهل يعتبرون بدو بمجرد استقرارهم في الصحراء .

كما يستعمل من طرف آخرين للدلالة على حياة التنقل و الرعي، و في هذه الحالة يثار الجدل، حول عملية التنقل، هل هي متواصلة على مدار السنة دون توقف أم أنها مؤقتة ؟ يلجأ مؤيدي هذا الاستعمال الى التميز بين البدارة الكاملة و نصف البداوة .

---

1 ـ محمد علي محمد : " علم الاجتماع و المنهج العلمي " دراسة في طرائق البحث و أساليبه ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1983 ط 3 ص 151 .

2 ـ نبيل صبحي حنا "المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي" مرجع سابق ص19.

مما سبق نستنتج التحديد التالي:

نقصد بالبداوة ذلك النمط المتميز من الحياة القائمة على الرعي و الانتقال الموسمي أو المتواصل عبر مناطق مختلفة بقصد البحث عن مصادر الرزق، و هناك من يضيف لهذا التحديد ارتباط هذا النمط من الحياة بتساقط الامطار و كميتها.(1)

★- الاستقرار الطوعي:

لا يوجد هناك اتفاق حول تحديد مفهوم الاستقرار الطوعي. فهناك من يفضل استعمال التثبيت او التوطين . الا ان التوطين غير الاستقرار الطوعي حيث عرف الاول في مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية ، المنعقد في مرسي مطروح بمصر سنة 1965 م بأنه "عملية انسانية متكاملة تتطلب تغيير في الظروف الطبيعية و الحضارية القائمة من تنمية الموارد البشرية و الاقتصادية و رفع مستوى المعيشة، و تحقيق قدر من التكامل القومي بادماج البدو بصورة جماعية في الوحدات السياسية و القانونية و الاقتصادية و الفكرية في المجتمع القومي".(2)

اذن من خصائص التوطين كونه عملية مفروضة و هادفة تسعى الى تحقيق تغيير ارادي في حياة البدو ، بهدف رفع مستوى معيشتهم، أما الاستقرار الطوعي فنعني به " تلك العملية التي يقوم بها البدو بمحض ارادتهم للتمركز بصفة نهائية في المناطق الحضرية لتحقيق و اشباع حاجات و أهداف اجتماعية و ما يتضمن ذلك من تغيرات في الحياة الاجتماعية و الثقافية .

1- CHELLIG Rabah " La vie du pasteur et du Fellah Algerien Association pour le développement du pastoralisme." AARDES-Alger- 1978 p(38)

2- نبيل صبحي حنا ;مرجع سابق;ص 51

فمفهوم الاستقرار هنا و الذي نقصد به أنتقال البدو الى المدن للعيش فيها هو قريب من مفهوم التحضر الذي يعني اما انتقال السكان للمناطق الحضرية أو انتشار أنماط السلوك و أساليب التفكير الحضري، و يضع نبيل صبحي حنا مقابل الاستقرار الطوعي مرادف التوطن.(1).

مفهوم الثقافة :

هناك اختلاف كبير في تحديد مفهوم الثقافة شأنه في ذلك شأن المفاهيم السابقة، فهناك من يركز على الجانب النفسي في الثقافة خاصة علماء النفس، في حين يركز علماء الاجتماع في تحديد هذا المفهوم على القيم و الرموز، أي الجانب التجريدي من الثقافة و أشهر تعريف في هذا المجال هو لأحد أقطاب علم الانثروبولوجية الانجليزي تايلر فهو يعرف الثقافة على النحو التالي:

((هي ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات و المعتقدات و الفن و الاخلاق و العرف و التقاليد و العادات و جميع القدرات الاخرى التي يستطيع الانسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في مجتمع.)) (2) فاذا كانت الثقافة هي على هذا النحو فانه لا ينبغي تبسيط الثقافة البدوية التي تحمل خصوصيات متميزة هي وليدة مجتمع له بيئته و نظمه المثالية يستحيل التخلي عنها بشكل تلقائي و سريع بمجرد الاستقرار .

و عليه فان الثقافة البدوية ، هو كل من شأنه أن يجعل البدوي متميزا عن الفرد أو المجتمع الحضري، بحيث يمكن ملاحظة ذلك من خلال سلوكه في الوسط الحضري .

---

1 ـ نفس المرجع . ص 52
2 ـ د . سامية حسن الساعاتي : ((الثقافة و الشخصية)) بحث في علم الاجتماع الثقافي دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت 1983 ط 3 ص 34 .

المناهج المعتمد عليها :

ان النتائج الدقيقة لأي دراسة ، تتوقف بالدرجة الاولى على حسن اختيار و استعمال مناهج و ادوات البحث، هذه المناهج و الادوات هي ايضابدورها تتوقف على طبيعة الموضوع، و لذلك عند دراسة المجتمع البدوي ، يجب اخذ بعض الامور بعين الاعتبار لكونها تشكل صعوبات تواجه الباحث و تؤثر على تحديد المناهج و الادوات التي تسمح بتجاوز هذه الصعوبات في حد ذاتها، من بين هذه الامور:

الطبيعة الايكولوجية الصعبة و المتنوعة ، وانغلاق المجتمع البدوي على نفسه و عدم تقبل الغريب و هذا يقف حاجزا أمام أي أستقصاء يستهدف التعمق أكثر في معرفة القواعد المتحكمة في هذا المجتمع ، ضف الى هذا انعدام وجود تاريخ مكتوب خاص بالبدو و على ضوء هذه المصاعب تم اختيار مناهج و أدوات دون غيرها لكونها أكثر تلائما مع طبيعة الموضوع و هي كالتالي :

المنهج التاريخي:

من خصائص هذا المنهج كونه يركز على دراسة الماضي، اذ لا يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية الا بعد وقوعها، ثم يقوم الباحث في المجال التاريخي بتسجيلها و كشف العلاقات السببية بينها، فاستعمالنا للمنهج التاريخي يستهدف استقرار ماضي البداوة من حيث الظروف التي أحاطت بظهورها، و العوامل التي ساعدت على انتشارها، هذا فيما يخص البداوة بصفة عامة ، أما واقع البداوة في الجزائر فإننا سوف نتعرف عليه من خلال التعرض للعهد العثماني ثم الاستعماري ، و ذلك بالاعتماد على ما ورد في كتب التاريخ و الوثائق و السجلات، دون اهمال التاريخ المروي خاصة و أن البدو معروف عنهم أنهم يعطون أهمية كبرى لتاريخ الانسان و الحوادث الهامة .

المنهج المقارن:

يتناسب هذا المنهج مع طبيعة الموضوع الذي يتم في اطار نظرية التغير الاجتماعي هذا التناسب يظهر من خلال تعريف هذا المنهج الذي يعتبر من أبرز مناهج العلوم

الاجتماعية اذ يقصد به عادة : " دراسة توزيع الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات، أو حتى مقارنة مجتمعات كلية بعضها ببعض، أو مقارنة النظم الاجتماعية الرئيسية من حيث استقرارها و تطورها و التغير الذي يطرأ عليها (1)

فالمنهج المقارن يسمح لنا المقارنة بين انماط البداوة في المجتمع العربي من حيث حجمها أو استقرارها، و تنقلها وقيمها من أجل تحديد أوجه الشبه و الاختلاف بينها اظافة الى هذا، المقارنة بين وضعية البداوة عبر المراحل الثلاث: العثمانية الاستعمارية ثم الاستقلال - و ذلك للوقوف على أهم التغيرات التي حدثت للبداوة .

المنهج الوصفي:

انطلاقا من كون الدراسة تتم في اطار تخصص معين هو الانتروبولوجية الاجتماعية فان المنهج الوصفي سوف يساعدنا كثيرا في جمع معطيات دقيقة عن الموضوع و خاصة تلك المتعلقة بتحليل طبيعة التفاعل بين البدو و البيئة الايكولوجية و الاجتماعية الجديدة التي استقروا فيها و تكيفهم معها .

المنهج الكمي:

يستعمل هذا المنهج في هذه الدراسة بشكل ضيق تماشيا مع طبيعة الموضوع التي لا تستهدف سبر الآراء. بالقدر ما هي رصد للتغيرات والانعكاسات التي تحدث لهذه الظاهرة الاجتماعية - استقرار البدو - و هذا لا يعني استبعاد هذا المنهج لان المعلومات الوصفية . يمكن ترجمتها الى ارقام فالسلوك لا يمدنا فقط بمعطيات كيفية و لكن أيضا يمكن استخلاص معلومات لها دلالات كمية تشير الى الحجم و المقدار.(2)

---

1 - محمد علي محمد : علم الاجتماع و المنهج العلمي - مرجع سابق .ص 338

2 - أحمد أبو زيد : "طرق البحث في المجتمعات البدوية " بحث ألقي في ندوة البداوة في الوطن العربي المنعقدة بمدينة بوسعادة الجزائر بتاريخ 25 الى 27 أكتوبر 1983.

5 - الوسائل و الادوات المستعملة :

- الملاحظة :

للملاحظة مكانة هامة في البحوث الاجتماعية ، بل أن العلم يبدأ بالملاحظة ثم يعود اليها مرة أخرى لكي يتحقق من صحة النتائج التي توصل اليها . (1) و تزداد أهمية الملاحظة خاصة في البحوث الانثروبولوجية الاجتماعية ، فاهتمامنا بالتغييرات التي تحدث في السلوك و قيم البدو من جراء استقرارهم يفرض علينا الاعتماد أساسا على الملاحظة أكثر من غيرها من الوسائل التي يصعب استعمالها في هذا المجال فاستعمالنا للاستبيان أو المقابلة بصفة رئيسية لا يعطينا ضمانات كافية على صحة المعلومات. فالبدوي لمجرد رؤية الورقة يشك في الوضع، فلا يجيب بشكل طبيعي عن الاسئلة و خاصة في حالة ما اذا كان الباحث غريبا عن المنطقة و متميز في هندامه وسلوكه ، فهو اذا مصدر ريب بالنسبة اليهم .

الملاحظة بالمشاركة :

رغم أن الملاحظة بالمشاركة من مزيتها الحصول على معلومات دقيقة فهي تعتبر من أصعب الادوات أستعمالا ، لأنها تفرض على الباحث أن يكون متمتعا بمرونة كافية تسمح له بالتكيف التلقائي مع حياة المبحوثين ، لكونه يقاسمهم نمط الحياة لمدة قد تزيد عن عام ، مما يطرح أمامنا مشكل عويص لقصر مدة الدراسة ، الا أن قرب المنطقة سوف يسهل لنا التردد على المنطقة و الاقامة فيها لمدة معينة قد تكون كافية .

المقابلة :

ان الاعتماد على الملاحظة و الملاحظة بالمشاركة لوحدها لا يكفي فمعرفة مواقف البدو من بعض القضايا لا يمكن الحصول عليها ، الا باستعمال المقابلة ، فمعرفة مواقف البدو من الاختلاط لا يتم الا باستعمال المقابلة .

---

1 - محمد علي محمد : " علم الاجتماع و المنهج العلمي " مرجع سابق ص 161 .

ـ المبحث الثاني: البداوة في مختلف الدراسات الاجتماعية

2 ـ 1 البداوة في الدراسات الانثروبولوجية :

عند دراستنا لموضوع البداوة نواجه صعوبة كبيرة في اختيار المنهج الذي ينبغي الاعتماد عليه في الدراسة . ذلك أن قضية تكامل مناهج العلوم الاجتماعية ، لا تعني امكانية تطبيق كل المناهج في أي موضوع اجتماعي مهما كان دون تحفظ، بل ينبغي مراعاة خصائص و مميزات الظاهرة المدروسة من جهة ، و مدى تلاؤم المنهج المختار مع طبيعة الموضوع من جهة أخرى .

لقد كانت ظاهرة البداوة محط انظار الانثروبولوجيين الذين يمتلكون تجربة طويلة في دراسة المجتمعات البدائية . و لكن هل تعتبر دراسة البداوة امتدادا لدراسة الشعوب البدائية ، و بالتالي يمكن تطبيق طرق الانثروبولوجيين جميعا ، بالطبع تسائل كهذا يثير تساءلات أخرى حول المنهج والموضوع على حد سواء، فمن حيث الموضوع اعتاد الانثروبولوجيين دراسة كل مجتمع بدائي دراسة مركزة (1) أي الاطاحة بجميع الجوانب الاجتماعية و الثقافية للمجتمع البدائي على أساس أنها مستقلة عن باقي الثقافات الاخرى لكن عملية الاطاحة بكل جوانب الحياة لمجتمع ما تقتضي حصر حدود ملاحظة الباحث في منطقة صغيرة يستطيع المشاركة بنفسه في حياة عينة البحث ـ هنا تظهر الصعوبات المتعلقة بامكانيات الباحث في دراسة المجتمع دراسة كلية ، فذلك قد يقتضي منه وقتا طويلا جدا هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى فان فكرة الاستقلالية بالنسبة للثقافة البدائية تفقد معناها عند دراستنا للمجتمع البدوي .

---

(1) ـ محمد عاطف غيث : ((دراسات في المجتمعات القروية)) دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت 1967 . ص 23

الذي و ان احتفظ ببعض الخصائص فالكثير من جوانبه قد تعرض للتغيير نظرا لاحتكاكه واتصاله بالمجتمعات الحضرية واستخدامه لبعض المنتجات الصناعية و التي أصبحت عنصر من عناصر حياته اليومية أضفت على حياته طابع جديد ، و على الرغم من أن المجتمع البدائي يشابه المجتمع البدوي في بعض السمات كسيطرة روابط القرابة في كليهما ووجود علاقات مباشرة بين أفراد و صغر و حجم السكان نوعا ما . الا أن هذه السمات المشتركة ، لا تبرز ضرورة تطبيق الاساليب الانثروبولوجية في الدراسة الميدانية على كل المجتمع البدوي - فهي و ان كانت تحقق النتائج العلمية المطلوبة بالنسبة للمجتمع البدائي - فالحال ليس كذلك بالنسبة للمجتمع البدوي الذي يوجد على صلة المجتمع الكلي، بل هو جزء منه يخضع لقوانينه تنظيماته ، و كذا المجتمعات القبلية بشكل عام تتعلاض الان لكثير من التغيرات الاساسية في نظمها الاجتماعية ، فبعد ما كان يحكمها العرف . و تنظم التقاليد طرق العمل أصبحت اليوم تخضع لسيادة دول تسعى لتطبيق القوانين التي قد تتعارض مع الاعراف السائدة .

تطور مجال الدراسات الانثروبولوجية :

على ضوء التغيرات التي حصلت في المجتمعات القبلية أو البدائية ، نجد أن مجال الانثروبولوجية نفسه قد ساير هذا التغير ، فيعرف ايفانز بريتشار الانثروبولوجية في محاضرته عام 1951 على أنها ((نوع من الدراسات الاجتماعية يتخذ من المجتمعات الانسانية جميعا موضوعا له ، و لكن يركز على المجتمع البدائي منها (1) .

فتعريف ايفانز بريتشار (Evans PRETCHARD) يحمل حقيقتين اتساع مجال دراسة الانثروبولوجية .

---

(1)- محمد عبده محجوب : ((مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية)) (منهج و تطبيق) وكالة المطبوعات الكويت ص:

وامتدادا الى كل المجتمعات مهما كانت ، بسيطة أو معقدة حضرية كانت أو بدوية ، أما الحقيقة الثانية تتعلق بالانثروبولوجية نفسها حيث اعتبرها من سمن الدراسات الاجتماعية و في هذا المضمار يرى محمد عبد المنعم امكانية ادخال الانثر بولوجية الثقافية و الاجتماعية في عدد العلوم الاجتماعية ، لكون وجه الاختلاف بينهما ضيقا جدا اذ يكمن فقط في مجال الدراسة ففي الوقت الذي تتجه فيه العلوم الاجتماعية نحو التركيز على المجتمعات الراهنة يركز الانثروبولوجيين على المجتمعات البدائية . (1)

و لكن ثمة مراحل مرت بها الانثروبولوجية فالاتجاه السابق الذي يركز على المجتمع البدائي - يمثل المرحلة الاولى التي سيطرت فيها المدرسة التطورية ، لكن في مرحلة لاحقة ، أصبح الانثروبولوجيون يركزون على المجتمعات في الوقت الحاضر على تحديد وظائفها ووظائف أجزائها التي تستند على بعضها البعض لتشكل في النهاية نسق كلي .

و على أساس هذا التغير في اتجاه الانثروبولوجيين يكون من الافيد الاعتماد على طرائقها المتمثلة في جمع الحقائق عن المجتمعات البدوية على أن تكون موجهة على أساس فروض تختبر لاثبات صدقها أو دحضها أو تعدل أو تقر في ضوء وقائع جديدة .

فالطرق المناسبة اذن لدراسة المجتمع البدوي تتمثل في دراسة هذا المجتمع نفسه من خلال علاقته المتعددة مع المجتمعات الاخرى لتعدد المؤثرات الخارجية التي تؤثر فيه خاصة المدينة و الحكومة .

الاستفادة من الطرق الانثروبولوجية كالملاحظة المباشرة و الاعتماد على كبار السن في الاحوال التي لا تكون فيها المادة التاريخية كافية .

و من الناحية المنهجية بدأ الباحثون يحرصون على ارتباط . موضوع دراستهم بمجالات أوسع بحيث تكون محل اختيار دائم للوصول الى تحليل اجتماعي صحيح بالاضافة الى امكانية الاستعانة بالاحصاءات الرسمية و التاريخ . (2)

---

(1) - محمد عبدالمنعم نور : ((الحضارة و التحضر) دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري مكتبة القاهرة الطبعة الاولى 1970 . ص 41

(2) - محمد عاطف غيث : ((دراسات في المجتمعات القروية)) مرجع سابق . ص 26

2 علم الاجتماع الريفي

تختلف درجة الاهتمام بالدراسات الريفية في ميدان علم الاجتماع من بلد الى آخر، و ذلك راجع الى الاسباب المختلفة الكامنة وراء هذا الاهتمام ، فالتقدم التكنولوجي الذي أحرزته أوربا و أمريكا ، و الثورة الزراعية التي أعقبت تلك بادخال الآلات ، أدى الى تغيرات واسعة النطاق في الحياة الريفية الامر الذي دفع الكثير من العلماء الى دراسة الخصائص الريفية خوفا من اختفائها و ذلك باعتبارها نمطا من أنماط الحياة الاجتماعية . و في بلدان أخرى كآسيا ، أستراليا، افريقيا و أمريكا اللاتينية، يرجع اهتمامها بالريف الى كون أغلبية سكانها لا يزالون يمارسون حرفة الزراعة ، في حين أن البلدان التي بدأت تخطوا خطوات نحو تحقيق التنمية الاجتماعية و الاقتصادية عن طريق التصنع فان اختلال التوازن بين الريف و المناطق الحضرية الصناعية أدت الى بروز ظواهر اجتماعية لها علاقة بالريف، تتمثل في الهجرة و الاسكان و توزيع اليد العاملة و علاقاتها بالقدرة الانتاجية ، و ما يترتب عن هذا كله من علاقات انسانية . و هذا المثال الاخير ينطبق على وضعية الجزائر السائرة في طريق النمو حيث أخذ المجال الريفي القسط الكبير من الدراسات في اطار علم الاجتماع الريفي، و من ثم فان موضوع البداوة و ما يتصل به يدرج ضمن مواضيع هذا العلم اقتداءا بما هو معمول به في أوربا .

خصائص المجتمع الريفي:

عرض رد فيلد خصائص المجتمع الشعبي (الريفي) (Folk society) أي المجتمع الذي تحكمه و تسود فيه الطرائق الشعبية . لقد أثرت بشكل حاسم هذه النظرة في تفكير الكثير من الباحثين الاجتماعيين الانثروبولوجيين حيث أعتبر ان المجتمع الشعبي (الريفي) هو كل مجتمع تنطبق عليه الخصائص الخمس التالية :

أن يكون مجتمعا صغيرا منعزلا - أميا متجانسا و يسوده قوة التضامن الاجتماعي . (1)

يرى صالح مصطفى الفوال أن هذه الخصائص الخمس تصدق اليوم على المجتمع البدوي أكثر من صدقها بالنسبة للمجتمع الريفي. و يضع في المقابل محمد عبد المنعم نور السمات الحضرية من خلال المؤشرات التالية :

أولا : المهن والاعمال:

يلاحظ أن غالبية السكان يمارسون أعمال صناعية أو تجارية أو مهنية أو ادارية أو غيرها من المهن و الاعمال و الخدمات ذات الصبغة غير الزراعية.

ثانيا : البيئة الطبيعية :

تمتاز بعزلة أكبر من البيئة الطبيعية و مظاهرها و سيادة البيئة الاجتماعية ، التي طبعها الحضر و أمعنوا في تنظيمها ، بمعنى أخرى أن الحياة الحضرية لا تتحكم فيها الطبيعة بشكل أكبر.

ثالثا : حجم السكان:

المجتمع المحلي الحضري في البلد الواحد حجمه السكاني أكبر من الحجم السكاني للمجتمع المحلي القروي و بعبارة أخرى، الحضرية و الحجم السكاني يتناسبان تناسبا طرديا - (2) و لكل هذه السمات الآنفة الذكر تأثيرا كبيرا في نسج العلاقات الاجتماعية ، كالعلاقات غير الشخصية و التباين السكاني بالاضافة الى التدرج الاجتماعي و على أساس هذه الاختلافات نلاحظ أن علم الاجتماع الريفي قد أزدادت أهمية عندما زادت الفروقات بين الريف و المدينة.

---

(1) - صلاح مصطفى الفوال : " علم الاجتماع البدوي " القاهرة [illegible] باعة 1974/ص86

(2) - عبد المنعم نوار: " الحضارة و التحضر " (دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري) مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الاولى 1970 ص 67 .

بـالـرغم من الاهتمام الكبير بالدراسات الـريفية ، فان علم الاجتماع الريفي من الناحية النـظريـة لا يـزال تتـعرضه بعض الـصعـوبات يمكن تلخيصهـا فيما يـلي :

1) ـ التـركيز عـلى جميع الـحقائق و المعلومات الميدانية . دون ترجمتها الـى نـظريـات بـالـرغـم من أن هذه الـحقـائق و المعـلومات تعتبر الارضيـة الهامة و الاساسية لـقـيـام الـنـظـريـة .

2) ـ عـدم تمـكن علمـاء الاجتماع من وضع الحـدود الفاصلة بين الريف و الـمدينـة و خـاصة بعد التحولات التي حدثت في الارياف بحيث ظهر نوع من التقارب بين المنظمين نتيجة الاحتكاك الذي يسرته المراصلات الحديثة . بالاضافة الى هذا نلاحظ أن علماء الاجتماع الريفي ((قد حصروا ميد ن بحثهم حول طبيعة المجتمع الريفي النواحي الاجتماعية التـي تمـيـز حـيـاة الـمـزرعـة .)) (1).

و لـقـد لـوحظ في السنوات الاخيرة تـآلـف بين الانثروبولوجية و عـلم الاجتماع الريفي من خلال الانثروبولوجية الاجتماعية الريفية .و هي تهتم بدراسة البنـاء الاجتماعي و التـنـظيـمـات الاجتمـاعية لـلـقريـة .

3 تـطـور عـلـم الاجتمـاع الـبـدوي :

يـعتبر عـلم الاجتماع البدوي من ضمن التخصصـات الحـديثة التي بدأت بـوادر قـيـامـه تظـهر في الآونـة الاخيرة ، و ذلك من خلال تبلور نظرياته ووضوح اطار مـوضـوعـه واستنتـاج بعض القوانين المتحكمة في ظـاهرة البـداوة . و يمكـن أن نـرجع الاسباب التي حـالت دون ظـهوره على الشكل الذي هو عليه الآن في العـصور الماضيـة الـى:

ـ أن الاهتمام الكبير الذي حضيت به ظاهرة البداوة من طرف التفكير الاجتماعي انما كانت تحت تأثير النزعة التطورية على الخصوص، حيث ترى هذه النزعة أن الانسانية

(1) محمد عاطف غيث " دراسات في علم الاجتماع القروي " مرجع سابق ص 372

جمعاء مرت بمرحلة البداوة ، و أن استمرار وجودها في عصرنا هذا الذي يتميز بالتقدم و التطور الحضاري، انما تشكل حلقة تخلف و تحجز ينبغي القضاء عليها (1) و هذا يمكن أن ينطبق على الدراسات الانثروبولوجية التي قام بها الاوربيون في الوطن العربي حيث كان همهم الوحيد تكريس سلطتهم الاستعمارية (2) فهي اذن لا تساهم في تطوير هذه المجتمعات و ان كانت توفر الكثير من المعلومات الاولية التي تكون منطلق للباحث نحو تكوين نظرية متكاملة في علم الاجتماع البدوي ، بل يمكن أن تكون أيضا حلقة تربط بين الدراسات الرائدة التي قام بها ابن خلدون في اطار ((علم العمران)) وواقع البداوة في العصر الحالي.

---

(1) - محمد عبده محجوب :" مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية "مرجع سابق ص 7

(2) - محمد السويدي :" بدو الطوارق بين الثبات و التغيير" دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغيير الاجتماعي"
المؤسسة الوطنية الجزائر 1986 ص 29

- عدم قيام بعض التخصصات العلمية بواجبها على أحسن ما يرام .

في الوطن العربي ، و نقصد بذلك علماء الآثار العرب حيث ينظر منهم الكثير حول استنطاق الآثار و النقوش العربية القديمة التي تمثل حلقة من الحلقات الحضارية للمجتمع العربي (1) نفس هذا الاهمال نلاحظه في منطقة قصر البخاري بالقرب من بلدية بوغار فهناك آثار رومانية و اسلامية متناثرة هنا و هناك ، منها ما فقد معالمه و منها ما قد اختفى.

- لقد كان من المفروض أن يقوم علم الاجتماع الريفي بدراسة موضوع البداوة لكن تصور موضوع هذا العلم على أنه ينحصر في المجتمعات الزراعية ، كما هو سائد في أوربا و أمريكا - حيث يرى (فرانسو أويان) أن المجتمع البدوي ما هو الا مجتمع بديل للمجتمع الريفي بالمقابل للمجتمعات الحضرية و الصناعية (2) لما كان المجتمع البدوي في الوطن العربي له خصائص و مميزات تختلف عن المجتمع الزراعي فلم يحض بالاهتمام اللائق بمكانته ووزنه الاجتماعي في الوطن العربي و من هنا تظهر ضرورة قيام على اجتماع بدوي يتولى مهمة دراسة كل الجوانب المتعلقة بالمجتمع البدوي .

* علاقة علم الاجتماع البدوي بعلم الاجتماع الريفي :

اذا كانت الضرورة تقتضي وجود علم اجتماعي يختص بالمجتمعات البدوية فان ذلك يتطلب تحديد اطار موضوعه من جهة - و تحديد علاقته بالعلوم الاجتماعية الاخرى و خاصة علم الاجتماع الريفي و الانثروبولوجي من جهة أخرى .

---

(1)- مكي الجميل : " البداوة في الوطن العربي "سرس الليان 1962 ص 30

(2)- صلاح مصطفى الفوال ((علم الاجتماع البدوي)) مرجع سابق ص 9

يـعرف مصطفى صلاح الفوال علم الاجتماع البدوي على أنه ((ذلك العلم الذي يهدف الـــى تحديـد ظاهرة البداوة ، و تتبـع مختلف مظـاهرها و نظمها الاجتماعية و الاقتصادية فضــلا عـن التعرف على طبيعة البنيان الاجتماعي للمجتمعات البدوية بوجه عام ، و التعرف على الخصائص الاجتماعية و النفسية و الحضارية للـجمـاعات البدوية بـوجه خـاص ، (1) .

بالرغم من أن هـذا التعريف يبدو على أنه دقيق لكونه يهتم بـدءا ذي بدأ بتحديد مفهوم البداوة نظرا لاختلاف وجهة النظـر حول تحديـد عناصر البداوة ، ووصف كـل مـا يتعلـق بجوانب هذه الظـاهرة ـ فانه يضيق من مجـال علم الاجتماع البدوي باعتباره يتناول مـن جـانـبـهـا الستـاتيكـي فقط أي تحديـد الظـاهرة و التعرف على خصـائص بنيـاتهـا الاجتمـاعيـة .

ان ظـاهرة البداوة ليست منعزلة عن باقي العالم المحيط بهـا فهي على صلة به فـالـبـدوي يتـردد عـلى المنـاطق الحضريـة للتـزود بمـا يحتـاجه و يلـتـقط أخبـار و أحـوال الـحـــضر كـمـا أنـه يجـوب أطـراف المـراعـي المحيطـة بالمدن و خـاصة في فترات الجفاف ، و الاكثر من هذا في عصرنا الحـالي فان الحضارة العمرانية هي الـتـي أصبحت تغزو المناطق الصحراوية مجـال البداوة ـ بعد اكتشاف البترول فيها مما أدى الى احداث تغيير في البنيات الاجتماعية للـبدوي و فقدانـه للكثير من مميزاتـه ، ولذلك فـان علم الاجتماع البدوي ينبغي أن يتجاوز الــدراسة الــوصـفيـة .

ليشمل الاحاطة بدرجة التغير الحاصلة في ظاهرة البداوة و بعبـارة أخـرى تنـاول ظاهـرة البداوة بالاضافة الى جـانبهـا الستـاتيكي ينبـغي تنـاولهـا مـن جـوانبهـا الديناميكيـة أي تحـديـد تـأثرهـا و تأثيرها في الظواهر المحيطـة بها . و هذا ما يميـز علم الاجتمـــاع البـدوي عن الانثروبولوجية الاجتمـاعية ، نظرا لاهتمام كل منهما بمعرفة البنيان الاجتماعيـــة للـمجتمـع البدوي المدروس بـوجه عام و التعرف على الخصائص النفسية و الاجتماعية و الحضارية للـجمـاعات المدروسـة بـوجـه خـاص . (2)

على ضـوء ما سبـق يمكن للبـاحث أن يقف على الخصائص الاساسية لظاهرة البداوة ، باعتبار أن البدو ينتشرون في الصحراء و يتميزون بتنظيم اجتماعي و نشـاط اقتصادي و بنـــاء

---

(1) نفس المرجع : ص 72

(2) نفس المرجع : ص 46

السلطة يختلف كل الاختلاف عن تلك التنظيمات الاجتماعية و النشاطات الاقتصادية وبنية السلطة بين الجماعات التي تسكن المناطق الزراعية الريفية او الحضارية الصناعية (1) هذه المميزات و الخصائص تبدوللباحث في النصف الاول من القرن العشرين قد اصابها التغيير حيث ظهرت مشكلات جديدة تختلف في الهجرة و التغيير البنائي ، كاضمحلال النشاطات الاقتصادية ذات الطابع الانتاجي .(2)

مما يؤكد وجود خلل في عملية الانتقال من المجتمعات التقليدية الى المجتمع الحديث و يثبت بطلان النظرية التطورية التي تعتمد على حتمية مرور الانسانية بالاطوار الثلاثة الرعوية ، الزراعية ثم تنتهي عند المجتمع الصناعي - فضلا عن هذا يسمح لنا علم الاجتماع البدوي انطلاقا من النظرة التي حددناها الوقوف على تاثير العناصر الثقافية و المنظمات الاجتماعية الحديثة التي تنتقل الى المجتمعات المحلية البدوية مثيرة بذلك مشكلات الصراع ان التناقض بين ماهو تقليدي وما هو مستحدث من التعليم الاجتماعي و ما يترتب عن ذلك من حيث اعاقة برامج التنمية (3) .

محاور الدراسة في علم الاجتماع البدوي :

يمكن ان يتجه مجال اهتمام علم الاجتماع البدوي نحو تناول المجتمع البدوي من ناحيتين :

الناحية الاولى تتمثل في التركيز على المجتمع البدوي الذي لايزال يحتفظ بخصائصه و مميزاته بعيدا عن كل العوامل التي من شانها ان تؤثر على بنياته الاجتماعية ، فيحدد علم الاجتماع البدوي هنا الميكانيزمات التي تعمل على ضمان عدم اضمحلال المجتمع البدوي و بقائه محافظا على كل الخصائص الاساسية التي سايرت وجوده منذ امد بعيد ، بحيث انتقلت من جيل الى جيل دون ان يصيبها تغيير و لكي يتسنى لعلم الاجتماع البدوي الوصول الى اكتشاف هذه الميكانزمات يمكن ان يعتمد على المنهج التاريخي و تتبع مسار البداوة ضمن السيرورة التاريخية حتى يستطيع المقارنة و معرفة مدى احتفاظ مجموعة البحث على خصائصها ومميزاتها .

---

1) - نفس المرجع ص 32
2) - محمد عبده مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية - مرجع سابق ص.32
3) - نفس المرجع . ص / 33

اما الناحية الثانية التي يمكن ان يركز عليها هي دراسة ظاهرة البداوة انطلاقا من التغيرات التي اصابت انسا قها الاجتماعية ـ فالقاعدة التي توصل اليها ابن خلدون و المتمثلة في وجود صراع بين البدو و الحضر ففي ضل التقدم الحديث و بروز مؤسسات اجتماعية و اقتصادية و سياسية لم تكن موجودة و خاصة تلك المتعلقة بالدولة التي لها ا السلطة الشرعية في التحكم في كل جزء من الوطن ، قد ينقل الصراع الى مستويات اخرى كالصراع الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي و من ثم تبدو اهمية علم الاجتماع البدوي في تناول البداوة ضمن علاقتها بالوسط المحيط بها .

ومن بين جوانب الدراسة في علم الاجتماع البدوي تحديد انواع التبدي مع ابراز الاختلافات الموجودة بينها و بين الهجرات انطلاقا من دراسات معمقة متجاوزة بذلك التصنيفات التقليدية .

ومن اكثر المواضيع التي جذبت اهتمام الدارسين فيما يتعلق بظاهرة البداوة مشاريع التوطين التي تقوم بها الدولة من اجل تحقيق تنمية شاملة ، ولقد رافقت هذه المشاريع بروز بعض الظواهر حالت دون تحقيق هذه المشاريع على اكمل وجه ومن ثم يكون من واجبات علم الاجتماع البدوي التعرف على الاسباب التي كانت من وراء هذه العقابات كما ان ظهور التصنيع واختلال التوازن بين المدينة و البادية ادى الى توطين الكثير من البدو حول هذه المدن و ذلك بطريقة تلقائية وتخلوا بذلك عن الحياة البدوية التي كانت ميدان اعتزاز للكثير من الاجيال السابقة ، فهذا التغيير لا يمكن ان نعزوه الى مجرد الرفاهية ، ولكن ينم عن وجود ازمة عميقة في ظاهرة البداوة و اقتصادياتها و انما حجم ثقلها يكون اكبر بالنسبة للتخطيط العمراني و الاجتماعي .

طرق البحث في المجتمعات البدوية .

من بين الاجراءات المبدئية التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند دراسة المجتمع البدوي :

1 - تحديد الغاية من الدراسة فعلى أساس هذه الغاية تتحدد الاهمية و الوسائل الملائمة ، لجمع المعلومات ، الاحصائية و الخرائط - فقد تكون الغاية من الدراسة التمهيد لتنفيذ مشاريع اجتماعية مثل مشروع وادي الطويل في الجزائر . و بالتالي هذا المشروع يحتاج الى معلومات خاصة ووسائل بحث معينة .

2- الاعتماد على دراسة نظرية لمعرفة الدور الوظيفي الذي تلعبه هذه الظاهرة في بناء المجتمع موضوع الدراسة .

3 - يستوجب على الباحث الاستعانة بطرق البحث في الانثروبولوجية كالملاحظة بالمشاركة ، و جمع الاخبار الشفاوية من الروات من ذوي السن المتقدم و ذلك عندما يرى الباحث عدم كفاية المعلومات التاريخية المكتوبة - و هذه الطريقة تكون أفيد لان الباحث من خلالها يتعرف على التقاليد و العرف السائدة في هذه المجتمعات بفضل الذين عايشوا و هم على دراية بها .

7 - و من الناحية المنهجية ينبغي الاعتماد على طريقة دراسة الحالة التي تسمح بالتعرف على بعض سمات الافراد و الجماعات الحضرية و يمكن طرح بعض الاسئلة حول ما تملكه الاسرة من الاشياء المادية و العلاقات الاسرية ، و كذلك طرح أسئلة تدور حول علاقات الجيرة و العمل .

ان استخدام مناهج و أدوات البحث المعترف عليها عند دراستنا للمجتمع البدوي تقتضي منا الحيطة من بعض الحقائق التي تتعلق بطبيعة المجتمع البدوي ذاته ، هذه الحقائق يمكن أن تكون عقبة تعترض تطبيق هذه المناهج و الادوات ، أو قد تؤدي فنيا الى استنتاج لا ينطبق مع الواقع و يمكن حصرها فيما يلي :

تمتلك الجزائر أنماطا ايكولوجية متنوعة تتمثل في المناطق الساحلية و المرتفعات التلية ثم الصحراء ، و تفصل بينهما السهوب و يتبع هذا التنوع في النمط الايكولوجي تنوع في أنماط البداوة ، فان البدو الاقحاح ينتشرون في المنطقة الصحراوية أما الساحل فهو خال من البدو الا في فترات الجفاف الحادة .

هذا التوزيع قد يصدق على البدو في الجزائر فقط، فقد نجد البدو في الساحل كما كان الحال بالنسبة لبعض السواحل في مصر و العراق ، بل قد يوجد هناك تداخل بين الانماط البدوية فمثلا بالرغم من أن الشعانبة و سيد عتبة من أكبر القبائل البدوية في الجزائر الا أنهما يمتلكان بساتين النخيل في ورقلة ، فهم الى جانب ممارستهم الرعي و الانتجاع فانهم يحترفون الزراعة ، رغم التناقض الموجود بينهما فالرعي يقتضي التنقل و الارتحال في حين الزراعة تتطلب الاستقرار للاعتناء بالنباتات فالتعليم اذن في هذه الحالات صعبا .

ان انتشار البدو وانتقالهم المفاجئ نظرا لارتباطهم بالتغيرات الاجتماعية يشكل حاجز أمام تتبع الباحث للنشاطات الاجتماعية و الاقتصادية للبدو بشكل منتظم ، و هذا على عكس الوضعية التي يكون فيها مجتمع البحث مستقرون بشكل دائم في منطقة معينة ، اضافة الى هذا عدم احتفاظ الجماعة البدوية بكل أعضائها ففي كثير من الاحيان يلاحظ تخلي بعض أعضائها عن الحياة البدوية ، أو تأخر البعض الاخر عن الالتحاق بالعشيرة أثناء تنقلها .

يضطر الباحث في مجال البداوة الى الاعتماد على الثروات من كبار السن للحصول على تاريخ مجتمع البحث نظرا لانعدام وجود تاريخ مكتوب ، و في هذه الحالة نجد أن الباحث قد يستغرق وقتا طويلا أولا في جمع المعلومات ، و ثانيا في تلقيحها و مقارنتها ببعضها البعض

لان الكثير من كبار السن ذاكرتهم ضعيفة و في كثير من الاحيان تمتزج تلك المعلومات بالاساطير مما يتطلب من الباحث استقرار وتفسير الرموز تفسيرا اجتماعيا و هنا نلاحظ ان الباحث يتحول الى باحث في التاريخ.

4 البداوة في الدراسات السوسيولوجية الحديثة :

1 - الدراسات الغربية :

ان الدراسات السوسيولوجية الغربية الحديثة التي تناولت موضوع البداوة في كل من آسيا الوسطى وايران وشبه الجزيرة العربية وافريقيا بالاضافة الى آستراليا التي يعد الاقتصاد الرعوى أحد المحاور الاساسية لمداخيلها - أهم ما يميزها هو تركيزها على جوانب معينة دون غيرها وذلك تحت تأثير اتجاهات ذات آهداف مختلفة ويمكن تصنيفها حسب الجهات القائمة عليها الى دراسات يقوم بها باحثون لصالح منظمات دولية آو اقليمية تسعى الى تنفيذ مشاريع اقتصادية واجتماعية في المجتمعات البدوية وآخرى دراسات آكاديمية وهي قليلة جدا وهي التي سوف نركز عليها .

دراسة دانيال بليقرا :

تناول هذا الباحث في دراسته بدو تقرت في الجزائر ، وذلك لنيل درجة " دكتوراه " الحلقة الثالثة في علم الاجتماع من جامعة باريس سنة 1979 شملت هذه الدراسة ستة فصول ، عرض في الفصل الاول الحدود الجغرافية والخصائص المناخية للمنطقة المدروسة ، آما الفصل الثاني فخصصه للماضي التاريخي للمجتمع البحث لينتقل في الفصل الثالث الى ابراز الخطوط العريضة للاقتصاد البدوى في ضل الاستعمار الفرنسي . بينما الفصل الرابع حلل فيه البنية الاجتماعية لاحد قبائل تقرت هي آولا سايح ثم تعمق الباحث آكثر في الفصل الخامس حيث تناول العلاقات الثابتة و الموقتة للمجتمع البدوى لينتهي في الفصل السادس الى تحديد النشاط الاقتصادى و الاجتماعي (1) .

آما البحث الثاني الذى قدمه شارل توبت (TOUPET (C)) (2) هو آكثر تخصصا لكونه يتناول ظاهرة توطن البدو في السهول الوسطى لموريطانيا .

---

1 CF . PELLIGRA (D) "Normadisme Touggourt Algérie" thèse 3 cycle Paris VI 1979

2) CF . TOUPET (c) La désentarisation des Nomades en Mauritanie centrale Sahalienne" thèse 3ème cycle présentée devant l'Université de Paris VI 1975.

حاولت هذه الدراسة البحث عن الاسباب التي دفعت البدو الى التخلي عن الحياة البدوية و التوطن فعزا ذلك الى سببين : اجتماعي و طبيعي و انتقل في جانب آخر من بحثه لتحليل نتائج التوطن .

أهم ما يلاحظ عن هذه الدراسة أنها ركزت عن الاسباب الطبيعية كدافع للتوطين و خاصة الجفاف حيث تتبع فترات الجفاف ابتداءا من سنة 1913 .

لقد أجري هذان البحثان خلال فترتين متقاربتين، لا يفصل بينهما سوى 4 سنوات كما أنهما قدما في جامعة واحدة ، و هذان الباحثان ليس لديهما أي صلة بمجتمع البحث . و بالرغم من ذلك نلاحظ أن الباحث في الدراسة الاولى حاول الاحاطة الشاملة بجميع جوانب الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية لبدو تقورت و هذا يبرز تأثر الباحث بالطرق الانثروبولوجية في البحث اي دراسة المجتمع دراسة كلية الامر الذي جعل بحثه وصفيا أكثر منه تحليليا لأنه يستحيل دراسة المجتمع بشكل كلي لقصر هذا البحث، الا أن الباحث ليتجنب هذا النقص، أختار قبيلة أولاد سايح لدراسة بنياتها الاجتماعية لينتهي بتعميم حول القبائل الاخرى فيما يتعلق بعلاقات الزواج، و دور الانتاج او (العشابة) في حياة البدو و هذا التعميم يتجاهل الاختلافات الموجودة بين أنماط البداوة .

ان الدراسات السوسيولوجية الغربية الحديثة حول البداوة بالرغم من اختلافها عن الدراسات القديمة من حيث اعتمادها أكثر على الوثائق و الخرائط و المعلومات الاحصائية بدلا من معايشة مجتمع البحث و الاقتراب أكثر منهم لفهم العلاقات الاجتماعية التي تتحكم في الحياة البدوية ، فان هذه الدراسات في كلتا الحالتين غير متكاملة ، فالاولى تنطلق من واقع مجتمع البحث بمعزل عن جذوره التاريخية التي تعتبر القاعدة التي تتركز عليها هذه المجتمعات القبلية التي تحافظ على بنياتها من خلال التواصل بين الاجيال المتعاقبة . أما الدراسات السوسيولوجية الحديثة فتعتمد أكثر على ما هو مكتوب عن البداوة لكونها أكاديمية مقيدة بمدة معينة لا يتسنى للباحث معها معايشة الحياة البدوية ، الامر الذي يؤدي الى تعميمات لا

نطبق مع الواقع.

ان هذه الدراسات السوسيولوجية سواء كانت حديثة أم قديمة تشترك في تحقيق
غاية معينة تتمثل في تحقيق وتكريس الهيمنة الاقتصادية فجل الذين تناولوا البداوة
حصروها في اطار الاقتصاد الرعوي وامكانية تطويره من خلال ادخال وسائل
تكنولوجية حديثة ومن دون شك ان مصدر هذه الوسائل الحديثة انما هو لغالب.

الدراسات السوسيولوجية الحديثة :

ظهرت في الآونة الاخيرة في الوطن العربي محاولات عديدة على المستويين
النظري و الميداني لدراسة المجتمع البدوي بعد ادراك الدور الاجتماعي والاقتصادي
الذي أدته في الوطن العربي و خاصة بعد اكتشاف البترول في الصحاري العربية
حيث يعتقد (محي الدين صابر) أن موضوع الانسان البدوي جدير بالدراسة أن
الانسان البدوي هو الذي ظهرت على أرضه هذه الظاهرة (اكتشاف البترول) و من حقه
أن يعرف ما هي الآثار التي تحملها و التي يتحملها وكيف تشير علاقته مع مجتمعه
مع الناس ودوره الجديد في رسم القيم (1).

لقد تناولت الدراسات العربية موضوع البداوة من خلال التغيرات التي يتعرض لها
المجتمع الكلي و التي نتج عنها تأثير على البنيات الاجتماعية فغيرت مفهوم السلطة
ووظيفة الاسرة ، وقيام المشاريع الصناعية و الاجتماعية .

و من ابرز الباحثين في هذا المجال ، محي الدين صابر - مكي الجميل - نبيل صبحي -
مصطفى صلاح الفوال - و محمد السويدي . وتعتبر جامعة الكويت من الجامعات العربية
الرائدة التي تضمنت خططها العلمية مبحثا متمايزا هو علم الاجتماع البدوي ولقد
أتيح ذلك لجمع عدد كبير من الكتب التي تستند الى الدراسات الاجتماعية في
المجتمعات البدوية وخاصة فيما يتعلق بالمنطقة العربية والقارة الافريقية ومن
الممكن أن تكون تلك الدراسات ركيزة قوية تستند عليها بحوث مقارنة المشكلات
التطبيقية للمجتمع البدوي . (2)

و لعل من أهم المشكلات التي واجهت الباحثين الحقليين عند دراساتهم
الجماعات القبلية و المجتمعات البدوية تلك التي تتعلق بتحديد ماهية
المجتمع البدوي كما أنه يؤخذ عن هذه الدراسات حسب " مونتاي فانسو "
أن الدارس المشرقي المهتم بشؤون البداوة هو حضري ينظر الى الاشياء بحذر
من بعيد (3).

---

1 - البترول و التغير الاجتماعي في الوطن العربي " المعهد العربي للتخطيط الكويت 1981
ص 565.

2 - محمد عبده محجوب مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، مرجع سابق ص 8.

3) MONTEIL (Vincent) : " Les tribus du Fars et sédentarisation des Nomades" Paris MOUTON - CO. LAMAYE 1966 P. 22

البداوة من وجهة نظر مختلف الاتجاهات:

ان دراسة البداوة بشكل دقيق تعترضه عوائق جمة يتصل بعضها بتحديد مفهوم البداوة فثمة اختلافات كبيرة بين الدارسين لهذا الموضوع و يعود مصدر هذا الاختلاف الى سببين هامين :

- السبب الاول يعود الى الزاوية التى يعالج من خلالها موضوع البداوة و عليه نجد التعاريف التالية :

- التعريف الايكولوجي:

تتميز البداوة بتنقل دائم موجه بصفة عامة بتساقط الامطار، و محددة بالراعي و بالوظيفة الطبيعية للمجال الرعوي و مراكز الماء (1) و في نفس الاتجاه يعرف ويزمان (1958) (WEISMAN) البداوة على أنها ركض متواصل من مكان الى آخر بحثا عن العشب (2) و هذا يتطابق مع الاسم الذي يطلقه الموريطانيون في الصحراء الغربية، أول مرة (رجال السحاب) و معناه متتبعي السحاب، و المزنة بالعربية هي السحابة المحملة بالمطر.

يعترض بوخبزة هذا التعريف في قوله :" المسافة الرعوية ارتباطيا مستقلة عن العلاقات الاجتماعية و التنظيمية و تطور الانتاج بحيث يظهر من الصعب الخلط بين ظاهرة اجتماعية معقدة البنية بالتنقلات التى تعتبر ملحقة بهؤلاء البدو و قطعانهم من أجل القيام بالنشاط الرعوي (3)، فحسب بوخبزة اذن التنقل نتيجة و ليس سببا .

---

(1) - R. HAKEM:" Eléments pour une économie politique du nomadisme précoloniale en Algérie". thèse de doctorat 3ème cycle, Ins. Science économique. Alger. 1984.p 20

(2) - Monteil (vincent):" Les Tribus du Fars et la sédentarisation des nomades". Op. cité, p. 35.

(3)- R. HAKEM : Op; cité, p.20

التعريف الاحصائي:

هذا التعريف يستعمل كثيرا في التقارير الاحصائية .

بصفة عامة من أجل تعريف البدو عن الاصناف الاجتماعية الاخرى يرى مونتشوسي (MONTEIL (V)) (1) يعرفها من خلال شكل السكن و كثرة الانتقال و التحرك بحثا عن العشب و بامتلاك قطيع و الانتماء الى القبيلة، و من ثمة فان الملاحظة العادية للظاهرة البدوية لا ترضينا من أجل تكوين نقطة انطلاق لفهم البداوة ليس فقط بسبب أمبريقيتها و لكن أيضا بسبب كونها لا تزودنا بمعلومات عن شكل هذه الحياة.

التعريف الاجتماعي:

اذن لا شك أن هذه التعاريف في مجملها قائمة على أساس الفصل بين الارتحال و شكل التنظيم الاجتماعي و الاقتصادي، فالبداوة هي عبارة عن ذلك الكل من الظروف العامة للحياة، و وضيفة اجتماعية جغرافيا و مناخيا و في هذا الكل نجد بعض التنقلات الضرورية من أجل التزود بالحاجات البدوية (2)، و من ثمة فان البداوة لا تحصل الا بوجود القطيع الذي يرتبط نموه و حياته بوجود الاعشاب و من هذا الارتباط الشرطي: بداوة، قطيع، أعشاب نستنتج أن البداوة ليست معطاة من حالة نفسية خاصة بل اذعان بدون مقاومة يراد من الفرد الخضوع لما يحدد له، انها أولا ضاهرة طبيعية، و ضرورة تفرض أدابا اجتماعية و ليست حركة اعتباطية بلا هدف محدد، فهناك قوانين صلبة للانتجاع مرتبطة بتوالي المواسم و طبيعتها فهي تحتوي على منطق ثابت يدفع القبائل الا مختلف الاتجاهات (3).

---

(1).- R. HAKEM : Op. cité, p. 20

(2).- AKTOUF (R) : "Nomadisme et sédentarisation en El Hoggar Colloque international (oct. 1969) Alger, Institut de Santé Publique, p. 127.

(3).- Léon LEHURAUX :"Où va le nomadisme en Algérie". Alger, Ed. Baconnier, 1948, p. 46.

أمـا السبب الثاني في الاختلاف حول تحديد مفهوم البداوة فيعود الـــي طبيعـة المجتمع البدوي ذاته : فهناك عائلات كثيرة تعيش حياة متغيرة ، فتارتـــا تمـارس البداوة البحتة و تارتا آخرى تحي حياة شبه بدويـة مثل ما هو الحـــال بالنسبة لبعض عشائر الشعانبـة خاصة خلال تأدية بعض أفرادهـا للخدمـــة العسكريـة حيث يخيبون خلال هذه الفترة و يرتحلون بمجرد انتهائهـا (1)، ممـا يظطر الدارسين الى تصنيف البداوة الى أنماط مختلفة ، لكل منهـا خصائصهـا و مميزاتهـا .

أنمـاط البداوة :

ـ البداوة ليست مقتصرة فقط على البداوة الرعويـة بل ان هناك أنمـا طا آخرى مرتبطـة بنشاطات آخرى يمكن تلخيصهـا فيمـا يلي:

ـ بداوة الصيد أو بداوة البحر :

و هذه البداوة ترتكز على البحر كمركز رئيسي من مصادر العيش و تتميـز بكونهـا مقتصرة فقط على الذكور دون الاينـاث كمـا يمارس الى جانب الصيد الرعـي و هو موسمي .

ـ بداوة النخيـل:

لا تعتبر نمط الحياة الدائم انمـا هي بداوة مأقتة مرتبطة بمواسم قطـف ثمـار البلح و بعدهـا يتفرغون الى ممارست نشاطات آخرى، و نفس الشئ يمكـن أن يقال عن بداوة الطيـر القائمة على نصب شباك و غيرهـا من وسائل الصيـد الاخرى لقنص أكبر قدر ممكن من الطيور المهـاجرة .

و على كل فان هذه الانماط من البداوة لا ترتفع في مميزاتهـا و خصائصهـا الى درجة البداوة الرعويـة التى مارسهـا الانسـان.

---

(1).- Cauneil :"Les Chaamba, leur nomadisme", Paris VII, Ed. CNRS. 1962, p. 198.

فمنذ القديم و مازالت الى يومنا هذا محتفضة ببعض خصائصهـــــــا و تنظيماتها فالبدو يصنفـون حسب درجة هجرتهم و نوع الحيوانــــــات التى يقومون بتربيتها الى كبـار البدو، و هم يشغلون مناطق كبيرة يتجولون فيها حيث ينظمـون في قبائل كبيرة مثـل قبائل الطوارق في الجزائر و يعتمـــدون على تربية الابل و يعرفـون بهذا الاسم (الجمـالة) .

- صغـار البدو : هم رعاة الغنم يتجولون في مساحات محدودة عادة تكون قريبة من المناطق المزروعة و يتراوح تجاولهم بين المناطق المرتفعــــة الجبـال و هذا في فصل الصيف أما في فصل الشتاء فينزلون الى الوديان و الاراضي المنخفظـة .

- البدو نصف حضر : يعتمدون على تربية الابقار و لذلك تنقلهم يكـــون محدود الى مسافات قصيرة جدا لذلك فان انتقالهـم لا يحتاج الى انتقال المسكن فهم مستقرون في مكان واحد.

و هنك من يصنف البدو حسب الاتجاه و مناطق هجرتهم الى:
- بدو التخييم المحدود في الشمال و بدو الصحراء، و ثمة صنيفـــات آخرى قائمة على أساس التميز العرقي كالذي قدمه برناردو ولاكروا البدو مـــن أصل بربري ينتقلون الى مسافات قصيرة و بدو زناتة من أصل عربي ينتقلون الــــي مسافات بعيدة : (1)

تصنيف ابن خلدون للبداوة :

يقدم ابن خلدون تصنيفات خاصة بالبداوة العربية تتضمن أنواع اجتماعية ثلاثـة هي:

---

(1).- Jean (Sagne) : "L'Algérie pastorale, son passé, ses origines, sa formation, son présent, son avenir." Alger, Imp. Fontana, 1950, p. 100.

- البدو الاقحـــاح:

و هؤلاء لا يملكون الا ابلا، و لكون الجمال حيوان لا يمكن أن يعيش في الصحراء دون أن يلحقه ضرر لانه في حاجة الى نباتات صحراوية بالاضافة الى المياه المالحة، و لذلك يجد البدوي المالك للابل نفسه مضطرا الى أن يتوغل كثيرا في المناطق المقفرة و يسكن الخيم بحكم تنقلاته الدائمة بحثا عن المراعي.

- أنصـاف البدو:

و هم البدو الاقحاح الذين أصبحوا في يسر نتيجة زيادة ثرواتهم من الابل فيضيفون الزراعة الى نشاطاتهم فيتقنون من جراء ذلك ماعز و حتى بقر بالاضافة الي الغنم و بما أنهم لا يستقرون في مكان واحد الاجزء من السنة فانهم يخصصون باقي وقتهم للنجعة، و بحكم حياتهم الجديدة فانهم يتخلصون من ابلهم فيعهدون بها الى رعاة. و هكذا فانهم يصبحون بالضرورة أقل خشونة من ذي قبل فيسكنون الخيم تارتا و الاكواخ تارتا آخرى.

- الفلاحـــون:

و هؤلاء يهتمون بالزراعة أكثر مما يهتمون بتربية المواشي و لا يتنقلون الا نادرا، و هم لا يبتعدون كثيرا عن أراضيهم و ان تنقلو فانهم على غرار المنتجين يملكون بالاضافة الى الغنم معز و بقر، و يسكنون خاصة الجبال و السهول الواسعة.

المجاورة للحضر المنتجين في القرى و الذين كثيرا ما يختلطون بهم و هذه الفئة الثالثة هي الاقرب الى المدينة و هي التي تتيح الانتقال الطبيعي من العمران البدوي الى العمران الحضري (1).

---

(1) - عبد الغني مغربي:" الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون" ترجمة محمد شريف بن دالي حسين - المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986. ص 131 - 132

ان تصنيف ابن خلدون هام جدا ليس فقط لكونه يحدد لنا الخصائص التي من خلالها يمكن التفريق بين أنماط البداوة فحسب، بل لانه يحدد لنا القوانين الاجتماعية لتحول و انتقال المجتمع أو العمران البدوي الى العمران الحضري ـ مما يمكننا من اجراء مقارنة تحدد لنا أهم التغيرات التى تعرضت لها قوانين الانتقال هذه .

المبحث الاول: ملامح البداوة في الوطن العربي.

1 1 المجـــال الجغرافـــي:

تعتبر البيئة الصحراوية أحد الظواهر الطبيعية التي يشترك فيهمـا كل الوطن العربي فلا نكاد نجد بلدا عربيـا واحدا الا و كان جزءا من أراضيه عبارة عن صحـراء قاحلـة و ذلك على امتداد الوطن العربي من الخليج شرقا الـى المحيط الاطلسي غربا و لما كانت البيئة الايكولوجية تفرض نمطا معيشيا معينـا كانت ظاهرة البداوة هي الاكثر تناسبـا مع هذه القفار المترامية الاطراف .

ففي العربية السعودية نجد القبائل البدوية و التي لا يتجاوز عددهـا 250.000 نسمة توجد متفرقة في المنطقتين الصحراويتين ، الربع الخالي في الجنوب و نفود في الشمـال، و أهم القبائل البدوية فيهـا قبيلة عنزة التي ترتبط بقبائل المزاليـخ، و هي توجد عادة مستقرة في سوريـا في أنحاء حمص أمـا في العراق فانه توجد منطقتـان رئيسيتان للبداوة ، الناحية المحصورة بيـن الفرات و نمر و الاخرى توجد بين غرب الفرات و شرقي نمر و عدد البدو فيهـا حسب احصائيات 1952. 400.000 بدوي (أما اليوم فقد تناقص عددهـم) أغلبيتهم ينتمون الى قبيلة غمـار و سنجـار. و في سوريـا فان مجال البـداوة يتشكل بمقاطعة الغرب و الشمال الغربي ، هذه المنطقة المحددة جدا تسمـى الباديـة . الا أن هذه المنطقـة لم تتوقف عن التقلص نتيجة التوطين، نفس الحالة يمكن أن نلمسها في بدو السودان قبائل غرز عرفت تحولات كبيرة أدت الـى توطينهم و استقرارهم فان جزء منهـا لا يزال يمـارسون الحياة البدوية فعلـى ارتفاع 12 شمـالا نجد مجـال مربي الابل و احق أشهر هذه القبائل قبيلـة الكبابيش التي تتوغل تقريبـا حتى الحدود المصرية و غرب النيل و المنطقـة الجبليه المحاذية للبحر الاحمر تعيش قبائل بجـا التي تربي أفضل سلالة مـن الجمـال (1) و تشمل المناطق المصرية التي تمثل اهتمام دارسي بداوة الصحـراء

---

(1).- AWWAD Mohamed : "Le nomadisme dans les pays du Moyen Orient (p.p. 353-368) Colloque international sur les problèmes de zone aride.- Paris, UNESCO, mai, 1960, p. 356.

الغربية و الشرقية و اقليم سيناء. و أهم القبائل المنتشرة فيهما قبائل أولاد علي و قبائل جمعية في نواحي ماريوت و قبائل جواب في وادي نسرون أما اقليم سيناء فيضم العديد من القبائل أغلبيتها تعيش حياة شبه بدوية هذه القبائل كانت تؤدي دورا كبيرا في القوافل التجارية أو الحجيج.

و تشكل الحياة البدوية في المغرب العربي أحد أهم مميزات الصحراء الكبرى حيث تنتشر فيها العديد من القبائل البعض منها يوجد متنقلا في الصحراء مثل التوارق في الجزائر و بعضها تتردد على المناطق الشمالية أو الاطلس التلي و سوف نوضح هذا بدقة عندما نتعرض الى البداوة في الجزائر.

1 2 المميزات الاجتماعية :

يمكن أن نقسم المجتمعات العربية القائمة في الوقت الحاضر الى ثلاث أنواع عريضة، يتميز كل نوع منها بخصائص اجتماعية و نفسية و اقتصادية معينة رغم وجود بعض التداخل بينها.

1) ـ كثرة غالبة تقطن في الريف و تشتغل في الزراعة.

2) ـ و قلة قوية متزايدة في العدد و النسبة تسكن المدن و فيها يتركز معظم النشاط الاقتصادي و السياسي و الثقافي و هي الفيئة التي تتعرض أكثر من غيرها للمؤثرات من الخارج.

3) ـ ثم أخيرا قلة أخرى متناقصة في العدد و النسبة من البدو الرحل الذين ينتقلون وراء المطر للرعي و تحكمهم معايير القبلية و تقاليدها (1).

التنظيم الاجتماعي للبدو :

تعد الأسرة الممتدة هي الشكل السائد في المجتمعات البدوية، ذلك أن طبيعة الحياة البدوية تتناسب مع هذا الشكل من العائلات، فالثروة الحيوانية

(1) ـ لويس كمال مليكة : قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية الهيئة المصرية للتأليف و النشر. الاسكندرية. المجلد الثاني. 1970ص 552.

يصعب تقسيمها بين أفراد الاسرة، لان تقسيمها يعني تقسم المراعي و تجزئتها مما يؤدي الى خلافات و نزاعات نتيجة ندرة الكلاء، و لذلك تحتفظ بالملكية الجماعية للثروة، كما أن صعوبة العيش في الصحراء بشكل فردي يجعل الفرد أكثر ارتباطا بالاسرة لحماية نفسه أولا و مواجهة عدوانية الطبيعة ثانيا. زد على هذا فان الاسرة الممتدة تضمن نقل العادات و التقاليد للاجيال اللاحقة و من ثمة تحقيق تواصل الاجيال.

و لكن الفرد مع ذلك هو قاعدة النظام السياسي للبدو، فكل خيمة تعتبر قلعة حصينة لصاحبها يفعل منها كل ما يشاء دون أن يجرء أحد من جيرانه أو عشيرته على منعه أو الاعتراض عليه (1).

كما أن أفراد الاسرة مرتبطين بالاب مادام على قيد الحياة و قد تمتد هذه المسؤولية في الغالب الى الاقرباء و تتصل القرابة في المجتمع البدوي بالاب دون عائلة الام (2) و تعتبر الاسرة البدوية أسرة أبرصية تحمل اسم الاب.

و لكن الاسرة ذاتها ليست منفصلة عن باقي الاسر الاخرى القريبة منها و التي يجمع بينها وحدة النسب بحيث لا تتعدى الجد الخامس فاتحاد مجموعة من الاسر تعطينا ما يسمى الفخذ، ثم يليها البطن و العشيرة التي من خلالها يتوسع المجتمع البدوي ليكون وحدة جامعة شبيهة في تنظيمها و وظيفتها بالدولة الحديثة تتمثل في القبيلة التي تتكون من سماط أو نزلة و هي جامعة صغيرة تتألف من 6 الى 12 خيمة كل واحدة يسكنها أعضاء من نفس العائلة. أما القطيع فانه يتوزع من أجل استغلال أمثل للكلاء (3). و تمارس القبيلة كما و كيفا الظبط الاجتماعي و هي التي تتحمل مع العائلة تلقين و ظبط السلوكات المختلفة للافراد، كما يعود اليها الفضل في أخذ القرار النهائي في تحديد وقت الرحيل، و مكان الانتجاع و اعلان الحرب و السلم.

---

(1)- مكي الجميل: البدو و البداوة في الوطن العربي. مرجع سابق. ص 24.

(2)- نوري خليل البرازي: البداوة و الاستقرار في العراق. القاهرة. معهد البحوث و الدراسات العربية 1963. ص 92

(3)- Capot Rey : " Le mouvement de la population dans les territoires du sud - ALGER (pp. 232-248); Revue Africaine 2ème et 3ème trim. 1940, p. 240.

المميزات الثقافية :

يعكس التراث الثقافي للمجتمعات البدوية بجلاء كفاح الانسان و جهوده من أجل اشباع حاجات البشرية ، كالحاجة الى الطعام و الراحة و المأوى و تأمين نفسه ضد ما يهدد حياته في ضوء امكانيات بيئة محدودة الموارد كما أن البدوى مدعوا الى استغلال وسطه بأكبر قدر ممكن فجميع الادوات التى يستخدمها هي من صنع و من مادة الخام المتوفرة لديه : صوف و شعر و جلود الحيوانات للسكن و اللباس و أواني جمع المياه و الاحذية و الحطب و اللحوم للطعام .

و بالرغم من أن الثقافة البدوية و ان كانت متميزة فهي تحمل بعض السمات التى نجدها عند مجتمعات غير صحراوية ريفية أو حضرية مثل الزواج من ابنة العم ، و تفسير الحمل بمعتقدات غيبية . فهم يعتقدون مثلا ان المرأة العاقر قد تكون مربوطة (ربط الجن) و لهذا يلجؤن الى الفقهاء لحل هذا (الربط) كما يعتبر الانجاب دليل على اكتمال الانوثة و الحصول على مكانة اجتماعية في الاسرة (1) .

الوضع الاقتصادي:

يتميز الاقتصاد البدوي بشكل عام بالبساطة ، و بالرغم من ذلك فان تنظيمه و تطويره و توسيع نطاقه يمكن أن يلعب دورا هاما في اقتصاديات البلاد عامة ، فالمواشي من خيل و أغنام و ابل تعتبر الثروة الاساسية للبدو بحيث يشكل ما يستخلص منها من سمن و لحم و صوف موردا اقتصاديا للتجارة البدوية . اذن القطيع يشكل رأس المال الذى ينموا بذاته في السنين الجيدة و ينجوا بتنقلاته في حالة الجفاف (2).

---

(1)- نبيل صبحي حنا " المجتمعات الصحراوية " مرجع سابق ، ص 108 .

(2)- Capot Rey :" Etat actuel du nomadisme au Sahara" (pp.329-393) Recherche sur la zone aride , p. 330.

فضعف الاقتصاد البدوي و تخلفه يرجع الى ارتباطه بالعوامل الطبيعية أن اعتماد البدوي على الماشية كمورد اقتصادي أساسي لا يقي ممارستهم لبعض الانشطة الاخرى الملحقة، كنقل البظائع التجارية و قيادة القوافل، بل ممارسة الزراعة في بعض المواسم مثل قبائل الشعانبة في ورقلة .

1 - 3 التوطين:

لقد وردت تعاريف عديدة و مختلفة لمفهوم التوطين، فمنها من يركز على الغاية و الهدف من التوطين، و منها ما يركز على درجة التغير و الجوانب المراد تغيرها. و لتوضيح ذلك نورد التعاريف التالية :

- تعريف أحمد الخشاب :

يعتبر التوطين على أنه العملية الاجتماعية المرتبطة على تهجير الافراد من جهة الى أخرى. و هو يعني إسكانهم في قرى خاصة أو مدن في مناطق الاصلاح الجديد و تهيئة أحسن السبل لهم و رعايتهم رعاية خاصة ضمانا لاستقرارهم في المناطق التي هاجروا اليها خوفا من عودتهم الى مواطنهم الاصلية و أقاربهم و ذويهم، و التوطين عملية انشاء و تعمير تتضمن تغيرا في الظروف الطبيعية القائمة و استغلال اقتصادي للثروة (1) . هذا التعريف كما نرى يربط بين التوطين و التهجير، في حين أن التوطين غير التهجير، فالتهجير عملية ترحيل للجماعات البدوية من مكان الى أخر بسبب الظروف الاقتصادية أو السياسية (2) و تحمل الهجرة مدلولا دينيا نابعا من هجرة الرسول (ص). و قد اتبعت هذه الطريقة في العربية السعودية و كان الهدف منها تحقيق الوحدة السياسية و ضمان استقرار البدو، كما أن التهجير كما هو في التعريف يتطلب نقل البدوي من مكان الى آخر، أما التوطين فهو يتظمن توفير الاستقلال و الاستقرار الاقتصادي

---

(1)- أحمد الخشاب " سكان المجتمع العربي " دراسة تكاملية . القاهرة . دار المحامي للطباعة . بدون سنة . ص 07 .

(2)- محي الدين صابر " التوطين و مشروعاته " في مكي الجميل " البدوي و البداوة " مفاهيم و مناهج . سرس لليان 1966 . ص 45 .

في نفس المناطق التي يعيش فيها أو المناطق القريبة ..

و يرى مكي الجميل أن التوطين هو : " اقرار الجماعة البدوية في وطنها و بيئتها في اطار من تقاليدها و عاداتها و ظروفها البيئية المختلفة و ذلك كله يفترض تهيئة المناخ النفسي و الاجتماعي للاستقرار" (1) و يعرف مصطفى صلاح الفوال التوطين على أنه مجموعة العمليات التي من شأنها أن تتيح للجماعة البدوية مزيد من الاستقرار و التوطين في نطاق سكني معين ضمن مسارها العادية أو في اخرى ملائمة و قريبة و في اطار من ظروفها و قيمها و نظامها و احتياجاتها الاساسية و رغبتها و خلال فترة زمنية محددة بغرض احداث تغيير معين و متدرج في نمط حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية و على ضوء خطة مدروسة و ظمن اطار السياسة القومية للدولة (2) .

فالتوطين اذن حسبة ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار عادات و تقاليد البدوي، و هو أيظا ليس عملية اعتباطية بل يخظع لخطة شاملة لجوانب الحياة البدوية و كثيرا ما يستعمل التحظير للدلالة على التوطين بالرغم من أن التوطين يعني في الاخير تمكين البدوي من ممارسة الحياة الحظرية، الا أن تغيير نمط الحياة البدوية لا يتم في كل الوجوه باسكانهم في المدينة هذا من ناحية، و من ناحية أخرى، فقد علق بالاذهان و هو شائع يجعل كلمة الحظارة في استعمالها العادي في اللغة المعاصرة مطابقا لمعنى المدينة (civilisation) التي تدل على التقدم المادي و الفكري و الاجتماعي، و من هنا فان تحظير البدو يعني اعطائهم الحظارة في هذا المعنى كأن البدو ليس لهم حظارة عريقة ، فقد اثبتت البيئة الصحراوية أو البدوية أفكار غيرت وجه العالم (3) . تركز التعاريف السابقة على نوع معين من التوطين، و هو التوطين الذى تقوم به الدولة اتجاه البدو سواءا كان ذلك عن طريق الترغيب أو عن طريق القهر. الا أننا نلاحظ أنه كثيرا ما يتخلى البدو أنفسهم عن الحياة البدوية ، بشكل جماعي أو فردي بدون تدخل

(1) ـ مصطفى صلاح الفوال: البداوة العربية و التنمية . القاهرة . مكتبة القاهرة الحديثة . 1967 . ص 404 .

(2)ـ مصطفى صلاح الفوال: تنمية المجتمعات الصحراوية . مرجع سابق . ص.195

(3)ـ محي الدين صابر : التوطين و مشروعاته في البدو و البداوة ، مفاهيم و مناهج . مرجع سابق . ص 43 .

الدوا ــــة ، و لكن لاسباب أخرى طبيعية و اجتماعية و سياسية و عليه نلاحظ تعــدد في أنماط التوطين.

- أنواع التوطيـــن:

لا توجد هناك خصائص واحدة لتحديد أنواع التوطين ولذلك نلاحظ اختلاف في تحديد هذه الانواع فمثلا يفرق : ج. باقوت (J. Pagot) و أ. برمنود (O. Bremand) (1) بين أنواع التوطين من خلال الاسباب المؤدية اليه الــى التوطين في ناحية (Sédentarisation dans une localité) حيث يأتي البدو الذين تفككت قبيلتهم للتمركز حول مناطق العمل و يترتب عن هــذا النوع من التوطين عدة مشاكل منها قطع الاشجار من أجل الاستعمال الطبيعي للقرية ، يظاف الى هذا تفقير الغطاء النباتي لان هؤلاء البدو يحتفظون بجزء من ماشيتهــم .

- التوطين حول ينابيع الماء العائلي :

يحدث هذا النوع من التوطين عندما يتخلى أحد العناصر الحيوية فـــي العائلة البدوية عن النشاط الرعوي للعمل في نشاطات أخرى، فيترك الماشية تحرث من طرف العجائز أو النساء و الاطفال و لذلك فهم مظطرين للاستقرار أمام ينابيـــع الماء التابعة للعائلة و لا يمارسون الانتجاع الا لمسافات قصيرة (2). الا أن هـــذا التميز يعتبر بسيطا و لا يدل على أي تغير في الحياة البدوية .

و هناك تصنيف يعتمد على مدة الاستقرار فهناك التوطين الدائم و الموءقت لكن هذا المقياس نفسه ناقص، فالبدوي الذي يقال عن توطنه أنه موءقت لم يكـــن كذلك بتاتا لانه يملك خيمة و لواحقهـا ، و من ثمة ثروة مهما كانت درجتهـــــــا

(1).- Cf. O. Bremaud, J. Pagot :" Pâturages, nomadisme et transhumance en zone saharienne".- Recherche sur la zone aride. Actes Colloque de Paris, UNESCO, 1962.

(2).- Ibid : p. 349.

فيض بعض الشهور في احدى المنازل ثم يتم الباقي متجولا فهذا البدوى لم يجـــد امكانيات أكثر في التحكم في احتياجاته و اهتماماته و مع أنه يستقر لمدة محدودة فانه لا يشطب مرتبته كبدوى في حين الذى يتوطن بشكل نهائي عادة هو منقـــص من مكانته كبدوى لانه فقد كل قطيعه بحيث لم يعد يجد مبررا لتبدبه و لما كـــان بغير مورد يضطر الى بيع خيمته بالنسبة اليه البداوة قد انتهت (1) الى أن أغلب الدارسين يركزون على نوعين من التوطين هما :

- التوطين الاجباري أو القســري:

و يتم عن طريق اكراه البدوى على الاستقرار و يتم بأمر من الدولتـــــة، و لا يدخل في اعتباره أن البدوى يكون من عشيرة واحدة . و من مشاريع التوطيـــن الاجبارى على سبيل المثال ما قام به رضا شاه (سنة 1925 ـ 1941) حيث فـــرض لتحقيق أغراضه الشخصية توطين قبائل باهمـان بجى بالقوة . و هذه الاجراءات في الغالب بشعة (2) و هنالك مثال أخر يتعلق بالامر الذى أصدره الملك عبد العزيـز آل سعود عام 1939 بتوطين الاخوان الذين حملوا لواء الدعوة الوهابية . و بلغـت مستعمرات هؤلاء الاخوان ما يقارب من 150 مستعمرة في كل من النجد و الاحساء (3) و من عيوب هذا التوطين أنه يتم عن طريق القهر، فهو و ان حقق غاية السلطـــة من الناحية المادية فان تغير ذهنيات البدو عن طريق الاجبار كثيرا ما تفشـــل بالاظافة الى أن عملية التوطين هذه تؤدى الى جمع فئات غير متجانسة من البـــدو.

- التوطيـــن التلقائي (الطوعـــي):

يتم هذا التوطين بتخلى العشائر البدوية عن الحياة الرعوية و الترحـــال من تلقاء نفسهـا، و الاستقرار بصفة نهائية بشكل جماعي أو فردى و غالبا ما يتم

---

(1).- Y; Bonen : "Contribution à l'étude des pasteurs nomades" ARBAA, Maison d'édition non citée, 1962, p. 107.

(2).- Montfil Vincent :" La tribus du Fars et la sédentarisation des nomades: op. cité, p. 23.

(3)ـ صلاح مصطفى الفوال: تنمية المجتمعات الصحراوية . مرجع سابق، ص 204

هذا الاستقرار بالقرب من المراكز العمرانية سواء كانت مدن أو قرى و يكون نتيجة لدوافع ذاتية كالتطلع للتمتع بمزايا المدنية الحديثة كما يتم تحت تأثير عوامل خارجية كجاذبية المشاريع الصناعية التى تقام في المجال البدوي أو تستعمل المواصلات فيها ، كما يلعب اقارب البدو المقيمين في المدينة دورا كبيرا في احداث هذا النوع من التوطين و يترتب عن هذا النمط نتائج سلبية ليس فقط على مستقبل الحياة البدوية بل يتجاوز ذلك الى المناطق الوافدين اليها نتيجة لاقامتهم للاحياء التى لا تخظع للمقاييس العمرانية الحديثة و لا تتوفر على أدنى متطلبات الحياة و لتجنب سلبيات النوع الاول من التوطين - الاجبارى - و تفادي فوضوية الثاني استوجب الاهتمام بالتوطين المخطط.

التوطين المخطط:

يسبق هذا التوطين القيام بدراسات استطلاعية حول طبيعة الحياة البدوية للقبائل المعنية بالتوطين ثم تهيئة كل الظروف التى من شأنها ضمان انتقال البدو من حياة الترحال الى حياة الاستقرار، فهو يعتمد على العلم في تحديد الامكانيات و المراحل و يسمح بمراقبة العملية بدقة ، فالتوطين اذن في هذه الحالة غاية يجند من أجل تحقيقها وسائل تتطابق مع هذه الغاية ففي الانظمة ذات التخطيط المركزي حسب مكي الجميل فانها تعتمد على أسلوب الفوضى تمليه الدولة بمختلف وسائلها القانونية و الادارية بالاضافة الى هذا تعتمد على ما يسمى الفريغ القيمي و الذي يقوم على أساس القضاء على القيم التقليدية للمجتمع البدوي التى قد تعتبر عائقا أمام تحقيق الغاية المرجوة ، و عند تدمير البناء الاقتصادى و الاجتماعي يتبعه زوال القيم المرتبطة به ، فيحدث فراغ قيمي تضعف معه مقاومة القيم القديمة للقيم الجديدة ، أما الاسلوب الثاني فهو قائم على أساس الاقناع بحيث يتم عن طريق التنشأة الاجتماعية سواء من خلال التعليم أو الاختلاط الاجتماعي و الهجرات الداخلية و التقليد (1) فهذا الاسلوب يتيح للبدوي تغيرا طبيعيا

---

(1)- محي الدين صابر : " التوطين و مشروعاته " في البداوة مفاهيم و مناهج مرجع سابق ص 47 .

لمعتقداته و تقاليده لانه يسمح له أولا اختيار القيم ثم التكيف التدريجي مع الحياة الجديدة .

1 - 1 - الخلفية الاجتماعية و التاريخية لظاهرة التوطين:

ان مسالة توطن البدو ليست قضية حديثة العهد فقد لوحظت حالات منها في فترات تاريخية متباينة و في أماكن مختلفة من العالم، و لذلك يبدوا أن التحديد الزمني لتوطين البدو بشكل عام أمر غير ممكن، و لكن يمكن تقسيم السيرورة التاريخية للتوطين الى مرحلتين: مرحلة ما قبل النصف الثاني من القرن 19 و ما بعدها بحيث تميز التوطن في المرحلة الاولى بالبطئ في حين امتاز في الثانية بالسرعة و الاتساع و الاتساع مما أدى الى تقلص عدد البدو بشكل ملحوظ، فيذكر كورسن (Curson) سنة 1992 أن بدو كسخاي الايرانية كانت في طريق التوطن الكامل (1) و تتحدث مادلين بريغول (Madelaine Brigol) عن توطن بني طهور في ورقلسة سنة 1908 أنه كان توطن بطئ ازداد تسارعه بعد الحرب العالمية الثانية 1945 الى 1950 (2)، ففي افريقيا و الى نهاية القرن ماقبل الماضي هناك مساحات شاسعة أقل سكانا كانت ميدانا للتنافس البدوي دون أن تكون عليهم ضغوطا للتوطين بحيث كان بامكانهم الاحتفاظ بأمل البقاء مع اتصال بتراثهم الحضاري و لكن منذو ئذ شحدت الحياة البدوية موجة من التوطن تحت تأثيرات عوامل متعددة طبيعية و اجتماعية و سياسية .

أسباب التوطين:

- الاسباب الطبيعية :

يميز كل من مارغي (Marghin) و بيرك (Berque) و كرادر (Krader) ثلاثة مناطق طبيعية للبداوة : أسيا الوسطى (أو سهوب الحصان)، أسيا الجنوبية

---

(1).- Monteil Vincent : " Les tribus du Fars et la sédentarisation des nomades." op. cité, p. 23.

(2).- Madelein Brigol : " L'habitat des nomades"; Travaux de l'institut des recherches sahariennes; Tome XVI, 2ème semestre 1957, p. 182.

و الغربيــة ، و الصحراء الكبرى الممتدة من المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر تمثل وحدة جغرافيــة (1)، و أهم ما يميز هذه المنطقة، البرودة الشديدة، و عــدم كفاية الامطار و لذلك فان عامل الجفاف له دور هام في الاسراع في حركة التوطــن " فجفاف 1972 أدى الى هلاك 40% من الماشية في موريطانيا حتى أن الانســان لم ينجوا بنفسه اذ توفى الكثير من الاطفال و بالاضافة الى انتشار الامراض و الاوبئة و ازدياد الاحياء القصديرية بالقرب من المدن (2) فأمام هذه الوظعية يكون البدوى أمام اختيارين: اما أن يغادر الحياة البدوية ليصبح عاملا في المدن، و اما أن يجدد قطيعه ، الا أن امتداد مدة الجفاف من شأنه أن يجعل عملية تجديد القطيع مستحيلة و لكن الجفاف ذاته لم يجعل سوى زيادة حركة التوطين هذه الحركة التى كانــت موجودة من قبل فابرغم من تعاقب فترات الجفاف و قساوة الطبيعة فان البــداوة حافضت على وجودهـا فهي تمثل حسب برك (Berge) " حالة قسوى لتكيف مجتمــع انساني مع قساوة الطبيعــة (3). فالمنطقة الصحراوية تكاد تكون الحياة فيهــا مستحيلة الا أن البدو لم يتمكنوا فقط من ضمان بقائهم و لكن تمكنوا من استقــلال المنطقة الصحراوية و توطيد نظام حياة اجتماعي (4) .

لقد أثبتت الكثير من الدراسات تأثير الوسط في وظائف الاعضاء فزيولوجيا و في الطبع و الوراثة بالنسبة للسكان الاصليين، فأكبر خطر حيوى للجفاف و الحرارة على الانسان هو اجتفاف الانسان (deshydratation) حيث أن الكمية القصــوى التى يمكن أن يتحملهـا من فقدان العرق هي 1ل في الساعة بانتظام هذه الكميــة لا يمكن الحصول عليهـا الا خلال 5 أو 6 ساعات متوالية و لذلك فان الكمية التــي ينبغي أن يستهلكهـا الانسان في الصحراء من الماء هي 8ل (5) فالانسان الاكثــر

(1).- Monteil Vincent : "Les tribus du Fars et la sédentarisation des nomades." ; op. cité, p. 32.

(2).- Charles Toupet : "La sédentarisation des nomades en Mauritanie" op. cité, p. 324.

(3).- Monteil Vincent : op. cité, p. 32.

(4).- Robert Montagne :"La civilisation du désert." Nomade d'Orient et d'Afrique, éd. Hachette, p. 11.

(5).- L. Cabot-Briggs : "Climats et adaptation humaine au sahara" (75 à 83), Colloque international de biologie des populations sahariennes du 23 au 25 oct. 1969. Alger- p. 75.

تكيفا مع الوسط الصحراوي، فهو الذي يملك توازن فيزيولوجي بين فقدان العرق و مساحة جسمه ولذلك فلقد نجد بدوي بدين الجسم ضف الى هذا لون بشرة البدوي الصحراوي يلعب دورا مهما في مقاومة الحرارة الجافة، فاللون الاسود يوقف جزء كبير من أشعة الشمس فهو يسخن بسرعة لكنه أقل احتراقا من الجلد الابيض. أما من الناحية النفسية فنلاحظ أن طريقة الحياة البدوية تسمح للمرأة ممارسة بعض الاعمال خارج بيتها أو خيمتها كالرعي و جلب الماء فقد يكسبها نوعا من السعادة النفسية، فقد أجريت تجارب على المرأة الاوروبية في منطقة الهقار، بحيث لوحظ تأثير الوسط في تغيير ملامحها الفيزيولوجية فتشعر بالضيق و سرعة الانفعال عكس المرأة المتجولة التي تشعر بالسعادة و هذا راجع الى التكهرب و القوة المغناطيسية أو غاز الازون في الجو المحلي (1)

و على ضوء ما سبق نلاحظ أن العوامل الطبيعية لوحدها لا تفسر أسباب تخلي الجماعات البدوية عن حياة التخييم و الترحال فهي قد تؤدي الى الاسراع من حركة التوطين كظاهرة كانت موجودة من قبل.

الاسباب الاقتصادية :

يمكن تقسيم المواد الاقتصادية البدوية الى قسمين: أحدهما أساسي يتمثل في القطيع و عليه تحدد الكثير من العلاقات و السلوك كتجديد المكانة الاجتماعية و الادوار، و تحديد مسافات الانتجاع، و أخر تكميلي يلجأ اليه البدوى للحفاظ على توازن يقيه من الهزات الطبيعية، و يتمثل في ممارسة بعض النشطات الزراعية الموسمية أو الاتجار ببعض السلع، الا أن فقر بعض القبائل كثيرا ما يكون عاملا " راجحا" للتوطين فتناقص ثروات القبيلة من جهة و ازدياد حجمها الديمغرافي يوجد نوع من الاختلال يؤدي ببعض أفرادها الى التخلي عن الحياة البدوية و خاصة اذا ما علمنا أن الكثير من الادوار الاقتصادية التي كان

(1).- Ibid, p. 77.

يقوم بها البدوي قد افتقدها نتيجة للتطور الحديث، كتجارة القوافل مثلا فدخول الشاحنة الى الصحراء و الملح الاصطناعي و اختفاء الغزوات التى كانت تدور ثروة على القبائل الكبرى مقابل حمايتها للقبائل الصغرى، لكن السبب الاقتصادي قد يكون كسبب للتوطين المؤقت .

الاسباب الاجتماعية :

تشكل الحياة البدوية تعاونية رعاوية في اطار الاسرة تعيش على الحد الاقصى لامكانياتها بحيث لا تستطيع المقاومة من أجل البقاء الا بالتماسك فأداء كل فرد لدوره داخل الاسرة المكونة للقبيلة يؤلف تكامل الوظائف (1) الا أن توغل الحضارة الغربية في أعماق الصحراء بكل ما تحمله من جوانب مادية و ثقافية أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على العلاقات الاجتماعية البدوية. حيث انتشرت المفاهيم الفردية، فتفكك المجتمع القبلي و تشتت الخيم، فبدأ الجيل الجديد ينفصل شيأ فشيأ عن السلطة الابوية، و ذلك بحثا عن النشاط الجديد في المدن و القرى (2)، و ذلك تحت مزايا و اغراءات الحياة الحضرية. فتحت صدمته بالمجتمع الحديث ظهرت متطلبات جديدة لا يمكن تلبيتها الا في المدن الحضارية ضف الى هذا التغيرات السياسية الجديدة المتمثلة في ظهور الحكومات الجديدة القائمة على أساس الحدود الجغرافية التى قيدت حركة البدو و فرضت عليهم تنظيم اجتماعي و سياسي يتماشى في الاغلبية مع الحياة البدوية، المبنية على أساس الولاء للقبيلة، كما أن الحكومات الحديثة أدخلت بعض الخدمات الاجتماعية في مجال التعليم و الصحة من العوامل الجذابة لتوطين البدوى .

تنطبق الاسباب الانفة الذكر على التوطين التلقائي أو الطوعي الذي يشكل محور هذا البحث.

---

(1).- Charles Toupet : "La sédentarisation des nomades en Mauritanie centrale sahélienne" Op. cité, p. 327.

(2).- Monteil Vincent : "Les tribus du Fars et la sédentarisation des nomades" Op; cité; p. 186.

أهداف التوطين:

تختلف أهداف التوطين بشكل واسع، الا أنه في مجمله لا يخرج عن المحاور التاليـــة :

ـ الاهداف الاقتصادية : تتمثل في ادماج الاقتصاد الرعوي ضمن الاقتصاد الوطني العام. عملية الدمج هذه لا تحقق ثمارها الا بتكيف الانتاج الحيواني مع متطلبات الاقتصاد الحديث بادخال الطرق العملية و الوسائل العصرية في تربية المواشي، و هذه بدورها لا تتأتى الا من خلال استقرار البدو في مكان معين بشكل دائم يسمح المراقبة الدائمة لنمو الانتاج الحيواني. و على هذا الاساس يمكن تحقيق أهداف الخطة العـــامة.

ـ الاهداف الاجتماعية : يستهدف التوطين اجتماعيا احداث تغيرات في البنيات الاجتماعية للبدو، و التي تتناسب مع المرحلة المتقدمة التي يعيشها الحضر فمن باب تحقيق العدالة الاجتماعية الاستفادة الجماعية من عائدات الدخل الوطني كان لزاما على الدولة توفير الخدمات الاجتماعية، الثقافية، الصحيـة، الادارية للبدو و هذا يتطلب ثبات البدو في مساكن مستقرة بشكل جماعي حتى يسهل على الدولة تقديم لهم هذه الخدمات، و من ثم يمكن تحقيق وحدة اجتماعيـة متماسكة في الحقوق و الواجبات (1) .

مشاريع التوطين:

بالرغم من أن البدو المنتشرين في بقاع مختلفة من الكرة الارضية و خاصة المناطق الصحراوية ليزالون يعانون مشاكل عديدة، لكون الاهتمام بهم من طـرف الحكومات لم ترق الى حجم متطلبات هذا المجتمع، و لكن هذا لا ينفي القيـام بالكثير من المشاريع متفاوتة الاهمية و الامكانيات، و عليه اخترنا ثلاثة نماذج من التجارب في كل من آسيا و الشرق الاوسط و افريقيـا .

---

(1)ـ صلاح مصطفى الفوال: " علم الاجتماع البدوي" مرجع سابق . ص 104 .

مشاريع التوطين في آسيا الوسطى:

قبل ثورة 1917 كان الاغلبية من المسلمين في جنوب الاتحاد السوفياتي يمارسون الحياة البدوية و يعتمدون على الاقتصاد الرعوي و نمط الحياة الابوي. و لكن بعد ثورة 1917 اتجهت الحكومة السوفياتية نحو الاهتمام بتفكيك الروابط القبلية للبدو لجعلها تتماشى مع مبادئ الاشتراكية فاسعت لتحقيق ذلك مراحل مهدت لها أولا بالقوانين ثم عن طريق المشاريع، ففي سنة 1920 أصدرت اللجنة المركزية مرسوما بمنع الصراع - و نظام الدية في منطقة كرخيز ثم أصدرت بعدها قوانين تحديد سن الزواج و الطلاق بعدها أقامت قرى جمعت فيها البدو على شكل تعاونيات زراعية لكل السؤال هل نجحت الحكومة السوفياتية في تدمير البنية الاجتماعية للبدو و يذكر الباحث سميزاريف (Smesarev) أن قبائل الاوزبك (Uzbekes) لايزالون يحتفظون بعاداتهم و تقاليدهم و لقد جاء على لسان أحد أفراد كزيل و هو عضوا في الحزب الاشتراكي مايلي:" مادام لانا عينين نعم الذين يختارون لنا الزوجة شئنا أم أبينا (1)". و نورد هنا مثال عن مشاريع التوطين في منغوليا التي يرتكز اقتصادها أساسا على الرعي، و ممارسة هذا النشاط مرتبط بالتنقل، أما تنظيمها يخضع للنظام الاقتصادي، فالرعاة يشتغلون في ظروف سيئة مستغلين من طرف السيد (2). الا أن الثورة الوطنية لسنة 1921 أدت الى احداث تغيرات جذرية في هذه الوضعية حيث أعلنت الدولة ارادتها في الانتقال من الاقطاعية الى الاشتراكية الا أن التجميع السريع و الكامل و كذا بالنسبة للتوطين العام تعرض الى الفشل برز في المرحلة الاولى انخفاظا ملحوظا في عدد الماشية و هذا راجع الى الحذر الذي أبداه المربين اتجاه كل ما هو اشتراكي.

و من سنة 1939 الى 1945 جندت الدولة امكانيات واسعة شملت رؤوس الاموال و الحيوانات بالاضافة الى قوة العمل لتكوين تعاونيات رعوية فالتحق بها الكثير من الرعاة. توسعت هذه التعاونيات سنة 1958 حيث اضطر جميع

---

(1)- Monteil (Vincent) : Op; cité, p. 152.

مربي الماشيه الى الانتقال الى هذه التعاونيات حيث أصبحت تضم نسبة 99.3٪ من الماشية و ذلك ضمن بنيات جديدة من التعاونيات الرعوية، فهناك تعاونيات واسعة تسمى نجدل (Negdel) و هي تشبه البلدية (Commune) ثم تأتي السور (Sour) و هي على شكل خلايا تجمع المربين و عائلاتهم تحت ادارة رئيس مختار و تنظيمها الداخلي يضم ضابط في وحدة عمل، فهذا التنظيم حسب ما يبدو مستمد من الوحدة التقليدية للبدو، و مع ذلك فان هذا المشروع لم يحقق بعد 30 سنة الهدف المنتظر و المتمثل في:

- تجميع سريع و كلي للبدو.
- توطين تـــــام.
- استثمار الصناعة و الزراعة في المجال الرعوي.

و يعرض شوازل و أديت (Choisel) ، (Odire) و فيرونيك (Véronique) مقارنة بين مشاريع التوطين منغوليا و الجزائر فيعتبرون أن كلا الدولتين تهدفان الى تحقيق النظام الاشتراكي الا أن كون جل المجتمع المنغولي يمارس الحياة الرعوية اتجه المشروع كله الى الحياة البدوية من أجل تطويرها بصفة رسمية، أما في الجزائر فان البدو لا يشكلون حجم كبير في الوطن و لهذا لم يكن داعي لتوطينهم بطريقة سلطوية سريعة (1).

مشاريع التوطين في الشرق الاوسط:

اهتمت الدول العربية اهتماما بالغا بتوطين البدو و قد اختلفت الوسائل اليه باختلاف التصور و الامكانيات و كان التوطين يتجه عادة الي التوطين الزراعي و لكن عاملا آخر ظهر في الصحراوات العربية فتح امكانيات جديدة لنوع آخر من التوطين في ذلك هو اكتشاف البترول (2).

(1)_ Choisel (MD) et autre : Adaptation du nomadisme a des structures modernes. Etude de deux communes des hauts-plateaux sud oranais, Mecheria et El-Biod, CENEAP, pp. 124-128.

(2)_ مكي الجميل " البداوة و البد في بلاد العرب" دراسة لاحوالهم الاجتماعية و الاقتصادية و وسائل توطينهم. مرجع سابق. ص 24 .

و لما كانت أكثر حكومات الشرق الاوسط تعتبر البدو كعنصر ايجابي أكثر مما هو سلبي بادرت في تطبيق برامج دقيقة من أجل توطينهم و من بين الطـــرق المستعملـة في ذلك يمكن أن نميز طريقتين الطريقة المباشرة و الطريقة غير المباشرة

الطريقة غير المباشـــرة :

هذه الطريقة غير المباشرة لها هدف آخر غير استقرار البدو و من بيـــن أهمهـــا بناء السكك الحديدية كالتي تربط بين الاسكندرية مع الحدود الليبيـــة أو القـاهرة فلسطيـن مرورا بمناطق سيناء أو أتاوة مناء السودان و أخيرا البرنامج العراقي لتطور السكك الحديدية . ان عملية تعبيد الطرق و انشاء طرق السكـــك الحديدية تتطلب يد عاملة كثيرة، لذلك اعتمدت هذه المشاريع بالدرجة الاولـــى على اليد العاملة البدوية حيث ساهموا في بناء المحطات التي تشكل بعضهـــا نقاط التقاء فتصبح سرعة مراكز تجمع سكاني يهم تجهيزات ذات منفعة عامـــة كالمدرسة ، و المراكز الصحية ، و الاسواق، و التي تستطيع فيها السلطات المركزيـة أن تمارس نشاطها بقوة أكثر . ان حفر قناة السويس لم يكن يهدف الى تثبيـــت الشعوب البدوية و لم يساهم في تشكيل نوع من الحياة المستقرة في قلب الصحراء بناءا على هذه الافكار، فان غاية هذا البرنامج انما كانت منصبة على انتاج و نقـــل البترول، و اليد العاملة البدوية التي استعملت في تنفيذ هذه المشاريع استطاعت أن تتعود على العمل المستقر و السكن الثابت و مهنة جديدة .

ان استغلال البترول كانت له نتيجة أخرى اهم الا ان شركات البحث أدركت أن البترول ليس هو الكنز الوحيد في الصحراء بل توجد أشياء أخرى و لهذا اهتموا بصفة خاصة باستغلال الآبار (nappes aquifères) التابعة للمناطق التي سلمت لهم .

من خلال ما سبق يمكن أن نقول أن كل من الحكومات و المؤسسات التجاريـة قد ساهمت بصفة مرموقة و بشكل غير مباشر في حل المشكلة البدوية .

الطرق المباشـــرة :

بالاضافة الى البرامج غير المباشرة للتوطين هنالك برامج خاصة تهـــدف مباشرة الى مساعدة البدو للاعتماد على حياة مستقرة أو على الاقل أكثر ثباتـــا . و تتوجه هذه البرامج نحو توفير المياه للزراعة عن طريق تخزين المياه و استغلال المياه الباطنية بشكل منتظم . و لقد اعتمدت الحكومات ليس فقط على توفير المياه و لكن كذلك توفير نوع من التعليم ترتبت عنه نتائج حسنة و بالرغم من كون عـــدد الجماعات البدوية غير كافي لتكوين مدارس متنقلة فقد وضعت بعض التجارب و في هذا المجال، و من الملاحظ أنه قد وضع في كل مكان تقريبا اتصال بين البـــدو و الهيئات الحكومية ، فالبدوي الذي يريد تعليم أبنائه يمكنه أن يرسل أبنائـــه الى مدرســة داخلية أو يعهد به الى أحد أقربائه يعيش حياة أقل تنقلا، لقـــد نشرت ادارة الحدود المصريـة احصائيات تبين بأنه في منطقة سيناء يذهـــب الى المدرسة 8000 طفلا (1100 طفل من بين 50.000 ساكن) لقد ترتبت عـــن تطبيق الطريقتين السابقتين في التوطين نتائج حسنة نسبيا حيث استصلحـــت مساحات شاسعة من الاراضي التي تتوفر فيها المياه . الا أنه في المناطـــق الاخرى لوحظ بأن التطور كان بطئ مما دفع الى انتقال البدو الى حيـاة شبـــه بدوية يمارسون جزء من السنة في الزراعة و يتمون الجزء الاخر في حيـــاة التجوال بقطعانهم (1) .

مشاريـع التوطين في افريقيـــا :

من المعروف أن البداوة في افريقيا تنقسم من حيث الوسط الجغرافـــي الى قسمين: بدو الصحراء الكبرى في شمال افريقيـا و بدو مناطق السافانـــا في أواسط افريقيـا و رغم هذه الاختلافات فقد تعرضت البداوة فيها الى نفـس التغييرات التي تعرضت اليها البداوة في المناطق الاخرى من العالم . حيث استقـر

---

(1).- AWAD Mohamed :"Le nomadisme dans les pays arabes du Moyen-Orient".Op. cité, p. 353.

منهم العديد سواء بطريقة تقليدية و هو السائد بشكل اكثر، او عن طريق تدخل الدولة بواسطة مشاريع التوطين كما هو الحال في تونس حيث عمدت الدولة على تقسيم أراضي السهوب المنخفضة الشرقية و سهوب سفاقس على بدو جلاس سواسي و مثليليت و تنانات حيث أقاموا هؤلاء مساكن و غرسوا اشجار الزيتون و قد أنشئت لهذا الغرض ادارة وصية تقوم أولا، تمليك الاراضي لهؤلاء البدو كما تتدخل في الكثير من الاحيان لضمان التطور السريع و المتدرج لعملية تكيف البدو مع الحياة الفلاحية و ذلك بتقديم المساعدات المادية و العلمية لهم، بالرغم من أن هذه المشاريع ادت الى تغير وجه السهوب فقد نتج عنها انخفاضا ملحوظا في الماشية نتيجة تخلي الكثير من البدو عن النشاط الرعوي من جهة و ضيق مساحات الرعي من جهة أخرى نتيجة توسع الزراعة (1) .

ان تطوير الانتاج الحيواني مرتبط بتحسين ظروف البدو، كما أن تحسين هذه الظروف ليست مرتبطة بالتوطين ، يرى جون باقو و برمود ، أن تحسين ظروف الرعاة في المنطقة الساحلية للسودان ينبغي القيام أولا باعداد رجال لكي يستعملون رأس المال الذى تمثله الاراضي الرعوية بطريقة حسنة و كذلك حسن استغلال رأس المال المتمثل في القطعان التي يكسبونها كما أنه لا يمكن لوسائل التنمية نتيجة فعالة الا اذا سايره تطورا في التقنيات المستخدمة و عند توفير هذه الظروف فان وسائل التدخل عند ذلك تكون بسيطة : تطوير الوسط و الحيوانات و استغلال الماشية (2) .

على ضوء مشاريع التوطين السابقة الذكر يمكن تقييمها من خلال عرض مختلف الاتجاهات التي تتراوح بين الرفض التام و التشجيع الكلي لظاهرة التوطين يقف اتجاه بينهما موقف وسطي.

---

(1).- Jean (Despoit) :" La fixation des bédouins dans la steppe de la Tunisie orientale" (71-74) Revue Africaine L XXVI, n° 362.363, 1er et 2ème semestres 1935, p. 73.

(2).- G. Bremand, J.Pagot :" Pâturages, nomadisme et transhumance en zone sahélienne" Op; cité, p. 350.

1 - 5 التوطين من وجهة نظر مختلف الاتجاهات:

لم يعد التوطين يهم فقط الدول و الحكومات الاقليمية أو المجتمعات البدوية نفسها، لقد أصبح يشكل اهتمام المنظرين في العالم، و لكل وجهة نظره الخاصة انطلاقا من خلفيات تبدو لصاحبها أنها موضوعية و على ضوء هذا نميز ثلاثة اتجاهات هامة.

الاتجاه المعارض:

يعارض هذا الاتجاه عملية توطين البدو من وجهتين:

أولا: لاعتبارات انسانية: فالبدو كشكل من أشكال التنظيمات الاجتماعية و ما تحمله من خصائص انسانية. يكون من الافضل أن لا نؤثر عليها فهي تعتبر حسب روبر مونتاني (Robert Montagne) أنها أفضل مثال عن تكيف الانسان مع الطبيعة، فبالرغم من قساوة الطبيعة و عدوانيتها استطاعوا أن يصارعوا العطش و البرد و الامراض كما تمكنوا من تطوير قواعد أخلاقية و اجتماعية راضين بها بل تغمرهم السعادة بها (1).

ثانيا: لاعتبارات اقتصادية: يمثل هذا الموقف نظرة كابوراي (Capot Rey) ففي سنة 1940 كتب " ما هي الاهمية الداعية الى تخريب نمط الحياة الذي هو من دون شك الشكل الافضل لاستقلال الارض و المتأقلم مع المناخ"(2).

و للتوطين نتائج سلبية ذلك لان البدوي فانه يركن الى الكسل ... و يبعد و يبعد كل مجهود أخلاقي و مادي ... ان التوطين الممارس هو آفة اجتماعية" (3).

و باختصار يمكن طرح مشاكل العمران و وضعية تربية الماشية حتى يكون لدينا وعي بحجم و ثقل ظاهرة التوطين (4)، و يرى كابوراي أنه لا يمكن تحقيق

---

(1)_ Robert Montagne :" La civilisation du désert", Nomades d'Orient et d'Afrique, éd. Hachette, 1947, p. 11.

(2)_ Monteil Vincent: op. cité, p. 64.

(3)_ Ibid, p. 61

(4)_ Y. Bonete :" Contribution à l'étude des pasteurs nomades ARBAA, op. cité, p. 108.

توطين سريع في الصحراء لثلاثة أسباب اقتصادية : ندرة المياه، قلة مناصب الشغل في قطاع البترول، نقص في القائدة المكتسبة من الماشية (1). و يتمثل التوطين بالنسبة للبعض انهيار حيث يعتبر بارث أن للبدوى مستوى معيشي صحي جيد و التوطين يحولهم الى بروليتاريا كما أن التعايش الحضاري البدوى يشكل توازن (2) . يمثل هذا الاتجاه الاقتصادي المعارض كما نلاحظ، مجموعة الاوروبيين ذوي النظرة الرأسمالية للموضوع .

الاتجاه الوسطي:

يتجنب الموقف الوسطى طريقة الجبر في التوطين حيث يعترف ليون ليرو (Léon Lehuraux) أن التبدي أو الترحال كشكل قديم للمجتمع البدوى يظهر أنه مدعوا حتما الى الاختفاء عن شكله المعتاد ... يبقى اذن مساعدته على الموت فالمشاريع الصناعية و الاقتصاديسة التي تتوئل في الصحراء هي التي من شأنها أن تأخذ عملية التغير التلقائي للحياة البدوية فانتقال اليد العاملة البدوية الى الصناعة يفرض عليهم بالضرورة الاستقرار، عند ذلك ما على الدولة الا أن توفر الخدمات الازمة لهم . (3)

الاتجاه المؤيد للتوطين:

أما الذين يؤيدون التوطين فيستندون في رأيهم على حق الدولة نحو نفسها و واجبها نحو مواطنيها هذا على المستوى القومي أما على المستوى العالمي فهو يعتبر - التوطين - زيادة للامكانيات الانسانية باستغلال الارض استغلالا أفضل (4) .

---

(1) _ Monteil Vincent : op. cité. p. 104.

(2) _ Ibid , p. 104.

(3) _ Ibid, p. 109.

(4) _ مكى الجميل: " البدو و البداوة في الوطن العربي" مرجع سابق . ص 57.

و ضمن هذا الاتجاه يميز مونتاي فانسو (Monteil Vincent) أربع فروق: للتوطين المشارقة، و الجغرافيين و علماء الاجتماع الفرنسيين و المتخصصين السوفيات و المنظرين الاسرائليين.

الوطنيين المشارقة:

في رأي هؤلاء: البدو عامل من عوامل استغلال الفقير من طرف الغني، و هي استمرار الماضي متقعقر يتناقض مع متطلبات العالم المعاصر لانها تشكل في الظروف الحالية عاملا هاما للتبذير سواء كان ذلك ما تلحقه الحيوانات بالغطاء النباتي الصحراوي، أو تعطيلا للقوة البشرية، فمشاريع التوطين تدعم في النهاية الانسجام الاجتماعي.

وجهة نظر الجغرافيين و علماء الاجتماع الفرنسيين:

يعتمد هؤلاء في تأيدهم لمشاريع التوطين على النجاح الذي أحرزته الكثير من عمليات التوطين، حيث يرى بقيجة (M. Beggeja) (سنة 1930) و هو اداري فرنسي كان فى البلديات المختلطة في السرسوان اتجاه البدو و نحو الزراعة و التوطين قد حقق نجاحا كبيرا، و على ضوء هذه النتيجة يبني الانتروبولوجي بوتي (Petit) 1960 رأيه حيث يقول أنه ينبغي أن نقبل اتجاه البدو نحو التوطين الذى هو في رأينا ضروري (1).

وجهة نظر السوفيات:

ان موقف السوفيات اتجاه التوطين نابع من مبادئ النظام الاشتراكي نفسه فجلهم يرون أن التوطين أمر ضروري لتحقيق الخطة العامة و يظهر هذا الموقف فيما كتبه كاشكروف (Kashkarov) و بقمولوف (Bogomolov)

وجهة نظر الاسرائليين (المنظرين):

الموقف الاسرائيلي يتسم بالعنصرية و مرتكز على سلب الاراضي العربية بشتى الوسائل فقانون الملكية الصادر في 10 مارس 1953 شد الخناق على البدو و حدد مجال تجولهم في صحراء النقب كما أن النظام المتبع في الفلاحة (الكيبوتس) لا يشجع على توطين البدو و العرب (2).

---

(1)- Monteil Vincent: "Les tribus du Fars et la sédentarisation des nomades", op. cité, p. 67.

(2)- Ibid; p. 67

المبحث الثاني: البداوة في الجزائر:

2 . 1 ـ مناطق ارتكاز البدو:

ان عملية تحديد مناطق ارتكاز البدو في الجزائر تكاد تكون عملية معقدة ليس فقط بسبب تباين تضاريس الجزائر و انما أيضا لانتشار البدو بشكل غير محدود نتيجة لتنقلاتهم المستمرة سعيا وراء الكلاء، فبدو الجنوب يضطرون في الكثير من الاحيان الى التخيم في المناطق الشمالية المحاذية للصحراء. كما أن التغيرات التي حدثت في المناطق التلية و السهوب أدت الى تقهقر الكثير من بدو هذه المناطق نحو الجنوب بالاضافة الى شساعة المناطق الجنوبية المتمثلة في الصحراء الكبرى. و هكذا تكون مهمة حصر مناطق البدو صعبة، لكن هذا لاينفي وجود تحديدات قام بها بعض الدارسين و ان كانت غير دقيقة، بالاضافة الى كونها عامة و مطاطة الا أنها تعطينا فكرة عن توزيعهم الجغرافي، فهناك التحديد الذي وضعه بوخبزة و المتمثل في:

ـ المناطق التلية و الجزء الرطب من الهضاب العليا و يمتاز بدو المنطقة بالتنقل الضعيف و ممارسة النشاط الزراعي الى جانب رعي الماشية دون الجمال.

ـ المنطقة الجافة بالنسبة للهضاب العليا و يضطر بدو هذه المنطقة الى التنقل بشكل أكثر من أجل الرعي و لذلك نجدهم يقومون بتربية الجمال بدلا من الماشية.

ـ المنطقة القاحلة الجنوبية، بدو هذه المنطقة يتميزون بتربيتهم للجمال بشكل واسع و يتنقلون باستمرار نتيجة ندرة الكلاء، و الماء، و على أساس هذا التوزيع نلاحظ أنه كلما اتجهنا نحو الجنوب تزداد صفة البداوة (1)، لكن هناك ثمة ملاحظة تبين أن هذا التوزيع الجغرافي للبدو غير مرتبط بالوسط الفيزيائي فقط بل هو أيضا نتيجة لماضي تاريخي للبلاد و كنتيجة للتطبيم

---

(1)_ Hakem R. : "Eléments pour une éco-politique du nomadisme précolonial en Algérie", op. cité, p. 23.

الاجتماعي لسكانه (1) فالهضاب العليا و الاطلس الصحراوي أو ما يعرف بالسهوب تمثل منصة لتربية الماشية و لذلك هي أهلة بالسكان منذ عهد قرطاجة استعمرت من طرف الروم، نتيجة لاراضيها الزراعية المتمثلة في السهل الشمالي الممتد في اتجاه تونس. في حين المنطقة السهبية فهي خاصة بالبدو بحيث تمثل مجال رعيهم و تجوالهم، يذكر قوتيار (E.F Gautier) أن الصحراء لم يكن بالامكان التوغل فيها الا بعد مجئ الرومان الذين حملوا معهم الجمال الى غرب افريقيا، و عند سيطرة الوندال على هذه المنطقة من افريقيا بدأت أمة فتية تتشكل شيأ فشيأ و بدأت تعي بقوتها (2).

- يترتب عن التوزيع السابق محديدات اجتماعية و اقتصادية فبدو الهقار على العموم فقراء، بحيث لا يوجد اختلاف اجتماعي كبير بينهم على العكس ما في الهضاب العليا الجزائرية فهناك بدو أغنياء يملكون الكثير من رؤوس الماشية (3).

المجال الجغرافي لتنقل البدو:

ترتبط تربية الماشية في البلدان التى تقل فيها كمية الامطار بالبداوة ذلك أن ضرورة تجديد الاعشاب المستهلكة في الصيف، و مياه مناطق الرعي و كذلك حماية الماشية من قساوة الشتاء، كل ذلك يفرض على الراعي التنقل الموسمي (العشاب في الصيف، و العزابة في الشتاء) و هذا التنقل لا يعتبر مجرد تقليد اعتدوه، و لكن يخضع لقوانين مناخية محددة، و من ثمة فان هذا التنقل لابد منه و لما كانت لفظة البداوة تعني: كل من ينتقل من مكان الى آخر، فلابد من التمييز بين بين بداوة الهجرة الموسمية التى تتم في مجال واسع، و بداوة الهجرة المحلية و تتم داخل الحدود المحلية.

- بداوة الهجرة الموسمية : من أكبر القبائل التى تمارس التنقل الموسمي

---

(1)- Jean Sagne :" L'Algérie pastorale, ses origines, sa formation, son passé, son présent, son avenir". Op; cité, p.IV.

(2)- Ibid, p. 49.

(3)- Aktouf R. :"Nomadisme en Ahaggar", op. cité, p. 28.

صيفا و شتاء :

- الاربعاء (الاغواط).
- سيدي خالد (ورقلة).
- عرب شراقة (بسكرة).
- عرب غرابة (تقورت).
- اولاد زكري (أولاد جلال).
- و في السنين الاكثر جفاف اولاد نايل في (الجلفة) .
- و أولاد عمور في (عين الصفرة).
- و اولاد حسبان في (مشرية). (1)

و هناك قبائل تتنقل لمسافات بعيدة كقبائل الارباع و الشعانبة حيث يتجهون نحو وادي ريع، أما قبائل ربيعة فان مجال تنقلهم هو العرق الشرقي الكبير و اولاد سيدي الشيخ في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، و قبائل الرقيبة يتجولون من أقصى الحمادة الشمالية لتندوف باتجاه الجنوب الموريتاني و غرب بوسيف و زمور. وفي الجنوب الشرقي هنالك طوارق الجزائر فانتجاعهم يكون باتجاه الجنوب الشرقي للواحات .

بداوة الهجرة المحلية : و يخص قبائل الشمال الصحراوي حيث يتجولون داخل مثلث الاغواط ، القليعة و الوادي.

2 - 2 بنية البداوة في الجزائر.

1) - بنية البداوة الاجتماعية و الثقافية :

تتركز الحالة الاجتماعية للبداوة أساسا على الابوية ، فالاب هو محور العائلة فهو صاحب السلطة في البيت و ينوب عنه ابنه الاكبر أثناء غيابه فالفرد هنا لا يعيش مستقل عن العائلة الابوية بل يعيش و يتفاعل ضمن وظائف العائلة نفسها ، فالزواج لا يتم الا بأمره كما أن الاب هو الذي يتولى

---

(1) - Léon Lehuraux :"Où va le nomadisme en Algérie ?", op. cité p. 27.

تعليم ابنه و نقل تراث الاجداد اليد فما يفعله الاب هو المستحسن و السليم في نظر الابن .

كما لا توجد فروقات الاجتماعية بين البدو فالصراع الطبقي لامعنا له هنا ، فالجميع لهم نفس الحاجيات سواء تعلق الامر بالسكن الذي هو الخيمة أو الطعام الذي ينحصر في الغالب في الحليب و التمر و الكسكسي، الى جانب العائلة كمؤسسة اجتماعية نجد :

أ ـ الدوار و هي الخلية الضرورية لحياة الجماعات الرعوية ذلك أن الراعي بمفرده يستحيل عليه مواجهة مصاعب الطبيعة فابتعاده عن الجماعة معناه موته كبدوي، و من ثمة فان ضرورة التلاحم لمواجهة قساوة البيئة تترجم اجتماعيا من خلال (العزيلة) أو (التويزة) و هي شكل من أشكال التعاون يتم بشكل جماعي.

و الملاحظ أن الدوار المتكون من مجموعات من العائلات الكل فيها يتساوون نضرا لصغر عدد العائلات من جهة و عدم وجود أجانب من جهة أخرى اذن كما نلاحظ فان الجماعة هي الاطار المحيط بالفرد و ضمنها تظهر فعالية الشخص (1) .

ب ـ القبلية : و هي الوحدة الادارية للجامعة البدوية شبيهة بالدولة يستمد رئيسها سلطته من المكانة الاجتماعية للاجداد.

2) ـ البيئة الاقتصادية :

وصف الكثير من الدارسين الاقتصاد البدوي بالبساطة و لكن هذا التبسيط المبالغ فيه ينبغي أن لا يكون موجها لنا لاستخلاص أحكام سطحية تخفي ورائها الواقع من العائلات الاجتماعية تستند في ذات الوقت على هذه القاعدة الاقتصادية و عليه فاننا سوف نركز على وسيلتين لتحليل هذه البيئة : الوسيلة الاولى تتعلق بالملكية و ذلك على ضوء التغيرات الاجتماعية التي حدثت في المجتمع الجزائري و المتمثلة في اختفاء أنواع مختلفة من الملكيات التي كانت سائدة (ملكية

---

(1) _ Ibid, p. 43.

العرش، و الحابرس، ملكية البايلك و العزلة) فأنواع الملكية السائدة اليوم هي الملكية العائلية التي تعتبر بالنسبة للبعض ملكية خاصة ، فالملك اذن عبارة عن ملكية خاصة ذات شكلين أساسيين، من جهة تعتبر ملكية استغلالية في حالة استخدامها لرعاة ، أما في الحالة التي تقوم العائلة بنفسها بوضيفة الرعي فلا وجود لظاهرة الاستغلال .

- الملكية التعاونية : و هي تنظيم حديث النشأة تستغل بتربية الماشية بطريقة جماعية أحدثتها الدولة من أجل تطوير قطاع التنمية الحيوانية و تحقيق استثمار أمثل له .

- الوسيلة الثانية في التحليل تتعلق بطبيعة التقنيات المستخدمة في الانتاج فهي تقنيات ذات تطور بطئ جدا لارتباطها بتغيير المرعى و الحيوانات و توسيع المراعي، و زيادة وزن الحيوانات و هذه العملية كلها تخظع لبيئة الايكولوجيا التي غالبا ما تؤدي الى اصابة البداوة الرعوية بكوارث تقضي على جزء من ثرواتها يصعب عليها تجديدها و تنميتها في زمن قصير و خاصة اذا امتدت فترات هذه الكوارث المتعلقة بالامراض و الاوبئة و الجفاف. و لذلك نلاحظ أن بنية الاقتصاد البدوي تقليدية و مرتبطة بالطبيعة بشكل أكثر .

3) - البنية الديمغرافية :

تتركز الملامح الديمغرافية على عاملين رئيسيين الاول طبيعي و الثاني اجتماعي، ولكل منهما تأثير في تحديد النمو الديمغرافي و توزيع الكثافة السكانية للبدو:

فالعامل الطبيعي و المحدد لمجال البداوة و المتمثل في الهضاب العليا و المناطق الممتدة من الشمال الى الجنوب و المحصورة بين الاطلس و العرق الكبير، تعتبر سهوب فقيرة لكونها شبه صحراوية ، ماعدا الواحات التي توجد في الاماكن المتوفرة على المياه ، و المنطقة الصحراوية القاحلة ، هذه الوظعية

الفاضلة تعطي اهتمام خاص للظاهرة الديمغرافية و من دون شك فان العدد الاجمالي للسكان هو ضعيف جدا بحيث أنه لا يصل عشرة سكان الشمال بالرغم من أن المساحة الصحراوية أكبر بعشرة مرات من الشمال.

ففي سنة 1929 كانت نسبة البدو في الاطلس الصحراوي و الهضاب العليا[1] تقدر بـ 81 ٪ هذه النسبة انخفضت سنة 1949 الى 58٪ على العكس بالنسبة للواحات و الصحراء شهدت نسبة البدو و أشباه البدو و ارتفع من 38,7٪ الى 40,8٪ بالنسبة للحالة الاولى هناك تخلي البعض عن شكل الحياة البدوية أما المناطق الصحراوية نلاحظ أن احصائيات 1936 حددت عدد البدو في الصحراء 920.000 نسمة.

و هناك تقيم بالنسبة المئوية قام به (Capot Rey) و هو يشمل المناطق البدوية الثلاثة : الاطلس الصحراوي و الهضاب العليا : 58٪ من البدو و 17٪ شبه بدو و 24٪ حظر.

الزيبان واد ريغ سوف و مزاب : 38٪ بدو، 12,8٪ شبه بدو، 56,8٪ حظر الصحراء : 27,7٪ بدو، 8,8٪ شبه بدو، و 63,4٪ حظر. نلاحظ من خلال المعطيات السابقة أن نسبة البدو في الاطلس الصحراوي أعلى من المناطق الصحراوية و هذا يعود الى عامل طبيعي ففي المناطق الاولى تتوفر المراعي و المناخ المعتدل للحياة الرعوية ملائمة. أما المنطقة الصحراوية فهي تمتاز بقساوة الطبيعة و لذلك نجد نسبة البدو أقل من الحظر الذين يتمركزون في الواحات.

الى جانب العامل الطبيعي، فهناك أيضا العامل الاجتماعي الذي يلعب دور رئيسي في النمو الديموغرافي للبدو، و عليه يجب علينا معالجة طبيعة التوازن بين معدل الخصوبة لمختلف الجماعات المحلية من جهة و حركة الافراد التي تنتج من مجموعة الى أخرى فضلا عن تلك التي تتم داخليا بالنسبة للمجموعة الواحدة.

---

(1)_ Ibid, p. 29.

فالمناطق السلبية و الهضاب العليا التي منذ عهد قريب كانت محرومة من أي وجود طبي الا أن حركات السكان و الاوبئة التي تحدث من فترة الى اخرى و ضعف الخصوبة كل هذه العوامل عملت على الحفاظ على مستوى ثابت لعدد السكان لكن ثمة مؤشرات تبين ان مجموع النمو الطبيعي ينبغي أن يكون مرتفع لدى البدو و عنه لدى الحضر وهذا حسب في النظام الغذائي لدى البدو و أحسن منه لدى المستقرين في المدن، فهو غني بالبروتينات و من وجهة النظر الصحية و المناخية فان المجال البدوي أكثر مساعدة على النمو السكاني لان سكان الخيم اقل اصابة بالاوبئة بحكم الانتشار في المجال و لكن بالرغم من هذا فاننا نلاحظ عدم توازن ديمغرافي بين البدو و الحضر بحيث نلاحظ اتجاه الهجرة من الاولى اتجاه الثانية أن أن حركة السكان تتجه من منطقة ذات الكثافة الضعيفة الى المنطقة المزدحمة[1] لا يعنينا هنا في هذا التغيير بالدرجة الولى تطور توطين البداوة بحيث يظهر أنه خلال كل جيل الكثير من أفراد القبائل تعلن بأي طريقة كانت مبررات لوجودها البدوي و تستقر في أماكن ثانية فيتحولون الى فلاحين أو قرويين .

2 - 3 - الطرق الاجتماعية و التاريخية للجزائر و اثرها على استقرار البدو.

ان ظاهرة توطين البدو ظاهرة لها جذورها التاريخية القديمة جدا، حيث يذكر هرودوت (Herodote) أن ماسينيسا تدخل لانتزاع الحياة المتنقلة للبدو و ربطهم بالارض و الضغط عليهم للعيش بالقوة في المدن، و يذكر بوليب (Polybe) أن نجح بذلك، هذا العامل أكمله فيما بعد الرومان، الا أن اجتياح الرومان على افريقيا لم يكن كاملا و لم يتوغلوا في الصحراء باستثناء الجنوب و الجنوب الغربي للاوراس و الحضنة، و السواحل الشمالية الى أن تحول البدو الى فلاحين بالقوة لم يؤدي الى تكيفهم مع هذه الحياة المستقرة فنلاحظ أنه في فترات الاضطرابات ينتهزون الفرصة من أجل العودة الى حياتهم القديمة

(1) - F. Barth : "Le nomadisme dans les montagnes et sur les hauts-plateaux de l'Asie du sud" (369-385). Colloque international sur les problèmes de la zone aride. Paris, UNESCO, 1960 p. 371.

فعندما اجتاح الوندال الجزائر في القرن ٧/٧٢ رجع البدو الى نظامهم القبلي الذي كانوا عليه منذ ثلاثة قرون (1) أما أهم تغيير في الحياة البدوية حدثت أثناء دخول الهلاليين الى الجزائر حيث شهدت المناطق الوسطى و الحضنة و السهول، الموجودة في الشمال و التي تعرف اليوم بالصحراء توطن فيها البدو نظرا لكونها منطقة زراعية أكثر منها رعوية (2).

- العهد العثماني: لقد تبنت الادارة العثمانية في الجزائر سياسة التفاهم و الود مع رؤساء القبائل فأغلب البدو توقفوا الجنوبية للتل فكانت الادارة على علاقة بأولاد سيدي الشيخ، و شيوخ جبل عمور و حراد و أولاد مختار بالتيطري (المدية)، و شيخ الحناشة و أخرون كثيرون، و لقد كان هدف الادارة العثمانية من تمكنها في القبائل بجمع الضرائب المتنوعة من البدو و أثناء وجودهم في التل و ضمان ولاء القبائل للسلطة العثمانية (3) فسياستهم كانت تستهدف جلب كل البدو من الصحراء الى التل ليسهل عليها جمع الضرائب منهم فتشتتهم في أعماق الصحراء يجعلهم في منئى من دفع هذه الجباية. كما أن وجودهم في التل يكون فقط لبعض الاشهر و هي الفترة الكافية لتبديل قطعانهم و أصوافها بالقمح، فور انتهاء العملية يكونون قد أخذوا منهم ما أمكن ليعودوا مرة ثانية الى الحياة البدوية في الصحراء أما السكان التي كانت لهم علاقة سيئة مع الادارة العثمانية منعت من الرعي في التل (4).

و على ضوء ما سبق يمكن أن نقول أن الادارة العثمانية لم تساهم لا من قريب و لا من بعيد في حل مشاكل الجماعات البدوية. بل حافظت على البنيات الاجتماعية الموجودة خاصة تلك التي تخدم مصالحها المتعلقة بجمع الضرائب

---

(1) _ Augustin [illegible] N. Lacroix :"L'évolution du nomadisme en Algérie." Imp. orientale, Pierre Fontana, 1906, p. 20.

(2) _ Ibid, p. 22.

(3) _ Alain (Romey) :"Les Saïd Atba de N'Goussa", histoire et état actuel de leur nomadisme, éd.L'Hamattan, 1983, p.21

(4) _ Augustin Bernard, N. Lacroix : op. cité, p. 27.

التي لعب فيها رؤساء القبائل دورا مهما اذ كان يتم جمعها لرؤساء القبائل الكبرى لتعطى للادارة العثمانية أثناء وجودهم في التل، و ذلك بالرغم من أن عائدات الاقتصاد البدوي جلها وجهت نحو تحقيق مستوى من الكفاف للبدو.

و عند احتلال فرنسا للجزائر لم تكن السلطة العثمانية تمارس أي سلطة على ما وراء الاطلس الصحراوي باستثناء بسكرة (1) الا أنها كانت تسيطر عليهم بطريقة غير مباشرة عن طريق موالات رؤساء القبائل لها .

العهد الاستعماري الفرنسي:

ان الفترة التى عاشتها الجزائر تحت كنف الاستعمار الفرنسي لا يمكن فصلها بحال من الاحوال عن وضعية البدو في المرحلة الحالية ذلك أن تأثير الاستعمار على القبائل البدوية ظهر بعد احتلال المناطق السهبية في أواسط القرن ما قبل الماضي بعد القضاء على المقاومات التي قادها الامير عبد القادر سنة 1947، و التي كانت مقاومة بدوية و الدليل على ذلك تقنيات الحرب و التنظيم العسكري الذي اتبعه الامير خاصة فيما يتعلق بالزمالة العاصمة الادارية المتنقلة، و بعدها أتم احتلال الاغواط و ورقلة و تقرت على التوالي 1852، 1853، 1854. (2) و تمثل هذه المناطق بالنسبة للبدو مراكز للعاشبة في فترات الصيف.

و بعد أن استتب الوضع لفرنسا حاولت تنظيم كل ما يتعلق بالملكية

---

(1)- Pierre Robert Baduel :"Le défi sahari "dans "enjeu saharien" ... (13-19). Table ronde (CREMS) Nov. 1981 éd. Centre national de la Recherche Scientifique, 1984, p. 14.

(2).- Jean Sogne :"L'algérie pastorale", op. cit. p. 72.

على أســاس القانون الفرنسي و عملا بمبدأ الجزائر الفرنسية ، و أهــــم القوانين التي صدرت في هذا الشأن قانون 22 أفريل 1863 سيناتوس كونسلت (Senatus Consulte) الذي يهــدف الى تحديد القوانين المتعلقة بالارض فصنفتها الى أرض الملك و هي أراضي خاصة ، و أراضي العرش التي تعتبـــر ملكية جماعية . لكن هذه القوانين المناطق الشمالية أما الصحراء لم يمسها هذا القانون بشكل فعلي الا بعد 1871 (1). فتبل دخول المعمرين الى هــذه المنطقة المشارة كانت تتم دون أي مشكـل لان الهضاب العليا لم تكــن أهلة بالسكان بشكل كبير الا أن المعمرين الاوائل الذين غادروا بلادهم أصبحــوا فلاحيــن في الجزائر عند امتلاكهم أراضي المناطق التلية و في الهضاب العليا أصبحوا يطبعون ما يعرف بالفلاح المواكر (Dry Farmer) (2)، فتوسعـــت بذلك المناطق الزراعية على حساب المناطق الرعوية ، مما أدى الى اعاقــة العشابة كما أنه فرضت على القبائل البدوية عمارست هذا الانتجاع الموسمي اجراءات و قوانين في بعض الاحيــان نجد أن السلطات الفرنسية تجــاوزت تقييد تجوالهم الى منعهم من ذلك نهائيا . مثلما وقع لقبائل سيد عتبة سنـــة 1873 و 350 خيمة ، 525 ابل، 6500 ماعز.

و في اجتماع 8 جانفي 1923 الذي ضم المسؤولين العسكريين و المدنيين حددت فيه مساحات الانتشار لاراضي مخصصة للراحـة ، و الفترة التي يكون فيها الرعي مسموح للرحـل فحددت بين 15 أفريـل و 1 ماي بين جويلية و 15 أوت، لكن هذا القانون لم يأخذ بعين الاعتبــار خصائص كل منطقــة (3) .

ان فترة الاستعمــار الفرنسي كانت أشد على البدو باعتبارها أحدثــت تغيرات أهمها ابعاد بعض الوظائف التي كانت لدى البدو، كالنقل عن طريـق الجمال، فدخـول الشاحنة الى الصحراء سنة 1925 قضت تمـاما على تجـارب

---

(1) _ Ibid, 72.

(2) _ Ibid, 77.

(3) _ Alain Romey :"Les Saïd Atba de N'Goussa", op. cité, p. 95.

القوافـــــل و أصبح أيضا الملح الصناعي يمارس انتاج الملح و تصديره من طرف البدو و فقد بذلك قيمتـه ، و مع زيادت الاستثمارات الرأسمالية في المنطقة حولت البدو الى أيادي عاملـة بعد ذلك أضحى أنهم غير قادرون على مواجهـة المضايقات الاستعمارية سواء كانت مباشرة عن طريق العنف أو غير مباشرة عن طريق القوانين (1) و هذا ما يفسر عملية تهديم البنية البدوية من الاساس حيث اظطر الكثير الى التخلي عن الحياة البدوية لممارسة شغل مستمر نوعا ما عند المعمرين و مست مجموعة التوطين هذه الافراد و الجماعات مثلما حدث لقبيلة بني طهور (2) .

لقد شمل تأثير الاحتلال الفرنسي كل جوانب الحياة بما فيها وسائل التعامل الاقتصادي و يظهر ذلك في ظهور التعامل بالعملة نقدا اذ أدى الى تفكيك القبلية ، فمنذو قرون التجار في الصحراء تبادلهم كان يتم عن طريق المقايضة تمر مقابل قمح، قماش، الدوكا أو الدورو كانت نقود للعد أو الحساب أول من استخدمه للتبادل الفرنسيون، حيث أدخلو التعامل بالنقود من خلال أجور العاملين في فرقها العسكرية المنح العسكرية و التقاعد و نفاقات السواح تدفق هذه الاموال غيرت مختلف العلاقات بين مختلف الفئات الاجتماعية فالراعي كان دائما موجودا لدى بدو الصحراء لكنه كان يتحصل على مقابل طبيعي - بعض أصناف التغذية و الهدايا و في كل سنة يتحصل على عدد من الحيوانات التي تبعث فيه الامل ليصبح مالك قطيع في يوم ما ، أما النقود التي يتقاضاها لا تسمح له بتكوين قطيع لان النقود توضع في يده فيشتري بالفائض منها بعض المجوهرات (3).

لقد سعى الاستعمار الفرنسي الى ايجاد نوع من التطابق و الانسجام بين المتطلبات العسكرية و السياسية و تدعيم الاقتصاد الرأسمالي فكانت ايديولوجية مبنية على أساس كسر الرباط الحامي لمنطقة الاقتصاد البدوي

---

(1) _ Ibid, 97.

(2) _ Ibid, p. 100.

(3) _ Capot Rey : "Le mouvement et la population dans les territoires du sud", op. cité, p. 246.

و ذلك بالاستلاء مباشرة على الانتاج الرعوي لتغذية احتكاريته للقطاع الرعوي ان الاثر العميق لهذه السياسة المسيطرة اتجاه المجتمع البدوي تنتج لنا ضروف جديدة لدوران اعادة الانتاج فهنالك تاجر كبير من المعمرين و هو حضري بالطبع مقابل مربي كبير للماشية و هو بدوي، هذا المصدر الاستغلالي لقوة العمل الاكثر تعتقد التي ترتبط بين البدوي و المنتج و الحضري الذى هو في موقع اجتماعي و وضيفة ادارية فعالة يحدث نوعا من الاختلال في التوازن الذي يصاحبه نوع من الاتجاه نحو سيطرة و استغلال البدوي من طرف الرأسمالي الحضري (1).

تأتي بعد ذلك الثورة التحريرية لتؤدي الى تقلص نسبة التوطين التى تسارعت وتيرتها بعد الحرب العالمية الاولى، و هذا التقهقر يرجع الى سياسة التفقير التى انتهجتها فرنسا من قمع الاهالي بحيث أدت الى عدم تمكن البدو من التكيف مع قيم التوطين (2)، فالتوطين يقتضي تغيير الحرفة فلا يمكن ممارسة تربية الماشية في المناطق السهبية دون تنقل و أمام هذه الوضعية يفضل البدوي التجول في الصحراء و المناطق الرعوية مع عدد قليل مما تبقي له من الماشية و عملية تشكيل القطيع مستحيلة و ترتب عن ذلك تحرير يد عاملة بدوية مهمة أصبح الحضر و الموالين القاطنين يستغلونها و هذا أدى الى تقوية الماشية التى فقدت الطابع البدوي و أصبحت تمارس على شكل مضاربة أي أخذت الطابع الرأسمالي التبادلي و هي بذلك تخدم مصالح كبار تجار الماشية الذين يحققون ثروة لابأس بها على حساب البدو الذين تحولوا الى رعاة مأجورين .

- ان زيادة حدة القمع الذي ضهر مع اقامة المحتشدات العسكرية أدت الى نتائج مريعة فيما يخص تقلص رؤوس الماشية و تشتت الشعب و تجزئته حتى بدت عملية الانسجام تكاد تكون مستحيلة (3) .

---

(1) - . El KENZ(A)"Elevage et agriculture", dans l'étude pastoralisme Daïrate Mecheria et El-Biod, AARDES- Alger- 1978., p. 53.

(2) - Boukhobza (M):"L'agropastoralisme traditionnel en Algérie" op. cité, p. 305.

(3).- F. Fanon(F) "Sociologie d'une révolution", éd. Maspero, France 1968., p. 105.

وضعيـة البداوة بعد الاستقلال:

ان تأثر الوضعيـة العامة للبداوة في الوقت الحالي بثقل الفترة الاستعمارية أمر لا يختلف فيه اثنـان، و يترجم هذا الحكم في الضواهر التى برزت بعد الاستقلال مباشرة حيث ضهرب موجة من التوطيـن في المناطق الحضاريـة بشكل كبير جـدا فاختل التوازن بين المجـال البدوي الذي أصبح معطل عن وضيفتـه ، و المناطـق العمرانيـة التى اكتضت بالسكـان و تشوه مضهرهـا العمرانـي نظـرا لاحاطتها بالبيوت القزديرية و ما يتبـع ذلك من سلبيـات على الواقـع الاجتماعي و الاقتصـادي.

و أمام هذه الوضعيـة السيئـة حاولت الدولـة تدارك الموقف فبـادرت بعدت اجراءات آنيـة و آخرى بعيدة المدى و منهـا :

- مشاريـع التوطين:

لقد ارتبطت مشاريع التوطين في الجزائر بعد الاستقلال باستغلال المجـال الصحراوي و دمجهـا ضمن الاقتصـاد الوطني فاتبعت سيـاسـة خاصـة من أجـل توطيـن البدو و دمج اليد العاملة المحليـة في الواحدات الحرفية و الصناعيـة الجديدة و تغير شكل الحياة من خلال اقامة قرى اشتراكيـة و لقد دعمت هـذه السيـاسـة بقوانين و مخططـات فكان مشروع تطور السهوب و تربية الماشيـة مجـال اهتمـام المرحلـة الثانيـة من تطبيق الثورة الزراعية .

فالمراسيم الخمس لـ 30 ديسمبر 1975 المتعلقة بموضوع اعادة تنظيـم الشروط الاجتماعية الاقتصـادية للملكية الرعويـة حاولت وضع النصوص القديمـة لميثـاق الثورة الزراعيـة حيز التطبيق، و المرسوم رقم 75. 43. 17 جـوان 1975 حددت قواعد الرعي على الشكـل التالي:

1) ـ تحديد مساحات الرعي و ملكية رؤوس الماشيه و الاراضي المزروعة من طرف الثورة الزراعية .

2) ـ القانون النموذجي للتعاونيات الرعوية للثورة الزراعية (CEPRA) هذه الاخيرة قسمت نشاطها الي :

أ ـ تنظيم و استغلال و تهيئة الاراضي الرعوية .

ب ـ التطوير و الرفع من عدد الماشية و تبادل الاغذية بين مختلف المناطق السهبية (1) .

أما المرحلة الثانية من الثورة الزراعية فتعطي الاولوية في تدخلها للتخلص من العلاقات الاجتماعية للانتاج الحيواني السهبي بتوجيه المكتسبات المحققة خلال المرحلتين الاولتين في الجانب الزراعي، حيث يأخذ بعين الاعتبار اعادة تنظيم شروط الانتاج للتقدم الضروري و المرتبط بالسياسة العامة لاعادة توزيع الماشية عن طريق مقاييس نزع الملكية التى استمدت من المبادئ المحددة في الميثاق (الاعشاب و الماشية لمن يرجعها انتاجية بالعمل و الذين يعيشون منها مباشرة) (2)، اذن المربي هو كل شخص يربي و يتغذي و يتولى استغلال في القطيع لحسابه الخاص فيستفيد بذلك من حق اكتساب بطاقة تخول له حق استخدام المراعي و الحصول على مساعدات من الهيئات المكلفة بذلك ، من ثم فان تحقيقها لاهدافها بشكل كامل لم يحصل اذ هذه المشاريع السابقة أهم ما يؤخذ عليها هو تأخرها عن الاهتمام بالحياة البدوية ، كما أنها لم تعمل على تطوير و استغلال الوسائل و الامكانيات الموجودة بل اتبعت طريقة التغيير و التعديل المسبق كما هو موجود فالاراضي المستصلحة توجد عادة بعيدة عن القرى التى بنيت، فقبائل الرقيبة في تيندوف و بدو السعيد التى تم توطينها في خمس قرى اشتراكية ذات تخطيط عمراني مستقبلي (3) بالرغم

---

(1) _ Houes EL Kenz : op. cité, p. 62.

(2) _ Ibid p. 62

(3) _ Perennes(J.J.):"Nature et enjeux de quelques projets récents de mise en valeur" (253-265), dans Enjeux sahariens, 1984 p. 259.

من الملايين التي أنفقت على هذه المشاريع و بالرغم من تجنيد كل الوسائل المادية و البشرية فان الفشل أبطأ تطورها و الـ سبب لا يعود فقط لاسباب طبيعية و انما أيضا يعود الى أسباب انسانية فرعاة الرقيبة أبدو تردد ازائها نتيجة ضعف عائداتها (1) فالتوطين الذي يعتبر انجاز المرحلة الثانية من الثورة الزراعية في بعض البلديات (بلدية سعيدة) على سبيل المثال نتائجه كانت جد مخيبة سواء كان ذلك على الماشية أو على الانسان نفسه (2)

ان طريقة الاتصال بالبدو من طرف المخططين و الاداريين نفسها لم تكن سليمة فالالتماس المذكور الذى تحدث عنه منتاي فانسو (Monteil Vincent) و المتمثل في عدم احداث تطوير كلي و مفاجئ عند اعادة الاعتبار لهؤلاء البدو و اختياراتهم محاولين في ذلك احترام مستقبلهم يمكن أن يكون من الضروري عدم أخذ اللهجة المعتاد سماعها دائما عند اتصال المخطط و الاداري بالبدوي (ثق فاننا سوف نساعدك) و لكن في المقابل ينبغي حثه (ماذا يمكن أن تفعل بنفسك) و الى أي درجة خاصة أنت بحاجة البنا (3) و هكذا يبدوا أساسا أن تغيير الحياة البدوية ينبغي أن تكون مشاهدة و مسموحة من طرف البدو أنفسهم كنتيجة لمجهوداتها الخاصة و ليس كضرورة دائما مطلوبة من الدولة .

---

(1) _ Ibid. p. 250.

(2) _ Hakem : op. cité, p. 2.

(3) _ Alain Romey : op. cité, p. 158.

الفصل الثالث

استقرار البدو في قصر البخاري وانعكاساته

المبحث الاول : العوامل المساعدة على استقرار البدو في قصر البخاري :

1 - 1 الاهميــة التاريخيــة لقصــر البخــاري :

ان التركيبة الاجتماعيــة و العمرانيــة لقصر البخاري يؤكدان على ان المدينــة هي امتداد لماضي تاريخي عريق ، ارتبطت حلقاتــه بشكل يوحي بالمراحل التي مــرت بها المنطقة كمــا يتضح بتاثير الطابع البدوي على حياتها الاجتماعيــة و الاقتصادية و العمرانيــة و لكــن افتقرنــا للوثائــق التاريخيــة الدقيقة المتوفــــرة بين ايدينــا لبناء الوقــائع و تفسير الظواهــر غبان الاطار الجغرافــي يجعله اكثر واقعيــة . فسلسلــة الهجمــات التي تعرضت لهــا البــلاد تجــد تفسيــر لها في طبيعة التضاريس التي كانت لهــا تــاثيرات دائمــا حاسمــة بالنسبــة لمصيــر قاطني المنطقــة (1) .

فالاتجاه العام للسلاسل الجبلية المتوازيــة جعلت نشــاط الاتصال سهلا بين الشــرق و الغرب للمغرب العربي . و لكن في نفس الوقــت ضعفت مـــن العوائق بين السواحــل و الجنــوب ، وهــذا ما يفســر توغــل العديد من القادة العسكرييــن في المنطقــة .فمساهمــة هــذه التضاريس و مظاهرها التي ذكرناهـــا ، يمكن القــول ان قصر البخــاري كــانت من الفتح الاسلا مي ما بين القرن 7و القرن 11 منطقة عــبور و استقــرار لمجموعات اجتماعية مختلفــة ، ففي القرن 10 حل بالمنطقـــة الفاطمييــن المنحدريــن من سلالــة الرسول (ص) و تركتــوا ارثهم الى بولوغيـــن بن زيري حاكم قرطاجـــة الذي كان قائدها المخلص ، و بامــر من الخليفة الزيري الكريم تم بنــاء عاصمة تسمــح باعطاء قوة للمنطقة و تكون مخزن للثروة الحيوانيــة البدويـــة والحبوب الفلاحية ، فبنيــت مدينــة اشيــر شــرق قصــر البخاري على منحدرات جبل الاخضـــر كانت هــذه المدينــة بمثابة تجمــع عمرانــي ممهــد لظهور قصر البخاري فيما بعــد و لقــد تم اكتشاف اثــار الزيرييــن من طــرف (G.MARCAIS) (2) .

ظهــرت اهميــة اشيــر بسرعة اذ انهــا بنيــت في ظــروف جغرافية ملائمــة للعاصمة فهــي تــوجــد على الحدود التي تفصــل السهول عن التل الغربي وجبال القبائل الشرقيــة ، فهي تتحكــم في طريق الذي يتسلق الساحل ويتبع المرتفعات و يمكــن من خلالهــا مراقبــة بــدو السهـــول .

لقــد تلقى بنــاء هذه المدينــة تشجيعا من الخليفة نفسه بارسال التقنييــن و الوسائــل ، فاحاط المنطقــة باسوار كبيــرة لتجنب هجومات البدو و في القرن 11 ذكــر البكــري انه لا توجد منطقة قــويــة و لا صعبة المنال ومنبطـــة

---

1 - [illegible]
[illegible]

2 - [illegible]

لعزائم الاستعمار من هذه المدينة المحصنة كما تعتبر المنطقة مركز تبادل نشطا بين التل والسهوب بالاضافة الى كونها مركز علمي حيث يجتمع فيها العلماء والمشرعين ، ومع مطلع القرن 11 زحف على المغرب العربي الهلاليون حيث انظم سكان شمال الغربي الى هذه القبيلة . (1)

وما بين القرن 11 و 13 لم يكن التاريخ ليسجل حادثة هامة لولا تواجد القبائل الهلالية مع زناتة اللذان حملا معهما عاداتهما وتقاليدهما الرعوية فانتشرت الحياة البدوية بشكل اوسع . وفي القرن 10 الى القرن التاسع عشر 19 اشهدت المنطقة الحكم العثماني تحت قيادة عروج ثم اصبحت التطري تحت سلطة دايات المدينة اهمهم ابراهيم التلمساني (1799 ـ 1801) وابراهيم القسنطيني (1775 1794) ومصطفى بومزرق (1819 ـ 1830) في العهد العثماني تم تاسيس قصر البخاري المعروفة حاليا ويعود التفسير في ذلك لما هو متداول لدى بعض المؤرخين الى الشيخ السيد البخاري وهو شريف من اصل مغربي ، ارتحل اليها من اجل تعليم القرآن في المنطقة ، لقد انحدر من هذه العائلة ثالمفاتحة واهم ما يمكن ان نلاحظه هو كون البواخرة لم يتركوا اي وثيقة ادارية او اثبات الملكية ومع ذلك مهما تكن مؤشر تاريخي اخر لتاسيس هذه المدينة يمكن ان نلاحظه في القصر القديم الذي اسس من طرف التجار المزابيين والاغواطيين خلال القرن 17 ، ان موقعها المتدرج يجعلها منطقة استراتيجية بين التل والجنوب وخاصة في المجال التجاري انطلاقا من سنة 1830 . وفيما يتعلق باسم المدينة نفسه يشير الى ظاهرة الاستقرار ، والتثبيت وهو ما يطلقه البدوي عادة على السكن المستقر الفاخر الذي يختلف عن خيمة البدوي البسيطة . فالقصر هو من مميزات المدن القديمة ، وتعني البناء الفاخر المتكون من اكثر من طابق وكان من خاصية الملوك والسلاطين (2) الا ان هذا المعنى الذي من اجله يعتقد ان المدينة سميت به لا يمكن الاخذ به لسببين : اولهما كونه لا يوجد اي اثار على بناء من طوابق في اطار البناءات القديمة في القصر . ثانيا فان كلمة القصر تقترب في دلالتها الى مبسط السلع التجارية ، فالدور التجاري لهذه المنطقة هو الذي يمكن ان يفسر العديد من الظواهر الاجتماعية ، فهي ليست منطقة صناعية او زراعية بأتم المعنى وعليه فان القاعدة الاجتماعية التي نجدها وراء نشوء اي تجمع سكني انما يرتبط مباشرة بتوفر الحاجيات الاولية

[illegible]

لهذه الجماعة ، كالسكن ومستلزماته، ثم العمل خاصة اذ يعد مصدر عيش لها . فقصر البخاري ولئن كانت تبدو على انها زراعية فهي لا يمكن ان تكفي حاجيات فئة قليلة من السكان ، اذن كيف تم تعمير المدينة ؟
ان توغل الرومان في الجزائر لم يتجاوز هذه المنطقة اذ اعتبرت في عهدهم مركزعسكري امامي للتوغل في الصحراء ثم اواسط افريقيا لجلب الحيوانات المفترسة التي كانت تستخدم في حفلاتهم للمبارزة . ثم اتخذت من قبل العثمانيين مركزا لجمع الضرائب من القبائل البدوية اثناء موسم العشابة حيث يسهل تجمع البدو واخذ ماعليهم من جباية . ثم كانت بالنسبة للاستعمار الفرنسي كمركزمراقبة و مطاردة المقاومة الشعبية للامير عبد القادر من جهة واستغلال الثروة الحيوانية للبدو من جهة اخرى .
ان الاهداف الثلاث لكل من الرومان و العثمانيين والفرنسيين تحتاج الى استقرار من اجل ضمانها ، فرافق ذلك احتياج الى اليد عاملة شكلت اغلبيتها اليد العاملة البدوية التي فقدت ثروتها الحيوانية او تناقصت فلم تعد تفي حاجيات الاسرة البدوية .
سقصرالبخاري اداريا :
لقد راينا كيف ان الطابع التجاري للمنطقة كان من اهم عوامل التآلف بين البدو والحضر ، من حيث بروز نوع من التكامل الاقتصادي بينهما لاختلاف انتاجهما . يضاف الى اهمية المنطقة طبيعة التقسيم الاداري . لقد نصبت دائرة قصر البخاري من طرف الجماعات المحلية في 28 جوان 1956 وكانت مكونة من البلديات المختلطة لبوغاره والجزء الشمالي من البلدية المختلطة لعين بوسيف، والمركز الرئيسي القديم لتليتات الدوار المكونة من 4 بلديات عين بوسيف، عزيز، الشهبونية ، قصر البخاري و بشكل عام تتميز حدود الدائرة بفحط الارض ووجود نباتات رعوية في الغالب حيث تمارس تربية الماشية فالقطيع ينتقل من منبع ماء الى اخر ومن مرعى الى اخر ، ولهذه التنقلات انعكاسات على المحيط الطبيعي ، اذ يتقهقر امامها الغطاء النباتي نتيجة الاستغلال المكثف وعدم تحديده مما يؤدي الى اختفاء الغطاء النباتي ومن ثمة استحالة وجود حياة بدوية قائمة على الرعي

المعطيــــات الطبيعيــــة :

يبرز في المنطقــة تباينا واضحا من الناحية الطبيعية يجعلنا نميز بين ثلاثة مناطق اساسيـة تختلـف من ناحية الموقـع و الخصائص الطبيعية

ـ المنطقة الشماليـة ، تتميز بتضاريس جبالية خاصة من الناحيه الغربية فهي على ارتفاع يتراوح ما بين 1200الى 1700م و اعلى ارتفاع فيها هو 7708م بتشنزة .

ـ المنطقـــة الجنوبيـــة : فهي اقل ارتفاعا من الاولى اذ لا تتعدى 600م على ضفتي نهر الوسل ومن اجل تحليل المعطيات الطبيعية للدائرة ينبغي اخذ بعين الاعتبـار المنطقة من نواحيها الرئيسية الثـلاثـة.

أ ـ الناحية الشمالية الجنوبيـة : يستفيد هذا الجزء من تساقط جيد يتراوح بين 450م-500م و هي تشمل بلديات اولاد هلال ، عين بوسيف و الجزء الشمالي لعزيز ومنطقة المفاتحة (بلدية قصر البخارى) في الاولى تشكل الغابات المورد الاساسي فهي تستعمل كوقود غير مكلفة للبدو الذين يقصدون هذه المرتفعات في الصيف الامر الذى يجعلها عرضة للقطع المتواصل و الحرائق المتلفـة ، زد على ذلك فهي غير مستغلة وغير منتجة كما انها في تقهقر مستمر امام زحف زراعة الحبوب الاكثر عطـاءا.

اما الجزء الشمالي لبلدية عزيز وعين بوسيف فهي تحتوى على موارد ضخمة وارض غنية جدا.

ب ـ المنطقة الوسطـى :

تضم نصف بلدية عزيز واولاد معرف في (الجزء الشمالي) و الجزء الجنوبي من قصر البخارى الذي يشتمل على المفاتحة والسنق وام جليل فالجبال هنا تعمل بين نشاطين اقتصاديين : احدهما زراعي والثاني رعوى صحراوى.

ج ـ الناحية الجنوبيـة :

تشمـل بلديـة الشهبونية وعزيز والجزء الجنوبي لعين بوسيف واولاد معرف فهي منطقة مختصة للرعي خاصة الشهبونية اما زراعة الحبوب فهي ضعيفة وغير منتظمة واهم النباتات المعتادة هي : القطاف، التبن الحلفة والمياه السطحية قليلة وتشمل منطقة دون اخرى واهم هذه المياه تتمثل في واد الشلف وروافده الاساسية ، وبومكرى ، وواد المالح فهي تعتبر من اهم المجارى المائية في الجزائر . اما منطقة بوقزول فهي فقيرة من هذه الناحية نتيجة التبخر ، ومع ذلك هناك سد عريب لمراقبة وجمع المياه التي يمكن ان تسقي 3000 هكتار.

المياه الجوفية (الينابيع) فهي ممول ضروري ومكمل للحياة وتربية الماشية في المنطقة الصحراوية والوسطى ، الا ان هذه المياه في الغالب شديدة الملوحة وخاصة منطقة الشهبونية كما يعتمد في جمع المياه على احواض الجبس واهم ميزة لمجموع هذه المناطق الملوحة التي تظهر على سطح الارض كما ان هناك عدة ينابيع في كل من كاف لخضر وكاف لصفر في البواعيش وسنق الامر الذي جعلها مقصد للرعاة يرتوون منها .

المناخ : المناخ قاري ومعتدل يعكس طبيعة الجنوب اما الشتاء بارد وجاف وصيف حار باستثناء الجزء الشمالي الذي يعتبر اكثر رطوبة لكونه عبارة عن مرتفعات اما التساقط فهو غير منتظم ، فهو مرتفع في الجزء الجبلي والغابات ويتناقص كلما اتجهنا نحو الشرق او الجنوب . فمتوسط التساقط في دراق الشمال الغربي لبلدية عزيز هو 600مم اما الشمال الشرقي لعين بوسيف هو 450مم في حين نجد ان متوسط التساقط في الشهبونية لا يتعدى في احسن الاحوال 250مم .

النبات : النبات الطبيعي ينحصر فقط في غابات المنطقة الجبالية الغربية . والباقي فالبلاد تبدو جرداء الا من بعض اعشاب الشيح الاجيري في السهول المرتفعة الجنوبية او الحلفة في البواعيش والشهبونية .

ـ الاهمية الاقتصادية :

ان الاطار الفزيائي للدائرة كما تم وصفه يتحكم في التوجه الاقتصادي هذا الاقتصاد اساسا زراعي وبمسايرة التساقط وهذا ما يسمح بتمييز منطقتين مختلفتين :

ـ المنطقة الشمالية : منطقة زراعية وليست تماما متجانسة فالجزء الذي يشمل منطقة سيوف ، دراق (بلدية عزيز) منطقة اولاد هلال واولاد عنتر شمالا محدودة ببوغار (بلدية اولاد هلال سابقا) فهذا الجزء يتلقى كمية تساقط مرتفعة نوعا ما فهي تتراوح بين 450مم ، لكن الشيء الملاحظ ان الغابات التي تغطي الجزء الاكبر بدات في التقلص اما اتساع زراعة القمح خاصة في سيوف ودراق وكذلك في اتجاه الشرق ناحية شمال المفاتحة (بلدية قصر البخاري) وتلتات الدوار وعين بوسيف فهي يمكن ان تعطي مردوداً جيداً من القمح في حالة الاهتمام بها وادماج البدو المستقرين في الفلاحة بعد توفير لهم شروط الحياة اللازمة ووسائل الانتاج الضرورية للعمل الفلاحي مع امكانية تربية الماشية الى جانب الفلاحة .

المنطقة الجنوبية : تتمثل في الهضاب العليا الذي تضم بلدية الشهبونية والجزء الجنوبي لبلدية اولاد معرف بلدية عزيز .

الزراعة: تشمل الدائرة على 235 915هـ من الاراضي الزراعية و 246،610هـ ارض مخصصة للرعي ومساحات غير منتجة .
فهناك اذن ثلثين من الاراضي مستغلة بطريقة تقليدية موثلث مسيرة من طرف قطاع التسيير الذاتي ، فهناك 12 مزرعة تملك 21،773هـ و تعاونيتين تشغل 639هـ. فالملاحظ ان نسبة الاراضي الزراعية ضعيفة لكن الاراضي المخصصة للرعي تشمل مساحة كبيرة ، هذا ما يجعل منطقة قصر البخاري ناحية للقمح والماشية من جهة وقريبة في نفس الوقت من المركز التجاري وهناك ملاحظة اخرى تتمثل في كون ان القطاع العام عادة يشمل الاراضي الغنية في حين القطاع التقليدي فقير وذو عائد ضعيف.

تشكل اراضي الملك الجزء الاكبر من مجمل اراضي البلديات ولكن هذا القطاع ضعيف المردود الانتاجي نتيجة ظاهرة التقسيم ، فهناك اراضي شاسعة ملك لعائلات متعددة ونظرا لاهمالها من جهة وعدم البحث عن وسائل حديثة لاستغلالها لان العائد مهما يكن حجمه لايمكن ان يحقق دخل محترم لافراد العائلة بعد توزيعه فتتحول هذه الاراضي الى مراعي تفقد شيئا فشيئا طبيعتها الزراعية ... ثم بعد ذلك الرعوية ، خاصة في العشرية الاخيرة التي تميزت بارتفاع حدة الجفاف والامراض سنة 1972

تنتشر تربية الماشية بشكل اوسع في بلدية الشهبونية واولاد معرف وعزيز بينما نلاحظ ان تربية الماشية في كل من قصر البخاري وعين بوسيف تعد هامشية وفي باقي البلديات فهي اساسا زراعية .
ومثلما راينا تنوع في الاستغلال الزراعي من حيث التنظيم بين القطاع الخاص والعام نرى نفس الشيء في قطاع تربية الماشية الذي ينقسم الى :

القطاع الخاص وهو ينقسم بدوره الى كبار المربين وصغار المربين بنسبة محترمة تتراوح بين 70 الى 80% لكن اهمية قطعان الملاك الصغار لاتتجاوز 60رأسا بينما تصل قطعان كبار الملاك الى 600 رأس في المعدل وقد يصل في الاحيان الى 10000 راس اما القطاع العام فهو محدود جدا نظرا للامكانيات الضعيفة التي يمتلكها هذا القطاع رغم الدعم الذي يتلقاه من الدولة.

فتربية الماشية وان كانت من خصائص المناطق الجنوبية ، فان هذه الاخيرة تعتبر كمناطق للانتظار من طرف المنتجين ، او بالاحرى منطقة انتقال ذلك ان تقلص المجال الرعوى نتيجة الحرث واستخدامها من طرف الالات الميكانكية اثر سلبا على الاقتصاد الرعوى للمنطقة ناما في فترات الجفاف فان مربي الماشية يضطر الى الاتجاه نحو الشمال دراق وعين يوسف وقد تتجاوز هذه المناطق الى ما وراء الاطلس التلي خاصة في السنوات الاكثر حدة فقد لوحظ انتشار بعض الخيم في مزارع متيجة . وهذا يجعل البدو يتكبدون خسائر كبيرة تؤدى الى تناقص قطعانهم وارتفاع تكاليف الانتاج لانهم في بعض الاحيان يضطرون الى كراء بعض المناطق الرعوية وامام هذه الوضعية تبدو اهمية تدخل الدولة لانقاذ هذه الثروة الحيوانية المهددة بظاهرة الجفاف . وذلك عن طريق استصلاح الاراضي الزراعية والرعوية بالدائرة والاستفادة من تجربة فغاي سلطان FFi SOLTAN ببلدية الشهبونية سنة 1945 التي اعطت نتائج هامة وذلك بفضل مضاعفة مراكز المياه بالدائرة وتكوين اماكن للاجئين . (1)

<u>تربية الماعز:</u> تربي بطريقة عائلية من اجل الحليب لتلبية حاجيات العائلة ، وتمارس بشكل كبير في المناطق الجبلية كدراق واولاد هلال بل نجدها لدى بعض البدو الذين استقروا في مدينة قصر البخاري وذلك في الاحياء القصديرية اما حجم هذه الثروة فقد بلغ سنة 1972 حوالى 23600راس.

<u>تربية الابقار:</u> تعرف المنطقة ارتفاعا مهما في مجال تربية الابقار وهي تنتشر شمال عين يوسف ودراق واولاد هلال وتخص القطاع الخاص ويمارس تربية الابقار البدو الذين استقروا نظرا لكون هذا الصنف من الحيوانات لا يمكن ان تنتقل الى مسافات بعيدة فهي اذن من اختصاص اشباه البدو . وتقدر حجم هذه الثروة حوالى 14001 راس.

---

(1) _ Ibid: p 30

- الخلفية الاجتماعية والتاريخية لظاهرة الاستقرار .

1- الهجرات الموسمية : تضم ولاية المدية بمختلف دوائرها على 30 عرش من البدو يمارسون الانتجاع بشكل متفاوت في العدد والمسافة يمكن تحديدها في هذه القائمة .

- جدول رقم (1) يوضح عروش ولاية المدية في/ وعددهم وبلدياتهم : (1)

القبائل	البلدية	القبائل	البلدية
اولاد رحمان	عين وسارة	ا . غريب	مجدل
مويدات	///	ا . ع بن سالم	ا . سيدي ابراهيم
اولاد رحمان	بيرين	سحاري	جلفة
سيدي عيسى	قصر الشلالة	ا . زيدي	//
ا لزناخرة	//	ا . سربن سالم	عين الابل
الرغايقة	//	ع . العزيز	الشارف
ا . سيدي عيسى غرداية	سيدي لعجل	ا . عبدالرحمان	دار الشيوخ
الزناخرة	//	ا . عيسى غرابة	//
ا . سيدي عيسى شرقية	عين الملح	سحاري	//
ا . سيدي زيان	//	ا . عبدالرحمان	//
مويدات	بيرين	سحاري	الادريسية
ا . عوربن فراج	جبل مسعد	ا . عيسي غرابة	مسعد
شرقية	—	اثابت	قصرالبخاري
ا . عمور	مجدل	الزناخرة	//
اعلى بن محمد	//	عيادلية	//

تمارس هذه (العروش) تربية الماشية التي ترتبط عادة بالتنقل المستمر وفق ما تقتضيه الظروف الطبيعية ، فالعشابة تميز انتقال البدو واشباه البدو صوب الشمال هذا الانتقال الى جانب كونه مطلب اساسي لضمان استمرار تربية الماشية هي ايضا

عبارة عن تنظيم اجتماعي حيث انها تنسج علاقات اجتماعية خاصة داخل الاسرة و القبيلة كما تحدد علاقة البدو بالاخرين ، ولذلك فان انتقال البدويين من الجنوب الى الشمال في فصل الصيف يعد فرصة مواتية لتسريع الاحتكاك بين البدو و الحضر فمن خلالها يتمكن البدوي من انشاء علاقات جديدة خارج اطار العائلة و القبيلة التي ينتمي اليها ، وتزيد هذه الهجرة في تطلعه اتجاه الحياة الحضرية و ادراك الفروقات الشاسعة بين صعوبة الحياة البدوية و يسر و رفاهية الحياة الحضرية و لو مظهريا ، مما يحفز البدوي على الاستقرار فيها و التخلي جزئيا او كليا عن الحياة البدوية ، فالتنقل اذن يعد من ابرز العوامل المساعدة على الاستقرار . كما تكون هجرتهم الموسمية هنا منتظمة تحدد فيها منطقة الانطلاق و المناطق التي يمرون بها اثناء انتجاعهم و يمكن توضيح ذلك بالنسبة للبدو و اشباه البدو بالمنطقة الوسطى فيما يلي :

جدول رقم (٢) يبين منطقة انطلاق البدو و المناطق التي يمرون بها

منطقة الانطلاق	البلديات التي يمرون بها	الدائرة
بوسعادة	بوسعادة ـ اولاد سيدي ابراهيم جبل مسعد ـ مجدل عين الملح بن سرور	بوسعادة
الجلفة	جلفة ـ دار الشيوخ ـ مسعد ـ عين الابل ـ الادريسية ـ حاسي بحبح	الجلفة
عين وسارة	الشهبونية ـ بيرين ـ عين وسارة سيدي لعجل ـ قصر الشلالة	قصر البخاري عين وسارة
الاغواط	الاربعاء ـ الاغواط	الاغواط

اذا تمعنا في تنقلات بدو المنطقة الوسطى نجد ان عروش بوسعادة و الجلفة دائرة انتجاعهم متسعة و لمسافات بعيدة في حين عروش عين وسارة و الاغواط مجال تنقلهم ضيق و هذا راجع الى ارتباط هؤلاء بمساكن مستقرة .

ـ فهم اشباه بدو في غالب الاحيان ، و من ناحية اخرى فان التنقل اما ان يكون بطريقة فردية او جماعية ففي تقرير حول بدو المنطقة السهبية لسنة 1968 تم الكشف عن حجم العائلات التي تمارس الانتجاع بطريقة منعزلة او بشكل جماعي

جدول رقم ((3)) يوضح الكيفية التي ينتقل بها البدو والحضر (1)

المنطقة الاصلية	حضر و اشباه حضر		بدو	
	اشخاص منعزلين	بالعائلات	اشخاص منعزلين	بالعائلات الاشخاص
بوسعادة	—	—	2100	2100
جلفة	—	—	—	2700
عين وسارة	720	—	—	4000
الاغواط	—	—	—	6100

ان تنقل البدو يتم بطريقة جماعية ومع العائلات على عكس اشباه الحضر والحضر الذين يمارسون تربية الماشية ، وعلى العموم فان بدو المنطقة السهبية الوسطى يشاركون في الانتجاع بطريقة متجانسة في الهجرة الصيفية بحجم يضم مابين 20 و 30 شخص ، كما انهم يعتمدون في تنقلهم على وسائل ميكانكية بنسبة 80٪ بينما البدو الاقحاح في الجنوب يعتمدون على القوافل بنسبة 50٪ هذا يبين دور التطور التكنولوجي في تقريب المسافات واختصارها بين الحياة البدوية والحضرية كما ان البدوي خاصة في المنطقة الوسطى استفاد من هذا التطور وادمجه في حياته البدوية ثمة ملاحظة اخرى تتعلق بغاية التنقل فليست دائما تكون مرتبطة بالرعي بل تجد ان طلب العمل في الغالب يكون هو المبرر لعدد لا بأس به من البدو المتنقلين فقد سجل تقرير 1968 السابق الذكر حول بدو المنطقة السهبية لوحظ مايلي (2) .

هدف التنقل العدد والنسبة	البحث عن العمل	تسيير الماشية		مختلط	المجموع
		ملاك	رعاة		
عدد الاشخاص	103000	1620	10800	9000	14200
النسبة على المجموع	73	12	0.8	06	100

1) ـ Repertoire arious et fractions nomades de la Zone steppique, Note Géographique national de l'Algerie aux recensement de 1966 – Juillet 1968 P 10

2) ـ IBID, P 90

اذن هناك نسبة 73٪ يعد البحث عن العمل هو الدافع الاساسي للهجرة الموسمية الصيفية اما تسيير الماشية فهو ثانوي . كما ان الكثير منهم لا يتجاوز عدد رؤوس ماشيتهم 50 راس وهذا ما يسمح لهم في حالة ايجاد منصب عمل من التخلص منها ببيعها و الاستقرار في الاحياء المحيطة بالمدن .

2 ـ تزايد النمو الديموغرافي في المنطقة الدهبية .

تضم المنطقة السهبية اكثر من 280000 نسمة منها 120000 يعيشون في تجمعات اي نسبة 43٪ في حين 83000 اي 30٪ يمارسون الحياة البدوية والباقي شبه بدوي 5٪ . (1)

وفي الاونة الاخيرة يلاحظ تناقصا واضحا في عدد رؤوس الماشية وذلك يعود الى تقهقر المجال الرعوي اما لعدم قدرته على تحمل العدد او زيادة المساحات المحروثة وهكذا نلاحظ الاتجاه العكسي لكل من الماشية وعدد السكان ففي الوقت الذي يظهر تناقص تدريجي في عدد رؤوس الماشية نلاحظ في الطرف الثاني نمو سكاني مرتفع ، هذا التناقض يسمح باحداث تغيير في مضمون ووظيفة البنيات الاجتماعية التي نشات على اساس فعالية الانتجاع .

بناءا على ماذكرناه فيما يتعلق بهدف التنقل الموسمي حيث راينا ان تسيير القطيع بالنسبة للاشخاص من الذين يشاركون في حركة العشابة يعتبر اهتمام ثانوي اذ يعد التشغيل في الحصاد وبعض الاعمال الحرة الاخرى هي الدافع العميق لهذا التنقل الموسمي الكبير ، ذلك ان الحركة تزداد في مدينة قصر البخاري في فصل الصيف كما ترتفع معه نسبة المقيمين في الفنادق بحيث تترك الماشية للاهل الذين يحتفظون بالخيمة بعيدا عن المدينة بالقرب من المراعي ، بينما ينتقل رب العائلة والابناء الكبار الى مراكز العمل في المدينة . فالعمل المؤقت قد يكون ممهد للاستقرار الدائم فيما بعد خاصة اذا توفرت الشروط الاخرى . كالسكن والعمل الدائم . وعليه فان الدخل الذي يتحصل عليه البدو لا يمت باية صلة لملكية الماشية بل هو مقابل عملهم .

وفي الغالب الاحيان يجد البدوي في هذه الاجور مبررا لاستقراره وتمسكه بالبقاء داخل المدينة فهي من جهة تعتبر مصدر عيش مضمون وحتى ان كان منخفضا ومن جهة

---

1 – [illegible]

اخرى غير مرتبط بالظروف الطبيعية واهم شيء هو كون هذا الاجر دخل فردي لا دخل للعائلة الممتدة فيه يستطيع الابن التصرف فيه وفق ما يشاء .

3 ـ وجود اقارب للبدوى في المناطق الحضرية بقصر البخاري .

ان انتقال البدوي الى مدينة قصر البخاري يعني انتقاله الى وسط اجتماعي يختلف تماما عما اعتاده من سلوك وتصرفات تجعله يحس بالغربة والانعزال ، هذا التهميش لا يستطيع ان يتحمله البدوي الذي آلف العزة والكبرياء ، فالذى لديه اقارب في المدينة يستطيع بسرعة تجاوز هذا الحاجز لان الاقارب يقدمون له مساعدة كبيرة سواء تعلق ذلك بالاموال او المأوى الذي هو في اشد الحاجة اليه ، وهو مايتجلى لنا من البحث الميداني عندما طرحنا سؤال على المبحوثين حول المكان الذي كان يقيم فيه عند حلوله بقصر البخاري فجمعنا المعطيات على الشكل التالي :

جدول رقم (5) يبين مكان اقامة المبحوث اثناء تردده على مدينة قصر البخاري .

مكان الاقامة	الفندق		عند الاقارب		اماكن اخرى		المجموع	
	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪
العدد	30	321	57	61	7	7	94	100

فكما نلاحظ ان البدوي اثناء تردده على هذه المدينة يلجأ في الغالب اما الى الفندق او الاقارب ، ولما كان الفندق مكلف جدا ، فانه يجد من كان لديه اقارب المخرج الوحيد الذي يمكن ان يوفر عليه نفقات الفندق من جهة ويتلقى منها مساعدة في ايجاد منصب عمل او التوجيه على الاقل حتى يتسنى له الاندماج في المجتمع الحضري ولذلك نجد ان نسبة 6، 60٪ يلجؤون الى اقاربهم عند ترددهم على المدينة وهناك من يكون اكثر حظا حيث يساعده اقاربه على اقامة كوخ بمواد بسيطة،القصدير او الطوب والحجر حسب الامكانيات ، ولذلك نجد استقرار مجموعة من العائلات الوحدة تلوى الاخرى تجمعهم رابطة الدم بحيث تقوم العائلة البدوية التى استقرت منذ مدة بتقديم العون لعائلات اخرى من الاقارب لتثبيتهم ، كما ان العائلة البدوية التي استقرت منذ مدة طويلة ترفض استقرار بدو بالقرب منهم اذا لم تكن تنتمي الى نفس العشيرة وبهذا الاسلوب ثمت الاحياء الغير (شرعية) او القصديرية .

4 ـ العامل التاريخي :

ثمة سبب اخر شجع عملية الاستقرار قديما ، وهو ما اصدرته الدولة التركية سنة 1816 حيث منعت البدو من تجاوز قصر البخاري نحو الشمال فكانت بذلك مركزا يلتقي فيه تجار هذه المنطقة بالبدو الذين يترددون عليها في فصل الصيف ، وكما كانت السلعة الرئيسية التي ياتي بها البدو هي رؤوس الماشية ، لقد تكون في قصر البخاري اصطبلات عديدة يطلق عليها اهل المنطقة الفندق ، بحيث يترك البدوي اثناء تنقلاته البعض من حيواناته عند الضرورة في هذه الاصطبلات حتى تكون في مامن والشيء الملاحظ هو كونها ملك لكبار مربي الماشية من البدو والذين استقروا في قصر البخاري منذ مدة طويلة فقد وجدوا في ذلك معرفة تربطهم بما ضيهم من جهة كما تمكنوا بفضلها من مراقبة حجم وحركة الماشية ، بل القيام بدور الوساطة بين البدوي المربي المباشر والتجار الكبار ، تزداد اهمية دور الوساطة خاصة في الفصول التي يشتد فيها الجفاف ، بحيث يكون البدوي مضطرا ، لمساعدات صاحب (الفندق) الذي يضع تحت تصرفه شاحنات لنقل الماشية الى مراعي اقصى الشمال الذي يكون على اطلاع عليها اكثر من البدوي وهكذا فان تكاليف الاعتناء بالثروة الحيوانية من قبل منتجيها المباشرين تصبح عبئا ثقيلا ، لا يمكن ان يواجه الجفاف الا من كانت لديه اعداد كبيرة من رؤوس الماشية ، اما من لهم عدد محدود منها فانهم يضطرون الى التخلص من حيواناتهم عن طريق البيع باسعار متواضعة و يستقرون في المدينة .

ان السنوات التي تعرف جفافا حادا قد تخلف مشاكل اجتماعية خطيرة جدا في المنطقة ذلك ان القبائل البدوية قد اعتادت في تنقلها على اتباع طريق محدود و مراعي محددة ايضا مثلما هو الحال بالنسبة القبائل الاربـاع خاصة .لكن ندرة الاعشاب والماء يؤدي الى اضطراب فيما اعتاد عليه البدو في تنقلاتهم فتحدث مواجهات بين مختلف العروش حول المجال الرعوي وينابيع الماء . وقد تصل الخلافات في بعض الاحيان الى مواجهات دامية . ان هذا الوضع نادرا ما يحدث في السنين التي تعرف تساقط امطار وفيرة تجعل الكلاء كافي بحيث ترتعي كل قبيلة او عرش في المجال الذي اعتادت الرعي فيه .

يضاف الى العوامل التاريخية و الاجتماعية المشجعة على الاستقرار او الدافعة اليه قصرا . العامل الطبيعي ففي سنة 1945 حدثت ازمة مجاعة نتيجة الجفاف ادت الى هجرة واسعة للبدو نحو المدن طلبا للرزق ، ان ظاهرة الجفاف ليست العامل الاساسي للاستقرار و انما هو عامل يريد تسارع عملية الاستقرار . وقد زاد من حدة تدهور وضعية بدو الوسط النظام الاستعماري الذي كان سائدا انذاك ففي سنة 1955 سيطرت على المنطقة ثلاثة شخصيات تحكم فيها المعمر برجون الى القطاع الفلاحي خاصة القمح ، عمل هذا الاخير على توسيع الاراضي المخصصة للقمح عن طريق الحرث فقضى على جميع الاعشاب الطبيعية التي كانت تشكل مصدر عيش للماشية .

كما احتكر قطاع النقل سكافينو ، اما استثمار حلفاء الصحراء فكانت من نصيب بلا شيت ، هذه القطاعات الثلاثة زادت من سرعة تثبت البدو في المدينة قصر البخاري ، باعتبار ان زراعة القمح و استقلال الحلفاء قلصت من المجال الرعوي و قيدت تحركاتهم ، كما ان النقل قلص المسافة الفاصلة بين مناطق الانتجاع و المدينة فتكثفت تنقلاتهم و نشطت اتصالاتهم بمكان قصر البخاري .

وعند اندلاع الثورة عمدت جبهة التحرير الى اكتساب البدو الى جانبها مقابل وعدهم بالمال والسكن بعد الاستقلال مباشرة ، الى ان هذه الوعود لم تتحقق الا في نطاقات ضيقة ، زد على ذلك انها كانت ارتجالية او عاطفية او جزئية ، كما ان الاستراتيجية الجديدة التي انتهجها القادة بعد الاستقلال مباشرة ركزت على الثورات الثلاثة : الزراعة و الثقافة ثم الصناعة ، هذه الشعارات الثلاثة لم تكن مكملة لبعضها البعض او منسجمة ، او على الاقل وجود توازن بينهما . فالتركيز اذن كان منصبا على القطاع الصناعي في المرحلة الاولى في حين الثورة الزراعية لم تظهر الا في سنة 1971 . اما الاهتمام بقطاع الرعي بعتباره اساس الاقتصاد البدوي فقد شكل اهتمام المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية ، وهكذا الوعود التي تلقاها البدو اثناء الثورة تتأجل الى ما بعد السبعينات و هو ما يمكن ان يفسر رد الفعل التلقائي للبدوي من اجل اخذ نصيبه من المزايا التي تحققت مع الاستقلال فبدلا من ان توفر له حاجياته في مناطق ارتياعه و تجواله ، كان لبد عليه ان يسعى هو بنفسه للحصول على هذه الخدمات في المناطق الحضرية و كلفه ذلك التخلي عن حياته المعتادة فلما دخل قصر البخاري بنى كوخ و لم يتحصل على اية حقوق .

الذيـن اتي بهـم كـبار الـسـن ليسوا في سن التعليم فكـان الشـارع ماواهم فاصبحـت الاسـرة ممـزقـة،فالمسـؤول الـسـياسي المسيطـر اعتمـد على التقنـي الاقتصـادي لايجـاد المصـانع ،مع اهمـال الجـانب الاجتمـاعي . فهـذا الحل مبني على جذب الفئـات السكـانية غيـر الحضريـة ،فهـذه المسألـة كـان بامكـان دراستهـا ومنـاقشتـهـا في مؤتمـر طرابلـس مثلمـا عولجـت مشـاكـل اخـرى ، كالزراعة والصنـاعـة التي استقطـبت الكثيـر من اليـد العـاملة البدوية لكـن قطـاع التصنيع يحتـاج الى يـد عاملـة متخصصـة وهو مـا لا يتوفـر لدى البدوى فقـلل من حظوظه في ايجـاد منصـب شغـل مستقـر امـا البـاقي من اليـد العـاملـة المعروضـة في سوق العمـل كثيـرا مـا تكـون موجهـة نحـو الاعمـال غيـر المنتجـة .

وهكـذا نجـد ان هنـاك جملـة من العوامـل التـاريخية والاجتمـاعية والطبيعيـة تضـافرت بشكـل متفـاوت لزيـادة حجـم هجـرة البدو الى قصـر البخـاري و الاستقرار فيهمـا ، وذلك وفقـا لفتـرات تاريخيـة مختلفـة بالاضـافة الى كون ظـاهرة الاستقـرار تاثـرت بالعـوامل الانفـة الذكـر فقـد كـانت امـا جمـاعية او فرديـة كـما يوضحـه الجـدول التـالـي :

جدول رقـم (6) يبين علاقة الهجـرة الجماعيـة والفردية بتـاريخ الاستقـرار

تاريخ الاستقرار	قبل 1962		مابين 62و1972		بعد 1972		المجموع	
طريقـة الاستقـرار	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة
استـقـرار فردي	5	23%	47	62%	35	83%	87	62
استـقرار جماعي	17	77%	29	38%	7	71%	53	38
المجمـوع	22	100%	76	100%	42	100%	140	100

فالهـجرة الجمـاعية ميزت بشـكل خـاص المرحـلة مـا قبـل الاستقـلال وبشـكل اكثر حـدة مـابيـن 1962 ـ و 1972 في حيـن الاستقـرار الفـردي كـان بعـد الاستقلال ومـا بعـد 1972 فاثنـاء الاحتـلال نجـد ان 77% استقـروا بطريقـة جـماعيـة .

كما ان فترة ما بعد 1972 نجد نسبة 83 استقروا بطريقة فردية والباقي بشكل جماعي (17٪) فالهجرة الجماعية اثناء الاستعمار كانت تتم تحت الضغط والارهاب او نتيجة الجفاف . اما فترة الاستقلال التي طغى عليها الهجرة الفردية فذلك راجع الى تفكك الروابط القبلية والعائلية التي لم تعد تستطيع التحكم في افرادها واخضاعهم لمراقبة اجتماعية صارمة بل ان فقدان القبيلة لوظيفتها الاجتماعية حرر افراد من قيود الجماعة . واصبحت لهم القدرة على الاختيار وحرية التصرف كما ان فشل الاصلاحات التي حاولت من خلالها الدولة النهوض بالقطاع الرعوي زاد من تسارع عملية الاستقرار في فترات مابعد الاستقلال والتخلي عن الحياة البدوية وهنا نسجل احد اهم التجارب الاصلاحية في الثمانينات والتي شملت البواعيش وبوتزول فقد خصصت حوالي 28 الف هكتار للاعشاب الرعوية والاشجار ، وذلك بهدف المحافظة على التربة من التصحر وضمان تجديد نمو الاعشاب للماشية لكن الشيء الملاحظ هو عدم نمو هذه النباتات بل ان هناك بعض الاراضي لم تزرع واكتفوا فقط بحرثها ورسم حدودها الامر الذي حرم مربي الماشية من استغلالها والانتفاع بها بل انه في بعض الاحيان يفرض مربي الماشية عقوبات في حالة رعييه في هذه المناطق فاذا حاولنا تقييم هذه الوضعية فاننا نجد ان الذين لم يشملهم مثل هذه التجارب،مثل منطقة الزناخرة والعبادلة فهم احسن حالا لعدم تقييد مجال رعييهم بحدود . ومن ناحية اخرى فان المساعدات التي قدمتها الدولة للفلاحين مربي الماشية والمتمثلة في القروض فمعضمها قد انفقت في نواحي غير تلك التي كان المفروض ان تستثمر فيها وهي تربية الماشية من جهة واستصلاح الاراضي من جهة اخرى .

لقد كان هدف الدولة من هذه التجربة ضمان النمو الاقتصادي الرعوي باعطاء قرض للفلاح لشراء قطيع من الماشية وتنميتها وضمان مراقبتها وامكانية تقديم المساعدات للمستفيدين الذين منحت لهم قطع الاراضي لاستصلاحها ومن ثم توطينهم بشكل نهائي حتى يتم دمجهم اجتماعيا واقتصاديا ضمن الاهتمامات الوطنية .

والسؤال المطروح اين يكمن الخلل : هل في التجربة ذاتها ام في عملية التنفيذ ام هناك عدم الانسجام بين التجربة والذين اعدت من اجلهم ؟ ففيما يخص التجربة فهي عملية فنية اذا توفرت لها الظروف الموضوعية سواء كانت مادية او بشرية فمن دون شك انها سوف تنجح ولذلك كان من الضروري .

اخذ بعين الاعتبار خصائص الحياة البدوية التي لا تتقيد بحدود رعوية كذلك فان بدو هذه المنطقة اهم ما يميزهم هو كونهم اشباه بدو ومدة استقرارهم قد تساوى او تنخفض عن مدة الترحال وعليه ينبغي منح مساعدات للرعاة بشكل فردي او على شكل تعاونيات .

المبحث الثاني :

ـ انعكاسات الاستقرار الاجتماعية والاقتصادية على حياة البدو .

ان انتقال البدوي من الحياة البدوية الى الحياة الحضرية ، لا يتم دائما بطريقة عادية وآلية ، فكثيرا ما تصطدم قيمه التي يحملها مع قيم المجتمع الحضري ، فقد تحدث تحولات سطحية او عميقة في تصوراته وسلوكه التطبيقي وايضا في وتيرة حياته فمن المعروف ان الوسائل التي يستخدمها البدوي في حياته متكيفة مع طبيعة البيئة التي يعيش فيها ، فتربية الماشية مرتبطة بمدى توفر الاعشاب ، ولكن عدم انتظام وفرته في مكان ما من جهة واختلاف كميته من موسم الى اخر جعلت البدوي مضطر على الانتقال المستمر ، فترتب على ذلك عدم وجود مسكن ثابت ، بل مجرد خيمة سهلة التفكيك والتركيب ، والحمل ، وعليه فان التغير الاول الذي قد يظهر بمجرد التخلي عن التبدي يمس الخيمة .

ـ نموذج السكن الجديد :

في مرحلة اولى تتحول الخيمة الى مسكن بسيط على شكل (زريبة) محاطة باعواد الخشب وبعض الصفائح من القصدير نفس هذه الوسائل تشكل سقف المسكن ، الى ان بقاء البدوي في نفس المكان في فصل الشتاء ، يجعل زريبته غير قادرة على مقاومة العواصف والامطار ، فيدعمها بعدد اخر من الصفائح القصديرية في انتظار ما يمكن ان يجمعه من اموال ، لكي يقيم مسكن ، من الطوب والحجر وغالبا ماتكون بداية هذه التجمعات بالقرب من منابع المياه مثلما هو الحال بمنطقة بوقزول حيث استقر عرش عبدات ((1891)) واولاد شريف وبوجلال ، كما ان هناك مجموعة اخرى من العروش استقرت بالقرب من مصادر المياه ايضا ، كما هو الحال بالنسبة للزناخرة والبواعيش كما يعود ظهور هذه التجمعات السكنية خاصة في قصر البخاري مقر الدائرة الى استقرار بعض التجار الاغواطيين والاباضيين الذين قاموا ببناء المساكن ذات طابع ريفي ثم اشتراها منهم بعض البدو ، ولقد تمكن هؤلاء من فتح محلات

تجارية كبيرة في المدينة ، حيث امتلك بدو الاغواط المستقرين المطاعم والفنادق وهم يتعاملون اكثر مع البدو المترددين على المدينة بينما المزابيين فقد كان من نصيبهم المحلات التجارية الخاصة بالعقاقير ومواد التجهيز والبناء . كما يكون الاستقرار عند قبر احد الاجداد مثلما هو الحال بالنسبة لعرش بن عالية المحيطة بقصر البخاري من الناحية الشرقية .

- طبيعة التوسع العمراني :

الملاحظ ان توزيع السكان في قصر البخاري يأخذ طابع تدرجي بحيث كلما ابتعدنا عن مركز المدينة زادت درجة تشتت السكان فنلاحظ تباعد بين البدو والمستقرين وهذا امر طبيعي ، ففي المرحلة الاولى القيام الدوار يكون قريب من المدينة حتى يكون بامكان البدوي المستقر من ارسال ابنائه الى المدرسة بشكل منتظم . الى ان يرتفع مستواه المعيشي ليبني او يشتري مسكن في المدينة ليضع حد لخيمته وبهذه الطريقة ظهرت الاحياء المحيطة بقصر البخاري فهي محاطة بأربعة احياء في وضعية فوضوية ففي الشمال الغربي نجد حي الضريسة ، اما الشمال الشرقي فنجد حي عوينات اليهود ، في حين المنطقة الجنوبية نجد حي بن عالية ، واخيرا حي المحيصر في الشرق .

هذه التجمعات المكنية اهم ما يميزها هو الوحدة العشائرية اذ يمثل كل حي وحدة اثنية تختلف على الاخرى فهذا التباين قد يكون جهوي اي الناحية التي نزحوا منها ، او طبيعة النشاط الاقتصادي ، الذي كانوا يمارسونه قبل استقرارهم في المدينة واذا اردنا معرفة على الاقل بعض المؤشرات الاولية التي توضح لنا طبيعة البنية الاجتماعية لكل حي داخليا ، ثم علاقته مع باقي الجماعات الاجتماعية الاخرى . يمكن العودة الى اسماء هذه الاحياء نفسها وانحدارها الاجتماعي .

فحي عوينات اليهود كان يعرف في البداية بحي اليهود ويعيد بعض السكان من سكان المنطقة سبب التسمية الى كون سكان الحي يصنعون بعض الاواني المنزلية ومنها ما يعرف ((الطاجين)) الذي يستخدم في طبخ الخبز في البيت . ثم يقومون ببيعه باسعار مجحفة فاطلق عليهم وصف اليهود نظرا لجشاعة اليهود وما عرفوا به من سرقة ودراية كبيرة في التجارة . الا ان هذا الاسم فيما بعد اتبع بوصف اخر هو عوينات اليهود ،

فالسكان ليسوا ابدا من اصل يهودي اذن كيف عرفوا بهذا الاسم هناك تفسير يزدده الكثير يتمثل في الاعتقاد في كون سكان الحي يقطنون منطقة مرتفعة مما يسمح لها الاطلاع على كل مايجري في المدينة بالاضافة الى حرفتهم التجارية التي تسمح لهم الاحتكاك اكثر بالمجتمع المحلي والاطلاع على اهتماماتهم و هذا نجد انهم عبارة عن عين تراقب كل شيء . فقد جمعوا بين الاستغلال الاقتصادي لسكان المدينة بالاضافة الى التجسس . و سواء كان هذا صحيح يعتبر عن سلوك اجتماعي لدى سكان حي عوينات اليهود ام لا فهو على الاقل يمثل صورة لموقف دفاعي شديد الحذر من قبل الحضر اتجاه البدو المستقرين في هذا الحي فهؤلاء دائما صورة للغلظة و الخشونة و التحايل و العداوة اتجاه سكان الحضر، و هو ما أقره ابن خلدون عند معالجته للعلاقة التي تنشأ بين سكان البدو الذين يسعون دائما لغز و الحضر و سلبهم اموالهم و خيراتهم و في بعض الاحيان اخضاعهم لسلطتهم .

اما الحي الثاني وهو بن عالية فان دلالة اسمه تختلف عن سابقيه فهو يرجع الى احد اولياء الصالحين قطن الحي قديما و توفي فيه ،فاستقر الكثير من البدو من مختلف الفرق و العشائر مدعين الانتساب الى هذا الوالي الصالح لكسب شرعية الاستقرار و كسب احترام الغير لهم باعتبار ان الوالي الصالح هو احد شيوخهم الكبار و ان كل من يلحقهم بسوء ينزل عليه غضب الوالي الصالح الذي هم موجودين في حمايته . فمثل هذا التوطن ليس جديد فهو معروف لدى الكثير من البدو حيث يستقرون عند اضرحة شيوخ القبائل الذين ينتمون اليهم .

فالشكل البدائي اذن للسكن الثابت هو الزريبة و هي عبارة عن كوخ من الطوب و الحجر تحاط من الجبهة الامامية من القصب او اعواد الخشب و الصفائح القصديرية تتدعم في فصل الشتاء ،فهي شبيهة باستقرار الشعانبة و المخادمة بالقرب من بساتين النخيل بورقلة و عين البيضاء .

والملاحظ ان الاحياء التي تكونت على محيط قصر البخاري او بالقرب منها كحي بن عالية او الزناخرة و التي يشكل اغلبية سكانها من البدو لا تخضع سكناهم لاي تنظيم عمراني مثلما لم يكن هناك تنظيم للخيم في المناطق المخصصة لا نتجاع البدو فهو يثبت خيمته متى شاء و اينما شاء فالتقاليد هنا هي التي تتحكم في كيفية تثبيت سكناه الجديد الذي هو في توسع مستمر كلما دعت الحاجة الى ذلك .

ولذا فان التجمع السكني او العمراني لاتنطبق على هذه الاحياء فالبدوي المستقر يختار لها اسما بطريقة خاصة وحسب مفهومه الخاص: بن عالية، اولاد ثابت ،اولاد عنتر،غبي مصطلحات تعني ببساطة تجمعات سكنية اكثر او قل كثافة فعدد البنايات قد تكون من 15 الى 20 او قد تتراوح بين 200 الى 400 مسكن ولا يمكن التمييز بين هذه التجمعات السكنية خاصة الذي لايكون لديه اطلاع على نظام العروش او الفرق في العادات والتقاليد بينهم . فهذه الاسماء اذن تطلق عادة على جماعة تنتمي الى عائلة واحدة فهي تستند على الاثنية الواحدة ،فهي بالرغم من قربها من مركز المدينة قصر البخاري بل تحيط بها فانها لاتحمل اسمها . فالبدوي بالرغم من استقراره فما زال يحمل اسم عشيرته ثمة ملاحظة اخرى تتعلق بالاختلاف الموجود بين حجم التجمعات السكنية ،وذلك ان التجمعات السكنية القديمة اكثر كثافة من غيرها كما هو الحال بالنسبة لحي بن عالية او الزناخرة . اما حي عوينات اليهود والمحيصر هي اقل كثافة لكونها حديثة النشوء اتسعت فقط في السبعينات.

نماذج من مساكن البدو المستقريين في قصر البخاري .

– السكن الجديد للبدوي ليس هو مجرد مأوى لايخضع في موقعه وشكله الاي خلفية اجتماعية معينة بل انه يستمد جذوره من التصور الجديد للبدوي .

جدول رقم (7) يوضح موقع سكن المبحوث في المدينة:

الموقع	داخل المدينة		اطراف المدينة		خارج المدينة		المجموع	
	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة
العدد	40	28.5٪	67	47.8٪	33	23.5٪	140	100٪

فالاماكن المختارة هي اطراف المدينة فهناك ثلثي افراد العينة بنوا مساكنهم في الاحياء المحيطة بقصر البخاري فنلاحظ ان امتداد العمران وتوسعه هو في اتجاه الصحراء الان البدوي الذي يريد ان يستقر يقترب شيئا فشيئا من المركز العمراني وهذا راجع الى سببين اولهما خوف البدوي من سلطة البلدية كما ان امكانياته ضعيفة فيلجأ في المرحلة الاولى الى بناء كوخ بسيط لايكاد ينفق فيه سوى قوة العمل حتى اذا كان عرضة للطرد اوالعقوبة فانه لا يخسر شيئا .

يضاف الى ذلك حذره وتحفظه ازاء السكان المستقرين من قبل .
وبه يبدا عن قصر البخاري في مرتفعاتها الجنوبية والجنوبية الشرقية
وعلى مقربة من صغيرة المدينة بدات تظهر تجمعات سكنية تتكون من
عائلات قليلة العدد تتراوح بين 3 عائلات الى 7 عائلات فهذه الاخيرة
سوف تمهد لتوسع عمراني للاحياء الاربعة القديمة المحيطة بقصر البخاري
حيث تتخللها مساحات صغيرة لا يمكن استغلالها بطريقة عقلانية
كما ان عدم تنظيمها زاد من صعوبة تدخل البلدية لتوفير بعض
شروط الحياة فيها فهي لا تتوفر على اي شكل من اشكال الوقاية و
الامن نظرا لتداخلها مع بعضها البعض بدرجة لا يمكن للفرد ان
يفرق بين العائلات . ومع ذلك فان مبادرة البلدية بمنح رخصة للبناء
في اطار البناء الذاتي مكنت بعض البدو الذين بعد استقرارهم قديما
جدا فان تجديد السكن اصبح يقترب من المخططات العمرانية الـ
الحضرية . لكن هذا لا ينفي ادخال بعض التعديلات على السكن
الحديث كتضييق النافذة وجعلها عالية نوعا ما واضافة بعض اللبنات
لتصبح الاسوار المحيطة بالبناءات اكثر ارتفاعا لكي لا يبدو ما في الداخل .

بل ان بعض الاغنياء من البدو المستقرين في المدينة قاموا ببناء شقق
فخمة ، بالرغم من وجود شرف ونوافذ الا انها لا تستعمل فهي مغلقة
طول السنة صيفا وشتاءا لكونها مقابلة للطريق فنظام الحريم
لا يمكن ان يتخلى عنه البدوي مهما كانت مدة الاستقرار وهو صارم في
ذلك الى درجة ان نوافذ بعض الشقق اصبحت مثبتة بمسامير لا يمكن لا
حلها من قبل افراد العائلة فلم يعد البدوي المستقر يثق في افراد
العائلة من الاناث . فقبول اخلاقيات المدينة من الامور التي يصعب هضمها
من قبل البدوي .

- شكل السكن

يتحكم في تحديد السكن للبدوي المستقر البعد والقرب
من مركز المدينة وتاريخ الاستقرار ، فالذين استقروا منذ مدة طويلة
تمكنوا من الحصول على مساكن داخل المدينة منحت لهم او بنوها
بانفسهم هؤلاء مساكنهم شبيهة بشكل العمران الحديث . في حين ان حديثي
الاستقرار اغلبيتهم بنوا مساكنهم خارج المدينة او في الاحياء المحيطة بها .

يوضح الجدول التالي(8)علاقة تاريخ الاستقرار بنوع السكن .

تاريخ الاستقرار	قبل 1962		مابين 62 ـ 72		بعد 1972		المجموع
نوع السكن	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	تكرار	النسبة	
قصديري	4	18،1٪	17	22،3٪	13	30،9٪	34
من الطين و الحجر	6	27،2٪	52	68،4٪	28	66،6٪	86
بلاسمنت(شقة)	12	52،5٪	7	9،2٪	1	2،3٪	20
المجموع	22	100	76	100	42	100	140

نلاحظ ان البدو الذين استقروا قبل 1962 لايوجد سوى نسبة 18،1٪ لهم سكن قصديرى في حين 54،5٪ سكناهم حديثة والباقي من الطين والحجر. اما الذين استقروا بعد 1972 لم يتمكن سوى 2،3٪ من امتلاك سكن حديث ، والاغلبية الساحقة بنت سكناها بالطين والحجراي 66،2٪ وهذا يوضح انالبيوت القصديرية تتناقص بامتداد فترة الاستقلال . وهذا يعني ان البدى المستقر يسعى الى تحسين ظروفه السكنية . ونلاحظ من جهة اخرى ، ان الطابع الغالب على المواد المستخدمة في البناء هي الطين والحجر المتوفرة في المنطقة بشكل كافي مدعمة بالقصديرالتي تشكل في المرحلة الاولىالزريبة باعتبار ان البدوى يحتفظ بعدد من رؤوس ماشيتهخاصة الماعز و الحمار،وهذا عكس ما يعتمد عليه بدو الشعانبة او الكسوريين الذين استقروا في ورقلة اذ يعتمدون بشكل اساسي على الجريد الجاف وهي اغصان النخيل لكونها هي المادة المتوفرة هناك.

ـ الاستخدام الداخلي للمسكن:

ان الشكل الهندسي لبناء المسكن وتقاسيمه الداخلية ووظيفة غرفه توحي فيما اذا كان هذا الاخير هوامتداد للسكن البدوى القديم ، ام ان هناك قطيعة بينه وبين الخيمة سكناه القديم ففي قصر البخاري تمكن البعض من البدو من الحصول على مساكن جاهزة وذلك في القصر القديم الذي بنى في العهد العثماني

ثم جددها الاستعمار واضاف اليه ، ولكن بنيت هذه المساكن خصيصا للجزائريين ولذلك اتخذت طابعا خاصا تتمثل في ضيق الممرات وصغر النوافذ بل ان بعضها لاتكاد الاشعة تصل اليها طول السنة ، فقد بناها الاستعمار بطريقة تؤثر على نفسية الجزائري وجعله يحس بعالم مغلق وضيق يزيد من توتر الاعصاب وانتشار الامراض النفسية والجسمية ، اما الذين اقاموا مساكنهم بانفسهم خارج المدينة والتي اغلبيتها قصديرية او من الطوب والحجر فالشكل الكلي للسكن غالبا ما يكون مربع ، مكون من غرف متقابلة يتوسطها ساحة (حوش) جزء منها يغطي ببعض الصفائح القصديرية لتكون مخبئ لبعض الماعز التي يقوم البدوى بتربيتها من اجل حليبها ، كما تكون مربط لحماره الذي يعتمد عليه كثيرا في حمل بعض حاجياته من السوق او جلب الماء الذي تفتقر اليه هذه الاحياء ، بل يعتبر الحمار في بعض الاحيان مصدر احتياطي او اضافي لمدخول البدوى حيث يستعمله كوسيلة نقل لبضائع التجار في الاسواق (حمال) اما سقف السكن فهي من الصفائح القصديرية تنحدر ناحية الجهة الداخلية ، اذ تكون الاسوار الخارجية اعلى من الداخلية ويعود سبب اتباع هذه الطريقة الى احتياطات البدوى من اعمال السطو ولذلك بناها عالية من الناحية الخارجية لجعلها صعبة التسلق .

وفي بعض الاحيان تكون الزريبة المخصصة للحيوانات امام المسكن فيرفق المسكن ببابين ، الاول يسمح بالولوج داخل الزريبة وحتى يتمكن الفرد من الدخول الى البيت فعليه ان يتبع رواق ضيق يصله الى باب ثاني هذا الاخير غالبا ما يكون مصنوعا من الالواح الخشبية على عكس الباب الاولى التي تكون اما صفيحة قصديرية ، او مجموعة من الاعواد على شكل حزمة منبسطة ملتحمة مع بعضها البعض . ونجد في وسط الحوش) ساحة حفرة مستديرة قليلة العمق تستخدم لشعل النار من اجل طهي الخبز او التدفئة في فصل الشتاء ، وتخصص زاوية من زوايا الحوش للاثاث القديم او الاقل استعمالا .

اما في الداخل فنلاحظ ان ابواب الغرف تكون متقابلة مواجهة للساحة وكذا بالنسبة للنوافذ فهي تتجه ناحية الداخل وليس صوب الخارج في حين عدد الغرف ووظيفتها تختلف من مسكن الى اخر حسب الامكانيات والحاجيات ايضا والجدول يوضح ذلك.

جدول رقم (9) يبين عدد الغرف التي يمتلكها المبحوث ووظيفتها :

الغرف ووظيفتها	غرف النوم						غرف خاصة بالاستقبال		المطبخ		المجموع
عدد الغرف	1 ــ 2		3 ــ 4		5 وما فوق						
.. ..	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	
	44	31	76	55	20	14	31	22	58	٪41	140
المجموع	140	100	140	100	140	100	140	100	140	100	

ان اغلبية افراد العينة يملكون من 3 الى 4 غرف للنوم وهذا امر ضروري لان البدوي يراعي الفصل بين الجنسين من الابناء اولا، ثم البيت الزوجي الخاص بالاب والام ومسكن الابناء ان هذا يفرض عليه عدد كبير من الغرف، ولذلك نجد ان 68٪ لهم اكثر من ثلاثة غرف وحتى لو كان ذلك على حساب المطبخ او غرف الاستقبال، كما نلاحظ ان هناك 22٪ لديهم غرف خاصة بالاستقبال و، 41٪ يملكون مطبخ اما الاغلبية الساحقة فلم تتمكن من تخصيص غرف لذلك. وهناك فئة اخرى من اغنياء البدو والمستقرين فهؤلاء اكثر يسرا فمن اصل 31 فرد نجد ان 24 منهم لديهم غرف استقبال خاصة واخرى عامة وقد صرح لنا بعض المترددين على بيوتهم ان الغرفة الاولى مخصصة لاستقبال الشخصيات البارزة والتي له معها مصالح وهي مفروشة بالارائك والاثاث الحضري في حين الغرف الاخرى المخصصة لعامة الناس من الاقارب من البدو فهي مفروشة بزرابي منسوجة تقليديا، ان هذا البدوي قد اصبحت لديه نزعة طبقية ومصلحية وهو حريص بان يظهر للمجتمع الحضري بنفس السماة التي يتصفون بها، ومع ذلك فهو لم ينسلخ من اخلاقيات المجتمع البدوي بشكل كلي فهو من جهة ثانية حريص على عدم اظهار تحول في سلوكه امام اقاربه من البدو، وهذ خوفا من تأنيبهم له.

ان البدوي المستقر في قصر البخاري ،قد اخذ من الشكل العمراني الحضري مظاهره فقط بحيث استبدل الخيمة بسكن ثابت مبني من الطوب والحجر او الاسمنت، ولكن احتفظ بالاستعمال الداخلي للبيت بشكل يتوافق وعادات البدوية ، وهذا مانجده عند بعض الشعانبة او الكسوريين الذين استقروا في ورقلة وعين البيضاء مع بعض الاختلافات البيئية ، ودرجة بقاء الرابطة البدوية بينهم ...

- نموذج منزل الكسوريين المستقرين في ورقلة :

- يميل سكن الكسوريين في ورقلة الى الشكل المستطيل ولا ياخذ الشكل المربع كما رايناه في قصر البخاري ، يحتوي على غرف مرتبة تحيط بساحة مركزية مفتوحة على السماء يمكن الدخول اليها عبر ممر منعرج . اما الرواق فينتهي الى كوخ مغطى يوضع في وسائل حرفة النسيج ،كما تصلح كمخدع للماعز ، هذه الغرفة على اتصال مباشر بالساحة الداخلية ليس لها بابا تستخدم كمطبخ في الشتاء يحفر فيها حفر قليلة العمق يوقد فيها النار . كما ان الساحة الداخلية تشبه صحن البيوت الغربية لكنها اصغر واقل ارتفاعا لان بيوت ورقلة لا تتكون من طوابق بالاضافة الى غرف النوم نجد غرفة تخصص للتخزين تعرف باسم تازقرة باللهجة المحلية ، ترفق هذه المساكن بسطوح ليس للتزيين وانما لحاجة اجتماعية ، فلها نفس دور الغرف الاخرى فالبدوي المستقر يصعد اليها في الشتاء ويقضي فيها ليالي الصيف تجنبا للحرارة المنبعثة من الجدران عند غروب الشمس وهذا عكس سكن قصر البخاري ،كما انه لا يحتوي على غرف الاستقبال فهو لا يتعد اذن كونه مخبأ للحاجيات مثلما هو الحال بالنسبة للخيمة التي تعتبر مخبئا للعائلة ، ولكن الفرق يكمن فقط في كونها متينة يمكن ان تقاوم الظروف القاسية وتثبيط اعمال اللصوص، لان كثير من البدو هنا يضطرون الى مغادرة هذه المساكن في بعض المواسم خاصة في الشتاء والربيع وذلك في اتجاه الصحراء(1).

ان النتيجة التي نخلص اليها فيما يتعلق بالسكن البدوي الجديد هو كون هذا الاخير يعد امتدادا للخيمة وان اختلف عنه من الناحية المظهرية من جهة وتثبته من ناحية اخرى وما عدا ذلك فهو ما يزال يأخذ من البداوة

---

1) _ BRIGOL (M) , l'habitat des nomades sedentaries, op cit, P 186.

محليتها . فالبنايات المتباعدة وغير المنتظمة شبيهة بالمحيط القديم والوظائف الداخلية للغرف كالمخزن والزريبة والتجمع في مكان واحد على اساس القرابة شبيهة تماما للحياة البدوية .

ان البدوي المستقر يعيش نفسيا واجتماعيا حياة اقرب الى البداوة منها الى الحضرية فقد اخذ من الحياة الحضرية ماديتها فقط ، هذا التناقض هو سبب المشاكل التي تعاني منها الاحياء التي استقر فيها هؤلاء البدو فهي لا تتطابق مع الشكل العمراني الحديث . كما انه لا توجد اية رغبة فعلية لديهم من اجل تحسين ظروفهم .فعن سؤال فيما اذا حاول البدوي المستقر شراء قطعة ارض للبناء او قدم طلبا للحصول على سكن كانت النتيجة كمايلي :

جدول رقم (٨٥) يوضح فيما اذا كان المبحوث حاول شراء قطعة ارض او قدم طلب سكن .

سعي المبحوث لتحسين ظروفه المكنية	نعم		لا		المجموع النسبة	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
البحث عن شراء قطعة ارض	21	٪72،4	8	٪25،4	29	٪100
تقديم طلب سكن	9	٪13،8	56	٪86،1	65	٪100
المجموع	30	—	64	—	94	٪100

ان اغلبية افراد العينة لم يقدموا طلبات سكنية اي بنسبة 86٪ و 72٪ بالنسبة لمحاولة شراء قطعة ارض . وهذا امر طبيعي لان امكانياته محدودة ثم أن وضعيته امام سلطة البلدية تبدو وغير شرعية وحتى يحافظ على بقائه في المدينة فانه يكتفي بكوخه التي يقوم بتحسينه سنة بعد سنة فيدخل عليه تعديلات و يوسعه كما ان هذا النوع من السكن يسمح له بالاحتفاظ ببعض حيواناته .

المحـور الثانـي : الشغـــل .

ان الانتقـال من الحياة البدويـة الى الحياة الحضريـة لا يعني فقط مجـرد تثبيت السكن ، بل يضطـر البدوي ايضا على التخلي عن نشاطـه الاقتصادي المعتـاد ذلك انـه يجـد نفسـه امام مفاهـيم جـديدة لم يألفها من قبل ، فالبداوة تتضمن نشاط اقتصادي بسيـط محـدد بتنميـة الثروة الحيوانيـة ، هذه الاخيـرة يستمـد منها بعض حاجيـات ولا يبيـع منها سـوى بالقدر الذي هو في اشـد الحاجـة اليـه ، كما لزواج ، او شـراء بعض الحاجيات التي لا يمكن ان توفرهـا الماشيـة كبعض الاجهـزة و الالات الحديثة . التي يراها ضروريـة لحياتـه . كما ان هنـاك تقسيم عمـل متكامل بين افراد العائلة ، و اهم شيء هو ارتباط الاقتصاد الـرعوي للبدوي بالظـروف الطبيعية ، وعليـه فان انتقالـه الى المناطق الحضرية سـوف يتنوع معـه مصادر العمل ، الزراعـة الصناعة ، الخدمـات الاجتماعيـة و الاعمال الحرفيـة و التجارية الحرة ، كما ان العمل يصبح مقيد بالوقت و الاجـر وهي مفاهيـم لم يتعـود عليـها البدوي كما اسلفنا سابقا ، و حتى تكون لدينا رؤية واضحـة حـول اهم التغييرات التي يمكن ان تحدث من هذا الانتقال يجدر بنا معرفة نـوع الاعمال التي استقطبت اكثـر اهتمام البدو المستقريـن و هل استطاع البـدوي التكيـف معها ، دون ان يكـون هنـاك استلاب او خـلل ؟
ماهي المشاكل التي يمكـن ان تقـف كعائـق امامـه ؟
المهن التي يختارها البدوي المستقـــــــــر :

يتجـه البـدوي الى اعمـال معينـة يكـون ذلك امـا باختيـاره او نتيجـة لعدم تـوفـر منصـب شغـل في سواهـا فلا يكـون لديه الاختيـار لكـون سـوق العمـل ضيقـا و محـدودا خاصة في مـدينة قصر البخاري التي تعـد امكانياتها ضعيفـة زراعيـا و صناعيـا

الشغل	فلاح اجير		عامل في الشركة صناعة البناء		اعمال يدوية مختلفة		عامل في قطاع الخدمات		اعمال ادارية		سائق		التعليم		التجارة		المجموع	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
العدد	4	%2.8	57	%40.7	14	%10	10	%7.1	17	%5	16	%11.4	12	8.5	20	14.2	140	100

ان العمل الفلاحي يعد من الاعمال الاقل استقطابا لليد العاملة البدوية المستقرة في قصر البخاري تليها الاعمال الادارية ، وقطاع الخدمات في حين العمل في الشركات الصناعية والاشغال العمومية تاتي في المرتبة الاولى بنسبة 41 % تليها حرفة التجارة والسياقة 11،2 % فما هي خلفيات هذا الاختيار ، وما مدى تكيف هؤلاء البدو مع هذه الاعمال لقد قدم عدة باحثين تفسيرات ومواقف كانت متناقضة فيما بينها . فالبعض يرى ان البدوي لا يختار سوى الاعمال التي تعد امتدادا لتقاليده وعاداته البدوية في حين يرى اخرون ان البدوي يمكن ان يتكيف مع اعمال اخرى بل بامكانه التفوق فيها .

- مفهوم العمل عند البدوي المستقر :

يرى علي عيسى عثمان ان مفهوم العمل نفسه عقبة امام البدوي فكثير منهم يحتقرون العمل الزراعي الذي لا يتفق مع قيمهم ومع تصورهم لفضائل الرجل الفارس(1) وليؤكد هذا الراي يعطي مثال عن توجه بعض البدو في كل من السعودية والكويت الى اختيار بعض الصناعات كالبترول خاصة او السياقة هذه الاخيرة تجعل البدوي ينتقل من وسيلة نقل تقليدية الى اخرى حديثة اي تعويض الفرس بالسيارة ، فتبقى بالنسبة اليه الوسيلة المثلى لقهر مصاعب الطريق واحتقار المسافات تماما مثلما كان يؤديه الفرس والجمل لقد وجد البدو المستقرون العمل كسائقين اجرة من بين الاعمال التى تحقق لهم رغباتهم فهي من جهة مورد اقتصادي هام ، كما انها تتجاوب مع تصوراته ففي اطار محاولة الدولة الجزائرية لتقديم المساعدة لبعض صغار مربي الماشية الذين استقروا في كل من البواعيش وبوقزول ، قد وزعت عليهم اعداد لا بأس بها من رؤوس الماشية بالاضافة الى بعض القروض وذلك لتنمية الثروة الحيوانية من جهة وضمان استقرار هؤلاء البدو ومن جهة اخرى لكن ما حدث هو ان اغلبية هؤلاء المستفدين قاموا ببيع الماشية التي حصلوا عليها واشتروا بثمنها سيارات استخدموها للنقل بين مختلف بلديات دائرة قصر البخاري وقد حقق لهم ذلك ارباح مهمة .

---

(1) - علي عيسى عثمان وآخرون : ابحاث في برامج تنمية المجتمع البدوي في البلاد العربية مرجع سابق/ ص : 42

– نتيجة لعدم دفعهم للضرائب خاصة الذين لم يتحصلوا على رخص سيارة الاجرة من السلطات الرسمية ، و يمكن ان نستدل على هذا التوجه نحو مناصب شغل معينة بالاعتماد على متغير طبيعة العمل الذي سبق المبحوث المستقر ان مارسه و ما هي مدة استقراره في كل شغل علما اننا حاولنا معرفة سبب الاستقرار و عدمه في كل شغل حتى نبعد الحالات التي لا تتوافق مع فرضيتنا رحتى يكون الاستنتاج اقرب الى الواقع .

– جدول رقم (١٢) يبين المدة التي استغرقها المبحوث في الحرف الاولى

المدة / العمل	اقل من سنة		1 – 2		3 – 4		5 وما فوق		المجموع	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
فلاح اجير	8	٪80	2	٪20	—	—	—	—	10	٪100
عمل في شركة	2	13،3	6	٪40	—	—	07	46،6	15	٪100
اعمال يدوية مختلفة	7	87،5	1	12،2	—	—	—	—	8	٪100
عامل في قطاع خدمات	2	٪10	7	٪35	11	55	—	—	20	٪100
اعمال ادارية	—	—	—	—	—	—	2	٪100	2	٪100
سائق	—	—	—	—	6	37،5	9	56،5	16	٪100
التعليم	—	—	1	16،6	5	83،3	—	—	6	٪100
التجارة	—	—	—	—	12	70،5	2	11،7	17	٪100
بدون عمل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
المجموع	22	—	17	—	34	—	20	—	94	٪100

ان البدو الذين اتجهو نحو العمل الزراعي اغلبيتهم لا تتعدى مدة استقرارهم فيها سنة وذلك بنسبة 80٪ في حين 20٪ امتدت مدة استقرارهم الى اكثر من سنة لكنها لم تتعدى سنتين ، و هذا راجع الى كون الزراعة في المنطقة ضعيفة نتيجة للمناخ شبه الصحراوي الذي يسود المنطقة و لذلك فان عمله في المجال الزراعي لا يتعدى سوى بعض الاشهر التي تتوافق مع فترة الحصاد اما باقي الاشهر الاخرى فيقضيها اما كراعي اجير عند كبار الموالين الذين لديهم اعداد كبيرة من الماشية و الذين استقروا بشكل كلي فيعهدون الاعتناء بماشيتهم لهؤلاء الرعاة الذين فقدوا قطعانهم او لم يعد لديهم سوى اعداد قليلة لا تكفي حاجياتهم و لئن كانت حرفة الراعي اصبحت هامة جدا لارتفاع الاجر فيها من 2000دج الى 3000 دج فان ارتباطها بالاجر تجعل امكانية تجديد قطيع الراعي من جديد امر غير ممكن ، لكون هذا الاخير يجعل اجرته تحت تصرف عائلته المستقرة في المدينة . و لما كانت حاجيات هذه العائلة تزداد يوما بعد يوم ، و خاصة انها لم تعد تلك العائلة التي تشارك في الانتاج البدوي من خلال ما تقوم به من نشاط في مجال النسيج و الاعتماد في الاستهلاك على الاكتفاء الذاتي ، بل اصبحت عائلة استهلاكية و وهكذا يحاول الراعي استغلال فترة الاصطياف في الشمال على حدود دائرة قصر البخاري للعمل في الزراعة مؤقت فلا هو تمكن من الاندماج في المجال الفلاحي و لا هو استطاع ان يكون قطيع خاص به ووقع فريسة استغلال كبار الموالين من جهة ، و اصحاب الحقول الشاسعة او البساتين التي تنتشر هنا و هناك من جهة اخرى و من بين الاعمال التي لا يستقر فيها البدوي ايضا الحرف اليدوية كالتجارة و الحدادة ، و هذا راجع الى كون الاجرة التي تمنح له منخفضة جدا ثم انها تقيد البدوي المستقر بالوقت و بنظام عمل خاص يشكل عبئا ثقيلا عليه .

و لذلك نجد ان نسبة البدو الذين كانت مدة استقرارهم اطول هم اولئك الذين يشتغلون في الشركات الوطنية و السياقة ثم التجارة فهي تتراوح بين 3 الى 5 سنوات . و اكثر تجاوبا مع تصوراته خاصة التجارة و السياقة فهي تدر عليه مداخيل محترمة و تجعله غالبا بمنأى عن المراقبة او الخضوع لنظام صارم مفروض عليه فالتجارة مارسها البدوي منذ القدم و بمختلف الطرق سواء كانت طريقة المقايضة

او التبادل النقدي لقد كان البدوى بالاضافة الى الاتجار بما ينتجه من ثروته الحيوانية ينقل الى الشمال التمور واكياس من ملح الطعام ،واذا كانت هذه السلع حاليا تلاشت تقريبا لتحل محلها سلع اخرى اكثر اهمية .

– موقف مونتاي فانسون

راينا الاتجاه الاول الذي يرى ان البدوى يتجه الى الحرف التي تتطابق في بعض جوانبها مع تصوره البدوي لكن هذه القاعدة تبدو انها ليست عامة بحيث يذكر مونتاي في بوير جنوب وهران بالقنادسة من بين 3000 عامل هناك اكثر من 2200 بدوى هناك 800 شخص من دوي مني وهؤلاء يستقرون مع عائلتهم . (1)

فالبدوى هنا يبدي تكيفا سريعا مع العمل الصناعي ويتاكد هذا من خلال النتائج الميدانية التي توصلت اليها بروهيزا (proHusa) سنة 1958 وذلك من خلال الاختيارات البسيكو تقني التي اجريت على العمال البدو وغير البدو وكان الاختبار يشتمل على 400 موضوع في المتوسط عدد المختبرين كان 5000 فرد من بدو مخادمة اظهرت النتائج تفوقهم على الحضر بتكوينهم وملاحظتهم وذاكرتهم ورؤيتهم وتوجيههم الواقعي ثم تذوقهم للعمل الحرفي بالرغم من بعض الصعوبات في فهم الميكانيك (اختبار العجلة) وغياب مفهوم الانتاج او العائد .

تبدو هذه المواقف اكثر تفاؤلا ولكن مع ذلك فان تعميمها لا ينطبق على جميع البدو ،فقابلية التكيف قد لانجدها عند جميع البدو بنفس الدرجة فالبدوى انذاك لم يكن لديه الاختيار،ثم ان هنا التكيف يخص ميدانًا من ميادين التصنيع وهي الصناعة الاستخراجية التي لاتتطلب سوى القوة العضلية مع بعض التدريب النظري البسيط وطول النفس والتحمل وهي مميزات لا نجدها سوى عند البدوى الذي آلف قساوة الطبيعة واتعابها كما ان البدوى انذاك لم يكن امامه تنوع في الشغل والوظائف عكس ما هو موجود اليوم

---

1) Marteil (V), les tribus du [illegible] et la [illegible] des nomade op cit, P 59.

بحيث تطرح مشاكل جديدة يعاني منها البدوي ويمكن تلخيصها فيما يلي :

جدول رقم (٤٣) يبين المشاكل التي يعاني منها البدوي :

الشكل	ظروف العمل		الاجر		علاقات العمل		لا توجد مشاكل		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العدد	8	%8,5	29	%30,8	53	56,3	4	4,2	94	100

فظروف العمل تبدو للبدوي المستقر امر ثانوي وهو يتطابق مع ما ذهب اليه مونتاي بالنسبة لعمال القنادسة لكن علاقات العمل ومشكل الاجر مشكلان اساسيان يعاني منهما العامل البدوي ، فتنظيم العمل الصارم والخضوع لتدرج سلطوي تجعله تحت مراقبة مستمرة وهو ما لا يستطيع ان يتقبله البدوي لقد كان سيد قطيعه يتقلهما اينما شاء ومتى شاء ويستثمرها كيف ما شاء دون ان يكون له رقيبا او محاسبا ، اما فيما يتعلق بمشكل الاجر فهناك نسبة 30,8% ترى ان الاجر غير كافي ولا يتطابق مع قدرتهم الشرائية ، فالاجر هنا لا يقاس بما يبذلونه من جهد او مقدار ما ينتجون ولكن بما يمكن ان يحقق لهم من حاجيات خاصة اذا علمنا ان طموح البدوي اصبحت واسعة وتزداد يوما بعد يوم ، فاعجابه بما تعرضه الحياة الحضرية من سلع كمالية تجعل عائلته تسعى باستمرار للحصول عليها ، ولما كان مدخوله محدود فانه يحدث عدم التوازن بين الحاجيات المتزايدة باستمرار وثبات الاجر لسنوات طويلة ، وهذا ما يدفع بالكثير من البدو وخاصة في قصر البخاري الى ممارسة بعض الحرف الطفيلية خارج وقت العمل لبيع السجائر وبعض الحلويات امام المقاهي ، او السلع التي يكثر عليها الطلب في السوق والتي تمكنوا من الحصول عليها في اسواق الفلاح ، وفي حالة ارتباط البدوي المستقر بشغله ، فان ابنائه هم الذين يقومون ببيعها ، انه لا يكاد يوجد رواق الا وكان طابور من عارضي مختلف السلع حتى انك تجد من يعرض ميثرولا قديما جدا كما ان هناك التجار المحترفين الذين يعرضون الالبسة الاجنبية والاجهزة المستوردة وقطع الغيار .

موقف البدوي المستقر من عمل المراة

يعتبر المجتمع البدوي كغيره من المجتمعات ، تتوزع فيه الادوار داخل الاسرة وفقا لمعايير اجتماعية كالسن والجنس ، ففيما يتعلق بتقسيم العمل فهناك ضبط دقيق لاعضاء الاسرة ، فالاطفال البالغين لسن الرشد يتولون مهمة الرعي ، بينما الاب وكبار الاخوة تكون مهمتهم البحث عن المراعي وجلب مياه الشرب والنقل وعملية البيع او الشراء سواءا تعلق ذلك بالماشية او المواد الاستهلاكية ، بينما تقوم النساء ببعض الاشغال اليدوية ، كالنسيج وصنع بعض الاواني المنزلية التقليدية بالاضافة الى الطبخ .

ان هذا النوع من تقسيم العمل يجعل من الاسرة وحدة منتجة تتضافر فيها جهود الجميع لاحداث تكامل منسجم في الادوار ، بالرغم من ان هناك تمايز بين مهام الجنسين ، فنادرا ماتلا حظ المراة البدوية خارج خيمتها لكن بعد استقرار البدوي في المدينة سوف تتغير امامه الموارد الاقتصادية والمحيط الاجتماعي ، وهذا يعني ايضا اصطدام بقيم جديدة فيما يتعلق بتقسيم العمل بين الجنسين وخاصة فيما يتعلق بموقفه من عمل المراة خارج البيت وهو ما حولنا الوقوف عليه في هذا المبحث حيث طلبنا (ذلك من الجنسين معا) من المبحوث ابداء رايه حول عمل المراة خارج البيت طلبنا ذلك من الجنسين معا ، حتى نعرف موقف المراة من وضعيتها فكانت محصلة الاستجواب كالتالي :

========== جدول رقم [٨٤] يبين موقف الجنسين من عمل المراة خارج البيت .

الموقف / الجنس	عملها في البيت		العمل في التعليم		العمل في المستشفيات		العمل في اي مكان		مجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	تكرار	%
الذكور	57	41	26	19	09	06	02	01	94	67
الاناث	31	22	09	06	14	03	02	01	46	33
المجموع	88	63	35	25	23	09	04	.2[illegible]	140	100

جدول رقم (45) يوضح العلاقة بين المستوى التعليمي للمبحوثين و موقفهم من عمل المراة خارج البيت .

المستوى التعليمي	امي		ابتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي		مجموع	
الموقف	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرا	%
موافق على عملها خارج البيت	10	07	09	06	17	12	12	09	04	03	52	37
عدم الموافقة على عملها خارج البيت	32	23	46	33	07	05	03	02	—	—	88	63
المجموع	42	30	55	39	24	17	15	11	4	3	140	100

ان المبحوثين الذين لا يحسنون القراءة و الكتابة يبدو ان 7 ٪ منهم يوافقون على عمل المرأة خارج البيت ، الا ان 23٪ لا يوافقون على ذلك بينما 6٪ من الذين لهم مستوى ابتدائي يوافقون على عملها خارج البيت و33٪ يرفضون فكرة عملها خارج البيت اما ذوى المستوى التعليمي المتوسط فان 12٪ لا يرون مانع في عملها خارج البيت (5 ٪ يرفضون ذلك . كما ان الذين لديهم مستوى ثانوي فان 9 ٪ يوافقون على عملها في اي مجال خارج البيت اما 2 ٪ يرون في ذلك تجاوزا الحدود و ظيفتها داخل البيت ، و اخيرا فان 3٪ من الجامعيين يوافقون على عملها خارج البيت و لا احد يعاوض على ذلك .

يتضح من المعطيات السابقة وجود علاقة تاثيرية بين المستوى التعليمي للمبحوث و موقفهم من عمل المراة اذ نلاحظ توافق اضطراري بين المتغيرين ، فكلما ارتفع المستوى التعليمي ترتفع معه نسبة الموافقون على عمل المراة خارج البيت و العكس بالنسبة الذين لا يوافقون على عملها خارج البيت حيث انه كلما انخفض المستوى التعليمي ترتفع معه نسبة الذين لا يوافقون على عملها خارج البيت ، اذ هذه العلاقة تبقى غير واضحة ما لم نبحث على اسباب هذا التوافق بين المستوى التعليمي و الموقف من عمل المراة خارج البيت حيث حاولنا استشفاف ذلك من المبحوثين من خلال طرح اسئلة المراد منها معرفة اسباب الموقف . فكانت الاسئلة على الشكل التالي : لماذا توافق على عمل المراة خارج البيت فجاءت اجابة اغلبية الذين يوافقون على عملها خارج البيت ان الدافع هو الحاجة الاقتصادية للاسرة نظرا لتزايد متطلبات العائلة ، بينما الذين يرفضون عملها خارج البيت يبررون موقفهم بقولهم : ليس من الرجولة ان تعمل المراة على الرجل و خاصة خارج البيت .

يرى 41% من الذكور ان مجال عمل المراة هو تربية الابناء ورعاية الحياة الزوجية في البيت . بينما 19% يوافقون على عمل المراة خارج البيت لكن بتحفظه حيث يشترطون انحصار عملها في وظائف معينة كالتعليم مثلا . نفس الموقف نجده لدى 6% لكنهم يحددون مجال عملها في المستشفى على اساس معالجة المرضى من جنسها دون الاختلاط بالرجال ، اما 1% فلا يرون اي حرج في عملها خارج البيت وفي اي مجال شاء .

اما فيما يتعلق بموقف المراة من عملها فاننا نلاحظ ان 22% مقتنعات بعملهن في البيت ، اما 6% فانهن يفضلن ان يكون مجال عمل المراة التعليم ، كما ان 3% يرون ان العمل في المستشفيات انسب للمراة و 1% ترى ان المراة لها الحق في العمل في اي مجال .

اذن يبدو ان متغير الجنس لا يشكل اي تاثير على المواقف من عمل المراة ، بحيث نجد الاغلبية من الجنسين يحتفظون بتقسيم العمل التقليدي الذي اعتادوه في البادية ، وحتى وان اضطرت الى العمل خارج البيت ، فلا ينبغي ان تتعدى الوظائف التي يعتبرونها امتدادا لعمل المراة في البيت الذي هو تربية الابناء .

ان الشكل الذي اصبح عليه تقسيم العمل داخل الاسرة البدوية المستقرة ، هو الشكل الذي يضيق فيه نشاط المراة فقيل انها اصبحت مهمشة ، فبعد ما كانت تقوم بتربية الابناء ، بالاضافة الى المساهمة في تخفيض نفقات الاستهلاك وتحديد حد اقصى من الاكتفاء الذاتي للاسرة بما تنتجه من بعض المنسوجات والاواني المنزلية قصد الاستعمال الشخصي وفي بعض الاحيان يوجه الى البيع فتخفف بذلك من الاعباء الملقاة على الرجل .

اما بعد الاستقرار حتى تربية الابناء اصبحت من مهام المدرسة حيث يقضي فيها الطفل اغلبية وقته زد على ذلك الشارع ، والتلفزة التي اصبحت توجه سلوك الاطفال وتحدد تصرفاتهم بل تشغل هذه الاخيرة الوقت المتبقي بعد الوقت المدرسي .

ان هذا الموقف المتحجر من عمل المراة خارج البيت الذي يبرز لدى المبحوث يستحق البحث والتحليل للوقوف على اهم العوامل التي قد تؤثر في تحديد هذا الموقف سواء اكان التاثير مباشرا او غير مباشر ولعل المستوى التعليمي يبدو اكثر فعالية في هذا الاطار باعتباره قناة توصيل القيم الحضرية . فهل استطاع هذا العامل اداء هذا الدور ، لمعرفة ذلك حاولنا معرفة مدى تاثير المستويات التعليمية المختلفة للمبحوثين في تحديد موقفهم من عمل المراة خارج البيت وذلك بشكل اكثر حسما . اي : موافق على عملها او غير موافق على ذلك ؟

اما ٢٪ يرون في ذلك تجاوز الحدود وظيفتها داخل البيت ، واخيرا فان ٣٪ من الجامعيين يوافقون على عملها خارج البيت ولا احد يعارض على ذلك.
يتضح من المعطيات السابقة وجود علاقة تاثيرية بين المستوى التعليمي للمبحوثين وموقفهم من عمل المراة اذ نلاحظ توافق اضطرادي بين المتغيرين، فكلما ارتفع المستوى التعليمي ترتفع معه نسبة الموافقون على عمل المراة خارج البيت والعكس بالنسبة للذين لا يوافقون على عملها خارج البيت حيث انه كلما انخفض المستوى التعليمي ترتفع معه نسبة الذين لا يوافقون على عملها خارج البيت ، ان هذه العلاقة تبقي غير واضحة مالم نبحث على اسباب هذا التوافق بين المستوى التعليمي والموقف من عمل المراة خارج البيت، حيث حاولنا استشفاف ذلك من المبحوثين من خلال طرح اسئلة المراد منها معرفة اسباب الموقف . فكانت الاسئلة على الشكل التالي :
لماذا توافق او لا توافق على عمل المراة خارج البيت؟ جاءت اجابة اغلبية الذين يوافقون على عملها خارج البيت ان الدافع هو الحاجة الاقتصادية للاسرة نظرا لتزايد متطلبات العائلة ، بينما الذين يرفضون عملها خارج البيت يبررون موقفهم بقولهم : ليس من الرجولة ان تعمل المراة على الرجل وخاصة خارج البيت.
ان استمرار مثل هذه الذهنيات سوف يعيق بدون شك عملية التغير الذي يستجيب لمتطلبات الاقتصاد الحديث الذي يعتمد على استثمار كل الطاقات البشرية في عملية الانتاج وهذا ليس فقط على مستوى الاقتصاد الوطني وانما حتي حاجيات الاسرة التي اصبحت حتمية اكثر من اي وقت مضى ، فدخل منخفض يعني عدم القدرة على النفقات المادية لحاجيات الاسرة الغذائية بشكل طبيعي وكذلك نفقات تعليم الابناء.

المحور الثالث : اللباس.

يكاد يكون من الصعب تحديد نوع من اللباس الذي يرتديه البدوي المستقر في مدينة قصر البخاري ، لكون اللباس الاوروبي اصبح انتشاره عاما في كل التجمعات السكنية ، حتى ان الالبسة التي كانت تصنف ضمن الالبسة التقليدية لم تعد تختلف عن تلك التي يرتديها سكان المدن الكبرى، لكن ثمة امكانية التمييز بين السكان البدو من حيث بعض خصائص اللباس فهو يختلف من فصل الى اخر كما يرتبط بشكل الحياة وسن الفرد . وحتى يكون تحليلنا مبني على اسس اكثر موضوعية ، حدد الشكل العام لنوع اللباس الذي يرتديه المبحوثين بصفة اعتيادية ، وذلك حسب التصنيف التالي :

فيما هو تقليدي يقصد به اللباس المعتاد عند البدو ، ففي فصل الشتاء يرتدي البدوي البرنوس او الجلباب المصنوع من صوف الاغنام او وبر الجمال ، اما السروال فهو فضفاض وتفصيله بسيط جدا ، وغالبا ما يتم خياطته من قبل العائلة ذاتها ، كما انه يلف حول راسه (الشاش) الذي هو عبارة عن قطعة قماش طويلة بيضاء او صفراء اللون ، ونوعية هذا الشاش تعبر عن مكانة الفرد داخل الجماعة نظرا لاختيار الاغنياء من البدو او شيوخ القبائل لاجود الاقمشة واثمنها . اما في فصل الصيف فقد يستغني عن الملابس الصوفية ويحتفظ بالجلباب و السروال الفضفاض وايضا الشاش.

في حين اللباس العصري تقصد به اللباس الاوروبي ، فهو عبارة عن سروال طويل مفصل يتطابق مع جسم الشخص ويكون ضيقا نوعا ما وايضا قميص او بذلة فاخرة ، هذا عند الرجال .

اما المراة البدوية فهي معتادة على لبس فستان بسيط في تفصيله ويكون من اقمشة غير شفافة داكنة اللون وهو غير فضفاض ، وعند البنات يكون مشدود بحزام في الوسط وهو ضروري للفتاة البكر ، اذ هو اكثر من مجرد حزام لكونه يعبر عن وضع اجتماعي خاص ، فارتداء الحزام يدل على العفة والحياء ، بينما التخلي عنه يجعل الفتاة في وضع غير محترم بين افراد العائلة .

وقد يؤدي في بعض الاحيان الى الضرب اذا رفضت البنت ارتدائه
ويذهب بعض الاباء الى ابعد من ذلك حيث الحزام بالنسبة اليهم يضمن
المراقبة الدائمة للبنت خوفا من الحمل الذي قد يتم عن ممارسة الجنس
بطريقة غير شرعية . وتضع المراة البدوية فوق راسها خمار يغطي شعر
راسها فقط دون رقبتها التي تبقى مكشوفة لتظهر الاساور التي تكون في
الغالب فضية على جيدها ، وعند خروجها من الخيمة تضع فوقها
رداء طويل يمتد من الراس حتى اسفل الكعبين . هذا فيما يتعلق باللباس
التقليدي للمراة البدوية لكن يظهر انها هي ايضا ليست بمنىء عن التاثر
باللباس الاوروبي بحيث تخلت عن الرداء والاساور الفضية واصبحت البستها
متنوعة ومن الاقمشة الشفافة والقصيرة . كما انها تتماشى مع
المناسبات .
فعلى اساس هذا التصنيف استقينا من افراد العينة المعطيات المحددة
لنوع اللباس الذي يرتديه المبحوث وذلك على النحو التالي :

جدول رقم (16) يوضح نوع اللباس الذي يرتديه المبحوث .

نوع اللباس	تقليدي		عصري		تقليدي وعصري معا		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
العدد :	30	21	94	67	16	12	140	100

يبين الجدول ان 21% من افراد العينة لا يزالون يحتفظون باللباس التقليدي
او المعبر عن الاصالة البدوية في حين 12% يرتدون البسة تقليدية وعصرية
معا .
وهذا يبين الاتجاه العام للتغير في الذوق والاهتمام بالمظهر الخارجي
حيث اصبحت الالبسة العصرية هي المفضلة .

العوامل المؤثرة في الاتجاه نحو الالبسة الاوربية .

1 ـ العامل التاريخي والثقافي :

لقد لعبا العامل التاريخي والثقافي للمنطقة دورا مهما في توجيه اذواق وسلوك سكان المنطقة، فمنطقة: قصر البخاري كانت مجمع لعدة انماط انسانية حلت بها منذ بنائها، سواء كانت من خلال هجرات داخلية من منطقة القبائل الكبرى او من منطقة الاغواط و غرداية وحتى من سكان الشمال خاصة التجار، ضف الى هذا مختلف الغزوات الخارجية والتي من بينها الغزوات الرومانية التي كانت لها قواعد عسكرية امامية للتوغل في الصحراء وازدادت تاثيرات القيم الاوربية وسلوكاتهم على سكان المنطقة مع الاستعمار الفرنسي ذلك ان زحفهم وصل الى في العشرينيات الاولى للاحتلال ومن ثم فان تقليد السكان للاوربيين فيما يتعلق بالالبسة كان نتيجة تعامل بعض شيوخ القبائل البدوية مع الاستعمار، فيتذكر احد الشيوخ ان الكبار ان فرنسا كانت تمنح الالبسة للمتعاملين معها . والشيء الملاحظ ايضا هو غياب التاثير التركي من حيث اللباس على سكان المنطقة الامر الذي نلاحظه لا يزال ينتشر بين الكبار في السن في الشمال وهذا راجع الى غياب احتكاك سكان المنطقة بهم بشكل دائم فقد كانوا يكتفون بجمع الحاجيات من الاهالي الذي يسهر عليها شيوخ القبائل وتقدم الى جامعيها من الاتراك .

2 ـ اساليب العمل الجديدة .

لقد ساعد على الانتقال السريع من ارتداء الالبسة التقليدية الى ارتداء الالبسة الاوربية، انواع العمل والحرف التي ظهرت في المنطقة، بحيث تعذر على البدوى القيام بهذه الاعمال وهو محتفظا بلباسه كاملا، فتخلى اولا على الجلباب او القندورة حتى يكون سريع الحركة ومتكيفا مع وسائل العمل فهذا التغيير يمكن ان نقول عنه تم تحت الاسلوب الجديد في العمل الذي ادخلته فرنسا الى المنطقة خاصة بعد اكتشاف البترول في الصحراء .

اسبانية حلت بها منذ بنائها، سواء كانت من خلال هجرات داخلية من منطقة القبائل الكبرى او من منطقة الاغواط وغرداية وحتى من سكان الشمال خاصة التجار، اذ الى هذا مختلف المعزوات الخارجية والتي من بينها الغزوات الرومانية التي اتخذتها قواعد عسكرية اساسية للتوغل في الصحراء، وازدادت تأثيرات القسم الاوروبية وسلوكهم على سكان المنطقة مع الاستعمار الفرنسي ذلك ان زحفهم وصل الى المنطقة في اكثر العشرينات الاولى للاحتلال ومن ثم فان تقليد السكان للاوربيين فيما يتعلق بالالبسة كان نتيجة تعامل بعض شيوخ القبائل البدوية مع الاستعمار، فيتذكر احد الشيوخ الكبار ان فرنسا كانت تفرض هذه الالبسة على المتعاونين معها، والشيء الملاحظ ايضا هو غياب التأثير التركي من حيث اللباس على سكان المنطقة الأمر الذي نلاحظه لا يزال ينتشر بين الكبار في السن في الشمال وهذا راجع الى غياب احتكاك سكان المنطقة بهم بشكل دائم فقد كانوا يكتفون بجمع الجبايات من الاموال التي يجمعها شيوخ القبائل وتقدم الى جامعيها من الاتراك.

2 ـ اساليب العمل الجديدة .

لقد ساعد على الانتقال السريع من ارتداء الالبسة التقليدية الى ارتداء الالبسة الاوروبية انواع العمل والحرف التي ظهرت في المنطقة بحيث تعذر على البدوي القيام بهذه الاعمال وهو محتفظا بلباسه كاملا فتخلى أولا عن الجلباب او القندورة حتى يكون سريع الحركة ومتكيفا مع وسائل العمل فهذا التغيير يمكن ان نقول عنه انه تم تحت الاسلوب الجديد في العمل الذي ادخلته فرنسا الى المنطقة خاصة بعد اكتشاف البترول في الصحراء والذي شكلت اليد العاملة البدوية ركيزته الاولى، حيث كان الكثير منهم مستقرين في قصر البخاري ويبزاولون عملهم في هذه المعامل كما ... كان للعامل الاقتصادي دورا كبيرا في الميل الى ارتداء هذه الالبسة الاوروبية بحيث لم يكن امام البدوي الذي اتعبه الفقر ولا يكاد يجد ما يضعه فوق جلده الخيار امام اقتناء هذه الالبسة .

٤ - العامل الايكولوجي :

بالنسبة لهذا العنصر يضاف الى العوامل السابقة وهو أن البدوي اصبح يعتبر اللباس الاوربي يدل على الرفاهية والتحضر، وهذا هو آخر عامل نعتبره يعبر عن مدى التخلي في ما هو من اصالة البدوي وذلك بشكل تدريجي ولقد شمل هذا التقليد أولاً المدن ليتسع فيما بعد الى باقي التجمعات الاجتماعية التي تحيط بشكل منتشر في السهوب والصحراء، كما ارتبط بدرجة الاتصال بالمدينة ولمعرفة درجة تأثير هذا العامل مما جعلنا نختار فيما اذا كان لمدة الاستقرار البدوي في [illegible] تأثيراً على نوع اللباس الذي يرتديه فجمعنا المعطيات حسب الجدول التالي .

جدول رقم (17) يوضح العلاقة بين نوع اللباس بالفترة التي استقر فيها المبحوث

تاريخ الاستقرار / اللباس	قبل 1962		ما بين 1962 و 1972		بعد 1976		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
تقليدي	17	12	07	05	06	04	30	21
متحضر	05	04	58	41	31	22	94	67
تقليدي و متحضر معا	—	—	11	08	05	04	16	12
المجموع	22	16	76	54	42	30	140	100

كما هو موضح في الجدول نجد من بين الذين استقروا قبل 1962 هناك 12 % لا يزالون متمسكين باللباس التقليدي اما الذين استقروا ما بين 1962 و 1972 يوجد 5 % ملابسهم ما زالت تقليدية بالاضافة الى 4 % ممن استقروا بالمدينة بعد 1972 يفضلون هذا اللباس.

اما الذين غيروا هنداهم واصبح ذو طابع عصرى فمنها ان 40% كان استقرارهم قبل 1962 و 41% تم توطنهم مابين 1962 و 1972 واخيرا 22% استقروا بعد 1972 ، والى جانب الطابع التقليدى والعصرى في اللباس تظهر الفئة التي لم تتجذر بعد من اللباس التقليدى البدوى، فمنهم 80% استقروا ما بين 1962 و 1972 و 40% بعد 1972

يظهر من الاستقراء السابق للمعطيات ان التخلي عن اللباس التقليدى من قبل البدوى المستقر زادت وتيرته بعد الاستقلال مباشرة بحيث نجد 41% ممن استقروا فيما بين 1962 و 1972 يرتدون ملابس عصرية من مجموع 54% استقروا في هذا التاريخ، ونلاحظ من ناحية اخرى ان مدة الاستقرار لا تشكل عاملا اساسيا في تحديد درجة تقبل البدوى لتغيير مظهره الخارجي حيث نجد ان 22% ممن استقروا بعد 1972 يرتدون ملابس عصرية بالرغم من استقرارهم الحديث نوعا ما، وهذا يثبت صدق ما ذهبنا اليه في فرضيتنا ، وهو ان التغير المادى المظهرى اسرع من التغير في القيم .

ثمة ظاهرة اخرى تلفت الانتباه وهي الازدواجية التي نجدها لدى بعض الفئات البدوية المستقرة حيث انها تجمع ما بين اللباس التقليدى والعصرى في آن واحد ، وهذا ليس بشكل عفوى، ولكن ينم عن اضطراب الشخصية الاجتماعية عند البدوى، فهو من جهة يأبى الانسلاخ الكلي عن المجتمع البدوى ولو في بعض مظاهره الخارجيه الا ان التمسك الكلي بالالبسة البدوية يجعله موضع سخرية واستهزاء امام سكان المدينة، فما هي اذن الالبسة التي يحتفظ بها البدوى (x) اخر ما يتخلى عنه البدوى من اللباس.

ان اخر ما يتخلى عنه البدوى من اللباس، هو الشاش الذى يضعه فوق راسه فهو يعيب من لم يلتزم به ،بل نلاحظ أنه يعتبر من علامات عدم نكران انتمائه البدوى،وهذا لا يتعلق بفئة دون اخرى،فقد وجدنا في بلدية البراعيز التي مارس اغلب سكانها الحياة البدوية ،ثم استقروا نتيجة توزيع الدولة الجزائرية بعض القطع الارضية لاستغلالها في الفلاحة ،

ولتحقيق ذلك؟ قامت سكن جماعي لهولاء البدو من تخليهم عن الملابس التقليديه فانهم يحتفظون بالتاثر حتى ان رئيس البلدية الاكثر اتصالا بمدينة قصر البخاري ومسوولي الدائرة ،ان تمسك رئيس البلدية هنا بالشاش ... البدوى وارتداء البرنوس في المناسبات حفظا له انتمائه البدوى،ومكنه من اداء دورين هامين في نفس الوقت،فقد ضمن من جهة ولاء البدو له ،ومن جهة اخرى تخيير ... مستدامه حتى يكون غير مميز عن باقي المسوولين امثاله ، او عن سكان المدن ،وقد استطاع بفضل تصرفه هذا الجديد من موظفي الدائرة ،فهو يحتاج الى مساعدتهم لكونه غير متعلم،فهو شيخ عشيرة العبوا عيشر ورئيس بلديتها ،ونفس السلوك نجده عند كبار ... السوالين الذين استقروا ،فان الشاش والقشابية تلازمهم فهي تكسبهم ثقة البدو الذين يتعاملون معهم .

اضافة الى العوامل الآنفة الذكر والتي اثرت على اتجاه البدو نحو اللباس الاوربي ، كالعامل التاريخي والاقتصادى،وكذلك مدة الاستقرار ... ودرجة الاحتكاك بالسكان الحضر،فانه لا ينبغي إهمال عامل السن ،فالكبار الذين الفوا اللباس التقليدى وأصبح جزءا من حياتهم يعبر عن تمسكهم بالجذور التاريخية لانتمائهم البدوى فان الشباب أبناء البدو المستقرين بالنسبة اليهم الامر غير ذلك،فهم لم يسبق ان لبسوا هذا اللباس وحتى وان فرضت عليهم في الصغر،فان المحيط الاجتماعي في المدينه يحول دون اقتفاء أثر ابائهم وأجدادهم ،وحتى يكون استنتاجنا اكثر واقعية حاولنا معرفة مدى تأثير السن في درجة التمسك باللباس التقليدى عند مختلف فئات الاعمار وذلك على النحو الاتي :

جدول رقم (18) يوضح العلاقة بين متغير السن ونوع اللباس.

فئات الاعمار / اللباس	20ـ30 سنة		31ـ40 سنة		41ـ50 سنة		اكثر من 51 سنة		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
تقليدي	--	—	06	04	14	10	10	67	30	21
عصري	30	21	56	46	07	05	01	01	94	67
تقليدي وعصري معا	03	2	02	02	09	06	02	09	16	12
المجموع	33	23	64	46	30	21	13	10	140	100

نلاحظ انه من بين فئات الاعمار التي تتراوح ما بين 20 و30 سنة منها 21% يرتدون البسة عصرية و02% لباسهم عصري وتقليدي في نفس الوقت، اما فئة الاعمار التي تنحصر بين 31و40 سنة نجد ان 04% لا يزالون يحتفظون باللباس التقليدي و40% البستهم عصرية و 02% تقليدية وعصرية معا . ثم الفئة الثالثة والتي تتراوح اعمارهم ما بين 41و50سنه نجد ان 10% من المتمسكين بالالبسة البدوية و05% تخلوا عنها وبقي 06% يحتفظون بجزء من الالبسة التقليدية، وأخيرا فئة كبار السن الذين تزيد اعمارهم عن 51% فان نسبة 67% لم يغيروا من طبيعة البستهم البدوية شيئا في حين 01% تخلى عن اللباس التقليدي و09% لا يزالون متمسكين بجزء من اللباس التقليدي البدوي والذي غالبا ما يكون هذا الجزء يتعلق بالشاش او البرنوس او القندورة .

يتضح من هنا ان الاكثر تمسكا باللباس التقليدي هم كبار السن من 41% وما فوق، اما الذين لم يعد لديهم الرغبة في هذا اللباس هم الشباب اما الفئة الثالثة التي ترتدي اللباس التقليدي والعصري معا فإن دهما لازالت مرتبطة بالحياة البدوية، فالبعض منهم يمارس تجارة الماشية والبعض الاخر يمتلك قطيع من الماشية وكله الى راع ينتقل به ما بين السهوب والتل بحثا عن الاعشاب . فاذا كان هناك نوع من التواصل لدى هولاء

بالحياة البدوية حفظ بعض التقاليد البدوية فما سبب القطيعة التي أدت بالشباب الى التخلي الكلي عن اللباس التقليدي، وما انعكاسات ذلك على العائلات البدوية المستقرة أولاً ثم المحيط الاجتماعي الحضري ثانيا ؟؟.

لقد ذكرنا سابقا ان الشباب ابناء البدو المستقرين اغلبيتهم ان لم نقل جلهم لم يسبق لهم ممارسة الحياة البدوية، ومن ثم فإن احتكاكهم بسكان المدينة اولا ثم الدخول الى المدارس اوجب عليهم ارتداء الملابس العصرية خاصة في المستوى الثانوي، بحيث يصبح ابن البدوي المستقر يتسابق من اجل اقتناء الانواع الجديدة من الالبسة المستوردة من اوربا وهذا ينطبق على الجنسين معا، وقد ادى هذا الى تذمر اوليائهم خاصة لباس الاناث فهم يصفونها باللباس غير المحتشم والمكلف جدا الا للعائلات الغنية فإن هذا الموقف يختفي، ومع ذلك فان هؤلاء الاولياء لم تعد لديهم القدرة على التحكم في قيم ابنائهم الجديدة خاصة بعد مرور فترة طويلة من الزمن، فتصبح أمراً عاديا لا يبعث على القلق.

اما فيما يتعلق بانعكاسات ذلك على المحيط الاجتماعي فهو رواج الالبسة المستوردة في الاسواق، وارتفاع عدد ممارسي تجارتها في مختلف جهات المدينة خاصة وان المدينة تعتبر مركزا اقتصاديا هاما للبدو واشباه البدو الذين يعيشون خارج المدينة فقد لوحظ ارتياد ابنائهم على سوقها الاسبوعي لاقتناء هذه الالبسة، فوجد الشباب البطال من العمل في ذلك طريقة سهلة لكسب بعض الاموال لسد حاجياتهم، ويكفيه لاقتناء هذه الالبسة الانتقال الى المدن الكبرى المجاورة لقصر البخاري.

المحور الرابع: الانتقال من اثاث التزيين التقليدي الى الاثاث العصري.

يعتمد الرحل في المجتمع البدوي اساسا على الهجرة والانتقال المستمر مما يجعله يكتفي باثاث بسيط حتى يكون سهل التنقل الدائم. لكن رغم بساطة هذا الاثاث فانه لا يخلو من الجماليات الفنية النابعة من اصالة المجتمع البدوي والتي تستهدف تزيين الخيمة خاصة خيمة الضيوف، ويكون هذا الاثاث مصنوعا في غالب الاحيان بطريقة يدوية وهو يشتمل على الانواع التاليه : الزرابي بمختلف انواعها واشكالها وما يميزها هو خلوها من رسومات الحيوانات لكنها تحتوي على الوان متعددة وايضا هناك المطارق الكبيرة الحجم المحشوة في الداخل باصواف الاغنام كما تكون مزركشة بالوان واشكال جميلة وتستخدم للجلوس، وهذا النوع لانجده الا عند أغنياء البدو وهناك بعض العائلات وهي قليلة تستخدم الخشب المجفف او الغزال داخل الخيمة.

كما تختلف درجة امتلاك اثاث التزيين باختلاف المكانة الاجتماعية فما نجده عند شيخ القبيلة يكون متنوع وثمين عما يمتلكه باقي العائلات الاخرى، واهم ما يميز اثاث التزيين البدوي هو ارتباطه الوثيق بالبيئة المحيطة بالبدوي، فهو يستمدها من الموجودات المادية التي توفرها له الطبيعة كأصواف الاغنام واصواف الابل في النسيج وجلدها فهل هذه البساطة في اثاث التزيين من جهة واستمدادها من المحيط الطبيعي مباشرة لازالت لدى البدو المستقر في المدينة ؟؟.

للاجابة عن ذلك انتهجنا طريقتين، فمساكن المبحوثين الذين كانت لنا علاقة مباشرة مع أصحابها تمكنت من جمع المعطيات منها شخصيا، اما التي يصعب علينا زيارة بيوتهم فقد استعنا بمخبرات من المنطقة بعد توضيح لهن جمع المعطيات بشكل يتجاوب مع البحث العلمي مما سهل لنا رصد التغيير الحاصل في مجال اثاث التزيين في بيوت المبحوثين ومصادره على النحو الاتي :

جدول رقم (١٠) يوضح مصدر اثاث التزيين في البيت.

مصدر الاثاث	غير موجود		مصنوع في البيت		مشترى من السوق		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%%
العدد	11	31	21	15	75	54	140	100

يتضح من الجدول ان 31% من افراد العينة لا يملكون اثاث التزيين فهم يكتفون بالاثاث الضروري للاستعمال الدائم، اما لدى 15% فان هذا الاثاث موجود لكنه مصنوع في البيت كالاواني الفخارية التجميلية او الزرابي ذات الالوان والاشكال الفنية المعبرة عن الاصالة البدوية بحيث نلاحظ ان هؤلاء البدو لا يزالون يستعملون في زرابيهم بشكل يبارزلون سيز الخيم العرش الذي ينتمون اليه، فالزرابي الكبيرة تفرش للضيوف واما الصغيرة فانها تعلق على الجدران وهذا ما لم يكن موجودا لدى البدو في الخيم، وهذا يظهر تأثير طبيعة السكن، فالخيم لا تسمح بتعليق هذه الزرابي بينما السكن المستقر المبني من الطين والحجر او الاسمنت يسمح بذلك، ولكن هل استبدال جوانب الخيمة بالحائط الثابت هو الذي اوجد ظاهرة تزيين البيت بتعليق الزرابي الصغيرة الجميلة على الجدران ؟؟.

فمن ناحية كون الخيمة يصعب تزيين جوانبها بالزرابي امر مقبول منطقيا لكن فكرة تزيين الجدران بها فكرة استقاها البدوي من سكان المدينة ومن خلال مشاهدته التلفزة، وهذا يعني تأثير المحيط الخارجي الاجتماعي في ذهنية البدوي، لكن التأثير هنا يبدو على انه محدود، فقد استخدم هؤلاء المستقرين من البدو المادة البدوية - الزرابي المصنوعة يدويا - لتقليد سكان المدن، وهذه خطوة اولى نحو التكيف مع الثقافة الحضرية، هذا ونجد لدى 54% اي تقريبا نصف افراد العينة مصدر اثاث تزيين بيوتهم من السوق، وهذا ان دل على شيء انما يدل على نمو الذهنية الاستهلاكية عند البدوي المستقر.

كما نلاحظ تغير اخراذلم يعد البدوي المستقر يحتفظ بصور أبائه وأجداده في ذاكرته وانما يعمد على تجسيد هذه الصور ووضعها في اطر مزركشة ، فالجدران تحمل صور العائلة وبعض الايات القرآنية بطلتها وفي اعتقاده انها تحفظه من الشر فهي عناصر جمالية تؤدي دورين .. رمز وجمال للبيت ولكن المغزى الحقيقي هو تجسيد لما يعتقده البدوي فمن بين كل هذا الاثاث لا نجد صوراً للحيوانات او تماثيل لها ، فذلك بالنسبة اليهم لا يتماشى مع الشريعة الاسلامية وهذا يوضح تحفظ البدوي أزاء بعض العادات لان حتى سكان المدن البعض منهم لديه هذا التصور نظراً لاتجاهه الديني بينما لدى البعض فانهم لا يرون مانعاً في استعمال مثل هذه التماثيل ولذلك نجد ان البدوي اكثر استعداداً لتقبل الافكار الدينية ، ولكن هذه الافكار تحاط بتصورات خيالية وحتى لو لم يطابقها فانه يعترف بضرورة التمسك بها .

اذن على ضوء ما سبق يتضح لنا ان الميل لتقليد المجتمع المدني فيما يتعلق ببعض الجماليات الخاصة باثاث التزيين قد انتشرت لدى اغلبية البدو المستقرين في قصر البخاري فهل هذا التغير مرتبطا بدرجة الاحتكاك والاتصال القريب بسكان المدن ؟

فتقليد الاخرين يقتضي الاطلاع على عاداتهم وتقاليدهم ولاعتبار ذلك حاولنا معرفة تاثير موقع سكن البدوي على مصدر واثاث التزيين وهو ما توضحه معطيات الجدول التالي :

جدول رقم (20) يوضح نوعية العلاقة بين اثاث التزيين وموقع السكن بالنسبة للمدينة

نوع الاثاث ومصدره / الموقع	غير موجود		مصنوع في البيت		مشترى من السوق		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
داخل المدينة	04	03	01	01	35	25	40	29
اطراف المدينة	30	21	18	13	19	14	67	48
خارج المدينة	10	07	02	01	21	15	33	23
المجموع	44	31	21	15	75	54	140	100

يلاحظ ان من بين الذين يسكنون داخل المدينة يوجد %03 لا يملكون أثاث التزيين اما %01 يمتلكه ولكنه مصنوع يدويا في البيت على عكس %25 اشتروا اثاث التزيين من السوق، كما يبدو من معطيات الجدول انه يوجد من المستقرين على اطراف المدينة %21 لا يملكون أثاث التزيين في %13 تمكنوا من الحصول على بعض الاثاث من اجتهادا ذاتهم اليدوية بينما %14 أشتروها من السوق، يبقى لدينا البدو المستقرين خارج المدينة والذين يعيشون بطريقة مشتتة في الغالب من الاحيان وايضا بشكل غير منتظم على حافة الطرق او بالقرب من ينابيع المياه فمنهم %07 لا يملكون بتاتا اثاث التزيين مكتفين فقط بالاثاث الضروري للاستعمال اليومي بينما نجد %01 فقط يمتلك بعض اثاث التزيين في حين %15 أراحتهم الاسواق عناء صنع اثاث التزيين بالطرق اليدوية التقليدية المعهودة لدى البدو.

من استقرائنا للمعطيات السابقة تتبادر الى اذهاننا عدة تساؤلات تتمحور حول تصور البدوي المستقر لهذا الاثاث؟ ومنه فهل البدو المستقرين الذين لا يملكون مثل هذا الاثاث يفتقدون الرؤية الجمالية الفنية للطبيعة، بحيث تنحصر حياتهم فقط في جمع ما يضمن لهم تجديد وجودهم بشكل مستمر؟ أم ان الوضع الاقتصادي هو الذي تركهم يعزفون عن اقتناء او حتى صنعه يدويا بما ييسر لهم من امكانيات، لتوضيح ذلك طرحنا سؤال اختياري مغلق على هذه الفئة وهو على الشكل التالي:

اثاث التزيين: – ضروري امتلاكه في البيت ام غير ضروري؟
– امتلاكه يتوقف على قدرة شرائه.

لقد اتضح لدينا بعد تحليل اجوبة المبحوثين ان اغلبيتهم %80 يعتبرون امتلاك اثاث التزيين متوقف على قدرة شرائه وايضا مدى وجوده في الاسواق المحلية.

ثمة ملاحظة تظهر بشكل واضح وهو تأثير الاحتكاك الاجتماعي وتنمية الميل نحو استخدام اثاث للتزيين بطريقة اكثر أناقة وهو ما نجده لدى البدو المستقرين داخل المدينة باعتبارهم اقرب الى بعض العائلات التي تكون قد استقرت في المدينة منذ القدم او بعض العائلات الوافدة الى المدينة من مناطق اخرى وخاصة المناطق الشمالية منها ،فهناك بعض العائلات تمتلك اثاثا للتزيين مستوردا من الخارج .

— نمو النزعة الاستهلاكية عند البدوي المستقر.

عند تطرقنا الى اهم التغيرات التي مست اللباس التقليدي البدوي عرفنا كيف اصبح يميل الى اقتناء الالبسة العصرية ،بل يتسابق على شراء اخر ما يظهر منها في الاسواق وذلك عند الجنسين معا ،كما تزداد هذه النزعة عند الشباب الذي لم يعد اللباس التقليدي يستهوي ميولهم ولكن هو مبعث للاستهزاء والسخرية ،وبالرغم من هذا التوجه في القيم هناك فئة تحافظ على جزء من المظاهر البدوية كالشاش والقندورة ،وهذا عند الافراد الذين لا يزالون على اتصال بالحياة البدوية ،وكذلك نجدها عند البدو الذين توصلوا الى مراكز السلطة في البلديات او مختلف الدوائر الحكومية .

كما تبين لنا ايضا عند تناولنا ميل البدوي الى استعمال اثاث التزيين وجدنا ان ميله تتحكم فيه عوامل طبيعية واخرى اجتماعية واقتصادية مما ادى الى نمو القيمة الجمالية عند البدو فقد اعتاد مما يوفره السوق له فهو امتداد لنزعته الاولى فهي الحياة البدوية حيث تطورت لتتكيف مع ما تستدعيه الحياة الحضرية من استهلاك ما يظهر في السوق، ولكن هل تتوقف نزعته هذه عند استهلاك وجلب اثاث التزيين أم تعداه الى السعي الحثيث للحصول على اكبر قدر من العاديات التي بقيت الى سنين طويلة حكرا لسكان المدينة فقط ؟ حول هذا السؤال قمنا بحصر اهم ما يمكن ان تتحصل

عليه البدوي المستقر والذي يدل على اتجاهه نحو الاستهلاك المتزايد للسلع المادية وهو ما توضحه معطيات الجدول التالي :

جدول رقم (٢٨) يبين اهم المتلكات المادية للمبحوث .

المتلكات	الماشية			حيونات مستخدمة للنقل		مذياع		تلفزة		ثلاجة		دراجة نارية		سيارة		شاحنة	
	اقل من 10 راس	اقل من 20 راس	اكثر من 20 راس														
	49% 25	35% 18	16% 8	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
العدد	المجموع 51		36%	37	26	140	100	93	60	56	40	64	46	27	19	5	4

تدل الاحصائيات التي استقيناها ميدانيا ان 36% من افراد العائلة يملكون قطيع من الماشية وذلك بشكل متفاوت ، فاذا اخذنا عدد الرؤوس من الماشية الى مجموع ممتلكي الماشية الذي هو 51 فاننا نجد 49% يملكون قطيع اقل من 10 رؤوس و 18 % يملكون ما بين 10 و 20 رأس في حين 8% فقط يملكون قطيع يفوق 20 رأس ، والشيء الملاحظ هنا كون الذين يملكون قطيع اقل من 10 رؤوس فان سبب احتفاظهم بهذه الحيونات التي عادة ما يشكل الماعز الجزء الاكبر منها وذلك لسد حاجة العائلة من الحليب واستهلاك لحومها في المناسبات ولا يلجؤون الى بيعها الا عند الحاجة القصوى ، في حين الذين يملكون قطيع يفوق 20 راسا فهم المواليين الذين يمارسون حرفة تجارة المواشي حيث يقومون بشراء المواشي من البدو باثمان منخفضة ويبيعونها في مختلف الاسواق باثمان مرتفعة ، اما الذين يملكون قطيع متوسط ، دائما بين 10 و 20 راس فهؤلاء اغلبيتهم يمارسون حرفة مزدوجة ، فهم يمارسون اعمال غير الرعي مقابل اجرة شهرية ، او سائق سيارة في حين تتولى عائلته

السهر على تربية هذا التابع بحد تسمينه يقوم ببيعه بشكل تجزئة للمترددين على الحج او في الاعراس وخاصة في عيد الاضحى، وهذا من اجل المحافظة على التوازن الاقتصادي للعائلة نظرا لازدياد حاجياتها مع امتداد فترة الاستقرار ونمو النزعة الاستهلاكية لدى عائلاته كما رأينا فيما سبق خاصة وان الدخل لا يغطي نفقاتها الحصول على هذه الحاجيات المتزايدة بشكل دائم ابطؤ رتفاعه .

ومن جهة اخرى نجد ان 37% من مجموع العينة يمتلكون الحمير التي يستخدمونها في نقل المياه ، وهؤلاء جلهم يقطن الاحياء القصديرية بحيث نلاحظ وانت تجوب وسط المدينة اطفالا يجرون حمير عليها جرات من البلاستيك لجلب الماء من مراكز مختلفة داخل المدينة ، وهذا يوضح الوضع السيئ الذي يعيشه هؤلاء البدو سواء من ناحية اشتغال ابنائهم اوقات طويلة في جلب الماء او من ناحية الصحية لتعرض هذه الجرات للتلوث نتيجة استخدامها المكثف دون تنظيفها ، كما قد تتلوث نتيجة تخزين المياه داخلها لمدة طويلة وذلك في غياب توعية وقائية ، فانه تنتشر امراض عديدة في فصل الصيف بين اوساط هذه الاسر لانها تفتقر لاي توعية صحية ، وقد صرح لنا احد موظفي المصلحة الصحية ان عدد المترددين على المصلحة في فصل الصيف اكثر بكثير عما يتردد عليهم في فصل الشتاء .

- استفادة البدو من التطور التكنولوجي :

فيما يتعلق بدرجة استفادة البدو المستقرين من التطور التكنولوجي ، فقد وجدنا لدى كل افراد العينة جهاز راديو ومسجل بنسبة 100% وهناك 60% فقط يملكون جهاز تلفزة ، و15% منها ملونة و2% جهاز تلفزة من النوع الصغير الحجم مسير بالبطارية ، هذا النوع يملكه البدو المستقرين بشكل مشتت خارج المدينة حيث لا تتوفر لديهم الكهرباء .

وبالرغم من ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف

فمنهم 56 % يملكون جهاز؟ ثلاجة 10 % منها تسير بقارورات الغاز، وهذا يتعلق ايضا بالعائلات التي من لديها الكهرباء ومن بين الممتلكات التي نجدها منتشرة لديهم، الدراجات النارية حيث يمتلكها 16 % ولا نجد سوى 1% الذين توصلوا الى اكتساب سيارة لكن اغلبيتها اي 13 % بالنسبة اليهم السيارة هي وسيلة عمل، اي اما تستخدم كسيارة اجرة رسميا او يمارس صاحبها النقل بطريقة غير شرعية، وهي حرفة مربحة نظرا لنقص وسائل النقل الاخرى بالمنطقة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى تعتبر السياقة الحرفة المفضلة لهولاء البدو المستقرين، فهي تذكرهم بالماضي الذي كانوا يقودون فيه الجمال في الصحراء كما انها حرفة تتماشى مع تصورهم للوقت ولنظام العمل فهي غير مقيدة بالوقت تماما مثل حرفة الرعي، واخيرا هناك 4% ممن تمكنوا من امتلاك شاحنة، وهولاء هم كبار الموالين الذين يملكون عدد كبير من رؤوس الماشية حيث يقومون بنقل ماشيتهم في فصول الجفاف بواسطة هذه الشاحنات، وذلك من السهوب الى المناطق التلية وقد تعتمد كما هو الحال في السنين الاخيرة الى متيجة شمالا بحثا عن المراعي، كما تسهل لهم هذه الشاحنات التردد على الاسواق، وامكانية تربية الماشية دون تنقل حيث تجلب لها الاعلاف بواسطتها، ومن هنا يمكن ان نقول ان التطور التكنولوجي في حد ذاته ادى الى توطن البدوي والماشية معا .

اذن فان مؤشرات الرفاهية المادية التي يمتلكها البدوي المستقر نلاحظ انها متفاوتة بحيث نجد الجميع يمتلكون المذياع وتقريبا النصف يمتلكون جهاز التلفزة، لكن السيارة والشاحنة لا يملكها الا القليل وهذا لا يعني ان المستوى

المعيشي لا غلبية البدو المستقرين هو فعلا يقترب من حد الكفاف فما هي اذن العائلات التي تمكنت من امتلاك الثلاجة والسيارة والشاحنة ، فبدوي نفقد قطيعة بطرية او باخرى هو بدو فقير في الغالب لا يستطيع تجديد قطيعه فيتحول بالضرورة الى عامل اجير او تاجر لبعض السلع البسيطة التي تكاد تضمن له عيشه فضلا عن نفقات عائلته فهو متطفل على التجارة فكيف له بعد الاستقرار امتلاك هذه السلع التي تبدو لمستوى معيشته انها كما لبقاء ، وحتى يكون لدينا جواب لهذه الاشكال حاولنا معرفة ما اذا كان لمدة الاستقرار أثرا اجابيا على قدرة البدوي من النهوض من جديد بامكانياته بحيث كلما كان التاريخ الذي استقر فيه بعيداً كلما مكنه ذلك من اكتساب مداخيل عالية والعكس صحيح ، وهو ما يمكن توضيحه في الجدول التالي :

جدول رقم (24) يبين علاقة الممتلكات المادية بمدة الاستقرار.

الماديات / تاريخ الاستقرار	عدد رؤوس الماشية: أقل من 15 – ت	أقل من 15 – %	من 10 الى 20 – ت	من 10 الى 20 – %	أكثر من 20 سنة – ت	أكثر من 20 سنة – %	حيوانات للنقل – تكرار	حيوانات للنقل – %	مذياع – تكرار	مذياع – %	تلفزة – تكرار	تلفزة – %	ثلاجة – تكرار	ثلاجة – %	دراجة نارية – تكرار	دراجة نارية – %	سيارة – تكرار	سيارة – %	شاحنة – تكرار	شاحنة – %	المجموع – تكرار	المجموع – %
قبل 1962	3	27	13	17	8	100	6	16	22	16	18	19	14	25	22	34	10	37	01	20	22	16
ما بين 1962 و 1972	2	18	15	83	—	—	11	30	76	54	50	65	41	73	30	47	4	15	±	—	76	54
بعد 1972	6	55	—	—	—	—	20	54	42	30	15	16	15	27	12	19	13	48	4	50	42	30
المجموع	11	100	12	100	8	100	37	100	140	100	93	100	55	100	64	100	27	100	5	100	140	100

يتضح من المعطيات المجموعة ان من بين الذين يملكون قطيعاً اقل من 10 رؤوس يوجد 27% استقروا قبل الاستقلال وان 18% كان استقرارهم ما بين 1962و1972 بينما 55% يعتبر توطنهم حديثاً نوعاً ما أي ما بعد 1972.

وفيما يخص الذين يملكون قطيعاً تتراوح عدد رؤوسه ما بين 10و20 رأس 17% استقروا قبل الاستقلال، و83% ما بين 1962و1972 في حين الذين يملكون اكثر من 20 رأس جلهم استقروا قبل 1962 فما الاحظناه هو كون اغلبية الذين يملكون رؤوس ماشية اقل من 10 رؤوس يعتبر استقرارهم حديثاً خاصة بعد 1972، وهذه الفترة عرفت اجتياح جفاف حاد على المناطق الجنوبية، امتدت اثاره الى نهاية ما بعد الثمانينات، مما جعل العديد منهم يفقد قطيعه ويستقر وهو محتفظ بالعدد القليل المتبقي من الماشيه على امل تجديده وتحسن الظروف الطبيعية ليعود الى حياته البدوية او شبه البدوية المعتادة، على عكس الذين استقروا ما بين 1962و1972 فهناك 83% يملكون قطيع يتراوح ما بين 10و20 رأس، فهؤلاء بحكم تحسن ظروف حياتهم المعيشية داخل المدينه تمكنوا من انماء عدد رؤوس ماشيتهم لكن لا ننسى ان هؤلاء بمعارض أغلبيتهم حرفتين، تربية الماشية والعمل في قطاع اقتصادي آخر.

اما الذين يملكون قطيع عدد رؤوسه اكثر من 20 رأس فجلهم استقروا قبل 1962، فمدة الاستقرار الطويلة مكنتهم من تجديد ما شيتهم لكن اغراءات المدينة وما توفره من وسائل حياة افضل جعلتهم يعزفون عن الرجوع مرة ثانية الى البادية وحياة التنقل، فقد مكنتهم حرفة الموال من اكتساب اموال ضخمة دون اتعاب حيث يعهد بعملية الرعي الى بعض الرعاة فهو يكتفي الموال- بشراء الماشية واعادة بيعها في الاسواق، فقد اصبح وسيطاً بين المنتج المباشر والمستهلك

فقد وظف تجربته في تربية الماشية لاحترافه دور الوسيط فهي استنادا لاصله الاجتماعي .

وفيما يتعلق بالذين لايزالون يملكون حيوانات تستخدم للنقل داخل المدينة او في الاحياء المحيطة بالمدينة وهي الحمير والبغال هناك ٥٤٪ كان توطنهم بعد ١٩٧٢ وتؤدي هذه الحيوانات بالنسبة للبدوي المستقر دورين : احدهما اجتماعي وهي جلب الماء وقارورات الغاز على ظهورها كما تؤدي ايضا دورا اقتصاديا ، حيث يشتغلون بها كحمالين في الاسواق مقابل اجرة تعتبر دخل اضافي للبدوي .

وفيما يخص الممتلكات المادية الاخرى التي نجدها عند البدوي المستقر جهاز الراديو، فهناك ١٦٪ كان استقرارهم قبل ١٩٦٢، و ٥٤٪ ما بين ١٩٦٢و ١٩٧٢ اما الذين نسبتهم ٣٠٪ فكان استقرارهم بعد ١٩٧٢ واهم ما نلاحظه هنا هو الانتشار الواسع لجهاز الراديو حتى عند الذين لا يزالون يمارسون البداوة بالنسبة اليهم جهاز الراديو هو اكثر من وسيلة التسلية والترفيه عن النفس وانما وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي ، ونفس الشيء يقال عن جهاز التلفزة الذي يملكها ٦٤٪ من افراد العينة ، حيث ان اغلبيتهم كان استقرارهم ما بين ١٩٦٢و ١٩٧٢ ، فالمذياع والتلفزة لعبا دورا هاما في ادخال بعض قيم المجتمع الحديث سواء فيما يتعلق بتنظيم البيت او في العلاقات داخل الاسرة حيث يظهر في بداية امتلاك التلفزة نوع من التحفظ فلا يسمح بمشاهدة التلفزة لكل افراد الاسرة معا ،لكن مع طول المدة يبدأ هذا التحفظ في التلاشي ، ولكن مع ذلك يستحيل ان يجتمع كل افراد العائلة حول الافلام الاجنبية كما نجد اثارا واضحة لما تغرسه وسائل الاعلام هذه ، فالكثير من العائلات اصبحت

تتبــع بــرامج التلفــزة والاذاعــة بشكــل منظــم ، كمــا ان بعـض العائــلات تختــار اسمــاء لابنــائهــا مــن بعـض مشاهير الفنــانين العــرب ، وهــذا اتجــاه واضح نحــو تغييــر المعــايـيـر لــدى البــدوى فبعدمــا كــانت العــائلة تختــار اسمــاء لابنــائهــا مـن بعـض ابطــال القبيلــة ، او يسمـى علــى احـد اجــداده او علــى اسم احــد رجال الـدين او الاوليــاء اصبحت تقلــد اسمــاء متنوعــة ونجــد في بيــوت بعــض البـدو المستقرين جهـاز الثـلاجـة ، فـالذيـن يملكـونـهـا هنـاك 25 ٪ استقــروا قبــل 1962 ، و 73 ٪ استقــروا مـا بـين 1962 و 1972 ، و27 ٪ بعــد 1972 ويستخـدم بعـض البـدو الدراجــة النـاريــة كوسيلــة للنقــل خـاصـة اولئك الذيــن يقطنـون خـارج المدينـة فنـلاحـظ ان 47 ٪ ممـن يملكـون مثـل هـذه الدرجـات استقـروا مـا بين 1962 و 1972 امـا بالنسبـة للسيــارة فهنـاك 37 ٪ ممـن يمتلكونـهـا كان استقـرارهـم قبـل 1962 ، و 48 ٪ بعـد 1972 في حـين مـلاك الشـاحنـات فكلهـم استقـروا بعـد 1972,

يظهــر اذن ان المـدة القصـيرة لــم تمنــع البــدو مــن الاستفـادة مـن بعـض التطورات التكنـولوجيـة بحيـث لا يـوجـد هنـاك عـائـق فـي امتـلاكهـا سوى العـامـل الاقتصـادى و ما نلاحظــه هـو ان الاذيـن استقـروا بعـد 1972 قـد تمكنــوا مـن شـراء حـتى شـاحنــات للنقــل ، بحيـث مكنهـم ارتفـاع ثمــن رؤوس المـاشيـة مـن جهـة والـدعـم الذى قـدمتـه الـدولـة لهـولاء البـدو سـواءا فيمـا يتعلــق بالامـوال وتسليـم لهـم قطعـان مـن المـاشيـة اذ اغتنــم هؤلاء هـذه الفـرصـة وتخـلوا عـن الحيـاة البدويـة وانفـاق المبـالـغ المحصل عليهـا فـي مسـائـل اخـرى لكـن هنـاك مـن استثمـرهـا لكـن ليس فـي تنميـة قـطاع تربيـة المـاشيــة وانمـا في شـراء السيـارات او شـاحنـات للاشتغـال بهـا فـي النقـل .

ان اتصال البدوي بالمجتمع الحديث اوجد

عنده حاجيات جديدة وهو يسعى بشتى الطرق لاشباع

هذه الحاجيات الامر الذي انعكس سلبيا على السوق

المحلية حيث ادى الى ندرة هذه السلع كاجهزة الراديو

والتلفزة، كما أ رتفعت اثمان السيارات، فانتشرت السوق

السوداء بشكل كبير جدا وبرزت بذلك فئات متطفلة على

الاقتصاد المنتج يتكون معظمها كلهم من ابناء البدو

المستقرين وقد زادت هذه الوضعية تشبث البدوي بالحياة

الحضرية بالرغم من الوضعية السيئة التي

تعيشها العديد من العائلات البدوية المستقرة ونلاحظ

ايضا ان هذه الحاجيات اوجدت مفاهيم جديدة عند

البدوي فيما يتعلق بمداخيله ومجالات انفاقها وهو

ما توضحه معطيات الجدول التالي :

الادخار ومجال انفاقه .

جدول رقم (93) يوضح مجالات انفاق الاموال المدخره .

مجال الانفاق	مواجهة الحالات الطارئة		تنفيذ المشاريع		اقتناء الاشياء الثمينة		لا يوجد ادخار		المجموع	
	التكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
العدد	[illegible]	14	23	16	73	52	25	18	110	100

فهناك 84٪ يقومون بالادخار من اجل مواجهة

الحالات الطارئة كالسفر او تزويج الابناء او فقدان الشغل او

غير ذلك بينما 16 ٪ يدخرون لتنفيذ مشاريع مستقبلية في حين

52٪ يدخرون اموالهم لاقتناء بعض السلع الثمينة كالاثاث ..

المنازل الفاخرة او المحلي او شراء سيارة ، ومنها فقط 19 ٪ لا يدخرون نتيجة عدم وجود ما يمكن ادخاره فهم يعيشون على الكفاف فيما يعرف على البدوي انه يدخر من اجل مواجهة تغيرات الطبيعة بحيث يدخر مخزونه الغذائي من السنوات الاكثر انتاجا الى السنوات الاكثر جفافا ، لكن بعد استقرارهم فهو يدخر لمترقية مستواه المعيشي والتطلع الى حياة افضل فالتغير المادي هنا يبدو اسرع.

الفصل الرابع

انعكاسات الاستقرار
على
القيم البدوية

مدخل :

يتضمن المجتمع مكونات اساسية هي : الجانب المادي الذي استطاع الانسان انتاجه من خلال تسخيره لمحيطه الطبيعي وقد راينا في الفصل الاول ان هذا الجانب سريع التغيير وذلك تحت سيل الانسان الى اشباع حاجياته المتزايدة منه ، اما الجانب الثاني فهو يتعلق بالقيم ونلاحظ انه قد برزت مناقشات واسعة حول تحديد هذا المفهوم وتمييزه عن المعايير فالقيم هي "تصورات عما هو مرغوب فيه على مستوى اكثر عمومية على حين ان المعايير تصورات حول نفس الشيء على مستوى الخصوصية ، فالقيم تشير الى تلك الاساليب المفضلة لتوجيه الناس نحو فئات محددة للخبرة الانسانية ، اما المعايير فهي قواعد للسلوك في مواقف معينة وكل من المعايير والقيم يخضعان للتغيير" (1) فهل تغيير القيم ياخذ نفس التسارع الذي يحصل للجانب المادي ؟ يؤكد "سملسر" على ان القيم تتغير بصفة عامة على نحو بطيء اكثر من البناء الاجتماعي (2) للتاكيد ما ذهب اليه "سملسر" واختبار صدق فرضيتنا حاولنا الاقتراب اكثر من المجتمع المدروس رغم البدو المستقرين في قصر البخاري وتسلط الضوء على اتجاه القيم نحو الثبات او التغيير فيما يتعلق بالعلاقات الاسرية ابتداءا من الزواج والتنشئة الاجتماعية ، وكذلك الضبط داخل الاسرة ثم التعليم . هذا حتى نتمكن من رصد التغيرات الحاصلة في اوساط هذه الجماعات البدوية وذوبانها في مجتمع المدينة ولقد اعتمدنا في جمع المعلومات الميدانية على الملاحظة المباشرة وغير المباشرة ، وقد استعنا بالاستمارات لضبط درجة التغيير والاختلاف في تقبل القيم الجديدة عند الجنسين ولدى مختلف فئات الاعمار

---

(1) محمد علي محمد واخرون : دراسات في التغيير الاجتماعي ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، 1974 ، ص 46 .

(2) محمد علي محمد واخرون : نفس المرجع السابق ص 247

وعلى جميع المستويات الاجتماعية .

المبحث الاول : عادات الزواج .

يحافظ العرش على وجوده وبقائه بواسطة اعادة انتاج بنيياته ،وذلك بظهور عائلات جديدة تعد امتدادا لسابقاتها ،تحمل قيمها والبعض من سيماتها الفيزيولوجية ، وتتوقف عملية التواصل بين الاجيال المتعاقبة داخل العرش الواحد على الطريقة التي يتم بها الزواج ، بتداءا بتحديد سن الزواج الى الكيفية التي يتم بها اختيار الزوجة والزوج ثم الحياة الزوجية بعد عملية القران ،ومدى ارتباطها وخضوعها لسلطة العائلة الممتدة ،وفاي تحول على مستوى العائلة قد يؤثر مباشرة او غير مباشرة على الوضع البنائي والوظيفي للعرش، فالسن القرابي يعد احد دعائم المجتمع البدوي حيث يظهر بشكل واضح في الزواج الذي غالبا ما يكون محصورا بين ابناء العرش الواحد ،ولمعرفة مدى التغيرات التي حدثها استقرار البدو في المناطق الحضرية على مستوى القيم المتحكمة في الزواج اخذنا عينة تتكون من من فئة المتزوجين والعزاب بالنسبة للجنسين معا وذلك على النحو التالي :

جدول رقم (24) يبين الحالة المدنية للمبحوثين ذكورا واناثا .

الجنس / الحالة المدنية	الذكور		الاناث		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
متزوج	69	49	36	26	105	75
اعزب	25	18	10	07	35	25
المجموع	94	67	46	33	140	100

يتضح من خلال معطيات الجدول ان نسبة المتزوجين اعلى من نسبة العزاب بالنسبة للجنسين معا اي 75٪ مقابل 25٪ اما اذا حاولنا المقارنة بين الذكور والاناث نجد ان نسبة المتزوجين الذكور اعلى من العزاب بكثير 40٪ مقابل 13٪ وكذلك الحال بالنسبة للاناث فهناك 26٪ متزوجات و 07٪ فقط عازبات.

ان هذه المعطيات توحد ما لا يعطينا رؤية كاملة حول التصور الجديد عن الزواج وذلك انه ابتدائيا عدد الذكور اكبر من عدد الاناث لذلك فالمقارنة الكلية انطلاقا من مجموع العينة لا تفيدنا كثيرا وعليه فان ضرورة معرفة نسبة المتزوجات انطلاقا من مجموعهن يكون اكثر دلالة فمجموع الاناث هو 46 وهي عينة قليلة نوعا ما، وهذا راجع الى صعوبة الاتصال بالنساء مباشرة ولتجنب هذا العائق استعنا ببعض المخبرات ذوات المستوى الثانوي ولديهن علاقات مباشرة مع افراد العينة مما سمح لهن استقاء المعلومات المطلوبة منهن.

فنسبة المتزوجات هي 78٪ اما العازبات فنسبتهن 22٪، كما ان مجموع الذكور هي 94، 73٪ منهم متزوجون و 27٪ عزاب ان مجمل هذه المعطيات تؤكد اولا ان ظاهرة الزواج هي السائدة بينما تتقلص ظاهرة العزوبية. وهذا يعني ان الاتصال الجنسي بشكل عام لا يزال يتم في اطار الشرعية الاجتماعية التي تنتظم هذه العلاقات وفق قواعد صارمة لا يمكن تجاوزها، كما ان الخروج عن نطاقها يؤدي الى العزل الاجتماعي، بل يصبح الفرد غير مرغوب فيه خاصة اذا تعلق الامر بالانثى، ذلك ان سلوكها وتحركاتها مراقبة الى غاية زواجها، حينها تكون العائلة قد تخلصت من مسؤوليتها ازاء البنت.

فالزواج المبكر اذن بالنسبة للعائلات المستقرة يعتبر ضرورة حتمية لمواجهة القيم السائدة

في المناطق الحضرية ، ومع ذلك فان ظاهرة انتشار الزواج بين العائلات البدوية المستقرة ، لا يعطينا رؤيه واضحة المتشابهات او التغيير في القيم ، فالزواج نفسه ظاهرة اجتماعية عامة ، ومن ثمة تبدو ضرورة البحث عن موشرات اخرى تتعلق بالعادات المتحكمة في الزواج كسن الزواج الذي يتم عادة في المجتمعات البدوية المستقرة ، في سن مبكر خاصة الاناث بينما يتاخر في المجتمعات الحضرية ، ولتوضيح ذلك اكثر حاولنا معرفة مدى الاختلاف بين الذكور والاناث من حيث السن الذي تم فيه الزواج ، وذلك بالاطلاع على سجلات عقد الزواج في البلدية ، وان كان الاعتماد على تاريخ تثبيت عقد الزواج في السجلات في بعض الاحيان يكون غير حقيقي لكون الزوجين لا يعلنان عن زواجهما الا بعد مرور فترة من الزمن نظرا لانتشار الزواج العرفي بين العديد من العائلات البدوية ، وهذه الطريقة اعتمدنا عليها كوسيلة للاختبار بشكل ثانوي ، اما الطريقة الثانية ، وهي الاعتماد على الاستمارات التي سجلت فيها اجوبة المبحوثين مباشرة كما هو موضح في الجدول التالي :

جدول رقم (25) يبين سن الزواج للمجموعة المبحوثين .

الجنس / فئات الاعمار	الذكور		الاناث		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
اقل من 18	01	01	15	14	16	15
18 الى 22	21	26	13	12	34	32
23 الى 26	33	31	05	05	33	36
27 الى 30	12	11	02	02	14	13
31 وما فوق	02	02	01	01	03	03
المجموع	69	66	36	34	105	100

تبين المعطيات الواردة في الجدول خاصة بتحديد سن الزواج بالنسبة للجنسين ،ان نسبة الذكور الذين تزوجوا في سن اقل من 18 سنة هو 11% ثم ترتفع نسبة الذكور المتزوجون في سن ما بين 18 و22 سنة الى 26% مقابل 12% من الاناث،اما في السن الذي يتراوح ما بين 23 و26 سنه ، تبلغ نسبة الذكورالمتزوجون في هذه السن 31% مقابل 50% من الاناث،كما نجد المتزوجون في السن الذي يتراوح ما بين 26 و30 سنه حوالي 11% من الذكور و 20% من الاناث،اما في السن الذي يفوق 31 سنة نجد 20% من الذكور و10% من الاناث.

ان اهم ما يمكن ان نلاحظه من هذه المعطيات هو العلاقة العكسية بين سن الزواج والنسبة من الاناث فكلما تزايد السن تنخفض نسبة زواجهن وذلك ابتداء من السن 23 سنة ، بحيث يفضل ان تتزوج الانثى ما بين 18 سنه و20 سنة ، وهو السن المسموح به قانونيا لعقد الزواج رسميا باستثناء الحالات الخاصة ،و مع ذلك نجد ان الاكثرية من الاناث لازلن يتزوجن قبل سن 19 سنة ، بدون عقد الزواج فمن خلال تفحصنا لسجلات عقد الزواج في كل من بلدية قصر البخاري وبلدية البواعيش وبوقزول والشهبونية ، وهي البلديات التابعة لقصر البخاري، وسكانها اغلبهم من اصل بدوي في هذه البلديات وجدنا ان 35% من عقود الزواج تمت في المحاكم فالفتاة التي تتزوج قبل السن القانوني تجد مشاكل عديدة خاصة بعد ان تلد ،فعملية تسجيل المولود يقتضي الدفتر العائلي الذي لا يسلم الا بعقد زواج شرعي ولذلك فاغلبية عقود الزواج لا تتم الا في المحكمة ،وهذه [illegible] العقود التي تتم في المحاكم لا تخص فقط اللواتي تزوجن قبل سن الزواج القانوني ولكن ايضا هناك حالات اخرى يتم فيها

عقد الزواج في المحاكم، وذلك عندما يتم الاتصال الجنسي خارج الزواج الشرعي بالنسبة للقاصرات فيضطرون الى اتمام الزواج بطريقة عرفية للحفاظ على سمعة العائلة وشرفها ، لان قضية الشرف لا يمكن ان يستخف بها البدوي فقد تؤدي الى تقاتل العائلات بسببها ومن ثمة فانه بعد الولادة يصبح توثيق الزواج ضروريا .

ان ظاهرة الزواج المبكر للاناث لازالت سائدة بين العائلات البدوية المستقرة تماما مثلما كانت تتم اثناء ممارستهم لحياة الترحال والتجوال واستمرارها وهذا يعني ايضا ان كل اللواتي تزوجن قبل السن 18 ولم يواصلن دراستهن الثانوية كن على الاقل دخلن المدرسة

اما فيما يتعلق بالذكور يكاد الزواج في سن مبكرة يختفي ،بحيث لم نجد سوى 10 % من افراد العينة ممن كان زواجهم اقل من 18 سنة ، وهذا امر طبيعي باعتبار ان هناك عوامل موضوعية تمنع الذكور من الزواج المبكر كما كان معتادا لدى البدو، فالشاب عند بلوغه سن 19 سنة يكون مضطرا لاداء الخدمة الوطنية ،كما ان مزاولة الدراسة لها دور هام في تاخير سن الزواج ولو الى حين ،وما يؤكد تأثير هذين العاملين هو ارتفاع نسبة الزواج عند الذكور بعد سن 23 او 26 سنة من 10 % الى 15 % ثم تتناقص بشكل كبير بعد سن 31 سنة الى 20 % .

ان اختفاء الزواج المبكر بين الذكور لا يعود بشكل اساسي الى تغيير في القيم بقدر ما هو استجابة لاسباب موضوعية ، بمجرد زوالها يمتثل الشاب الى عادات وتقاليد اجداده .

طريقة اختيار الزوجة .

ان الزواج الذي يعد الاساس الاول لانتقال القيم بين يتوقف على جملة من القواعد المنظمة له ،فالسن

مو مؤشر لبداية التفكير في تكوين اسرة جديدة والتي هي بمثابة اضافة عضو جديد في الاسرة ، وقبول العائلة الكبيرة لهذا العضو يكون وفق معايير،فالعائلة البدوية المستقرة بشكلها التقديم عبارة عن نسيج متماسك بين اعضائه تناغم منسجم،فاختيار الزوجة يتدخل فيه كل افراد العائلة كل حسب مكانته داخلها ، ولمعرفة مدى استمرارية هذه القاعدة طرحنا تساؤل حول الطريقة التي تم بها اختيار الزوجة ،فكانت الاجابات بشكل مختصر كما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم (٢٦) يبين الطريقة التي تم بها اختيار الزوج او الزوجة بالنسبة للمبحوثين .

الجنس / طريقة اختيار الزوجة	الذكور		الاناث		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
شخصيا	33	48	04	11	37	35
الوالدين	26	38	10	29	36	34
الاقارب	10	14	22	61	32	31
المجموع	69	100	36	100	105	100

يبين الجدول ان 48 ٪ من الذكور اختاروا شريكة حياتهم شخصيا وان 38 ٪ تدخل الوالدين في الاختيار بالنسبة 29 ٪ من الاناث اما فيما يخص الاقارب ساهموا سواءا بطريقة مباشرة او غير مباشرة في اختيار ازواج 61 ٪ من الاناث بالنسبة لافراد العينة .

اذن الذكور كان لهم الحظ الاكبر من الاناث في اختيار ازواجهم ومع ذلك للوالدين سلطة على ابنائهم في حين تقلص دور الاقارب في اختيار الزوجة، وبالرغم من ذلك ما زال للوالدين سلطة على ابنائهم في تقلص دور الاقارب ولكن نجد من ناحية اخرى نصف الذكور لم يسمح لهم اختيار ازواجهم اما لدى الاناث فان للاقارب سلطة كاملة في تحديد مصير زواج الانثى خاصة الاقارب من جهة الاب كالعم الاكبر خاصة او العمة ونادرا ما يكون الخال او الخالة. فان استشارتهم تكاد تكون ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها، ومن ناحية اخرى تكاد تفقد الانثى حريتها في اختيار زوجها فالفتاة بحكم ضيق مجال تحركها الذي لا يتعدى بيت ابيها او بيوت اقاربها التي تزورهم في المناسبات مما يجعل دائرة احتكاكها بالاخرين محدودة جدا وهي لا تتعرف على ما يحيط بها الا من خلال الوالدين او الاقارب مع ذلك نجد من راغبات عن ازواجهن ولقد ادلت العديد منهن ان الزواج كيفما كان فانه يمكنهن من اكتساب مكانة ارقى مما تكون عليه في بيوت ابائهن، فهي تصبح ربة بيت لها حرية التصرف، ومن ثمة تتحرر من قيود العائلة التي تفرض على البنت ضوابط صارمة لا يمكن الخروج عنها، فهنا مسألة الزواج لا تخص الفرد لوحده بل تخص كل افراد العائلة التي لا زالت تحت سيطرة العائلة الممتدة التي تحدد الادوار وتضبط السلوك تختار ازواج ابنائها وبناتها، ولكن على اي اساس يتم هذا الاختيار، هل ما زالت ظاهرة "الزواج الداخلي" (Endogamie) القديمة تسيطر على توجيه الزواج نحو الاقارب، ففي هذا المضمار لجأنا الى طريقتين لحل هذا الاشكال.

اولا: عن طريق طرح اسئلة مباشرة على المبحوثين بالشكل التالي: ما نوع القرابة التي تجمعك بزوجك او

بزوجتك اما الطريقة الثانية : فهي الاطلاع على سجل عقود الزواج لمعرفة تطابق الاسد ، بين الزوج والزوجة فالمعطيات التي جمعناها بالطريقة الاولى اي السؤال المباشر على المبحوثين كانت كالتالي :

جدول رقم (27) يبين نوع القرابة التي تجمع بين الزوجين .

نوع العلاقة	علاقة قبلية اي من نفس العرش		ابنة عم او عمة		ابنة خال او خالة		لا توجد علاقة بينهما		المجموع	
	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪
العدد	09	09	40	38	06	06	50	48	105	100

اي الزواج من نفس القبيلة او العرش شمل 08٪ فقط من افراد العينة بينما الزواج من ابنة العم او العمة شملت سوى 38٪ وفي المقابل فان الزواج من ابنة الخال لم تشمل الا 06٪ من الازواج الذين لا تجمعهم اي علاقة قرابية بينهما فنسبتهم 48٪.

ان الزواج المغلق الذي يمس العرش الواحد بدأ يتقهقر وان كان الزواج بابنة العم او العمة يكاد يكون هو السائد بينما الزواج من عائلة الام نادرة جدا وهو يوضح استمرار النزعة الابراسية المسيطرة على العائلات المستقرة ، فعادة تزويج الفتاة لابن عمها لازالت قائمة حتى انه لا يمكن لابيه فتاة ان تقبل الزواج حتى من قريب بعيد اذا لم يقبل ابن عمها وهذا الاتجاه نحو الزواج الداخلي (L'ENDOGAMIE) القديم قد نتج عنها ان كل اعضاء القبيلة او العرش الواحد لهم نفس الشكل والسمات بحيث ان كبار الشيوخ من البدو المستقرين كما صرح بعضهم انه يستطيع من رؤيته لشخص ما في قصر البخاري ان يحدد العرش الذي ينتمي اليه هذا الشخص وهي نفسرا لظاهرة التي

يوضح الجدول انه يوجد من الذين لا يقرأون ولا يكتبون نسبة 03 ٪ اختاروا الزواج من نفس القبيلة و 12 ٪ من ابنه العم او الزواج من ابنه الخال فمنها 02 ٪ والاغلبية من الاميين و 15 ٪ فضلوا الزواج من خارج دائرة الاقارب او القبيلة .

اما فيما يتعلق بافراد العينة الذين لديهم مستوى ابتدائي فنجد 04 ٪ منهم اختاروا الزواج من القبيلة و 15 ٪ من ابنة العم ، كما ان 02 ٪ كان زواجهم من ابنة الخال في حين 10 ٪ لا يوجد اية علاقة بين الزوجين ، اما ذوى المستوى المتوسط فلا يوجد اى واحد منهم من اختاروا الزواج من القبيلة بينما كانت النسبة متقاربة فيما يتعلق بالزواج من ابنة العم والعمة والخال او الخالة وهي تتراوح بين 08 ٪ و 07 ٪ .

كما نلاحظ ان 02 ٪ من ذوى المستوى التعليمي الثانوى اختاروا الزواج من القبيلة التي ينتمون اليها ونفس النسبة اختاروا ابنة الخال شريكة لحياتهم ومنها 01 ٪ فضل الزواج من ابنة العم و 07 ٪ لا يربط زواجهم اى علاقة قرابية ، في حين المتزوج الوحيد من ذوى المستوى الجامعي فقد اختار الزواج من ابنة العم ، فهذه المعطيات تبين اولا اتجاه نسبة الاميين الى الزواج من خارج القبيلة التي ينتمون اليها والاقارب وهو يعاكس تماما ما اختاره المتزوج الجامعي الذى اختار ابنة العم ، وهو يبدو على انه يتنافر تماما مع المسلمة التي تؤكد على انه كلما كان المستوى التعليمي اعلى كلما استطاع الفرد التحرر من عادة الزواج من الاقارب ، ان هذا الاشكال سوف يصبح اكثر وضوحا فيما اذا عرفنا سبب زواج الجامعي من ابنه العم فقد ادلى لنا ان ابنة عمه تحمل مستوى تعليمي لا بأس به ، فالزواج منها كما يقول يتطابق مع عادة الاجداد التي تفرض عليه اختيار ابنة عمه من جهة ، كما يتطابق .

لاحظها "محمد عواد" لدى بدو الموزنة في الشرق الاوسط(1)
وإذا كان البعض لم يعد يخضع لقاعدة
التزويج من افراد القبيلة، فلا شك ان عوامل عديدة
شجعت هؤلاء على اختيار ازواجهن من خارج العائلة
فهل للمستوى التعليمي دخل في تغيير ذهنية هولاء؟؟
ما دام ان هناك مؤسسات جديدة اصبح لها دور الموجه
للقيم بدلا من العائلة، كالمدرسة مثلا،ففيها يقضي الفرد
جل اوقاته ويتلقى فيها تكوينا علميا واخلاقيا
ولتاكيد ذلك ربطنا متغير المستوى التعليمي بطريقة
الاختيار، باعتبار ان الابن والبنت من خلال التردد على المدرسة
بصفة ، اطوارها يتعرف على غيره من الجنس الاخر وتتوسع
مداركه وتتكون لديه مقاييس اخرى للاختيار،غير تلك
التي يعتمد عليها المجتمع البدوي ، اذ يحل محل
النسب والحسب الجمال والعلم والمستوى المادي والتطابق
في الافكار والاتجاهات.

جدول رقم(28) يبين تاثير متغير المستوى التعليمي في اختيار الزوجة من الاقارب

العلاقة القرابية / المستوى التعليمي	قبلية		ابنة عم		ابنة خال		لا علاقة		المجموع	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
أمي	03	03	13	12	02	02	16	15	34	32
ابتدائي	04	04	16	15	02	02	20	19	42	40
متوسط	—	—	09	08	—	—	07	07	16	15
ثانوي	02	02	01	01	02	02	07	07	12	12
جامعي	—	—	01	01	—	—	—	—	01	01
المجموع	09	09	40	37	06	06	50	48	105	100

(1) Awad Mohamed " le nomadisme dans les pays Arabes du moyen Orient "
Recherche sur la zone aride - Acte du colloque de paris Unesco, 1962 - P 36

من جهة اخرى مع طموحه وهو الزواج من متعلمة يتقارب مستوى فكرها مع فكره، ثم ان نصف الاميين يؤكدون على ان الزواج من خارج القبيلة والاقارب مكنهم من الاندماج السهل في المدينة، بحيث وسع دائرة النسب واصبح لديهم من يساعدهم على حل مشكل السكن فاغلبيتهم يسكنون في بيت اهل الزوجة، كما ان زواجهم كان مع اللواتي يسكنون المدينة وهذا يعني بالنسبة اليهم ارتقاء اجتماعي يطمح اليه اي بدوي تحرر من قيود العرش والعائلة بعد تفككها ومع ذلك نجد ان الاتجاه نحو الزواج من خارج القبيلة او الاقارب يظهر على انه يؤثر فيه المستوى التعليمي الا في الحالات الشاذة او تحت ضغوط موضوعية كما راينا سابقا، بحيث نجد انه كلما ارتفع المستوى التعليمي من الابتدائي الى الثانوي يكون الاتجاه واضح نحو اختيار الزوجة من خارج القبيلة او الاقارب

<u>عادة الزواج : المهر والزواج .</u>

لا تتوقف المؤشرات الدالة على التغيير والثبات لظاهرة الزواج على سن الزواج واختيار الزوجة او درجة التقارب بين الزوجين، بل ان هناك مؤشرات اخرى، وهي في الواقع تشكل مرحلة موالية لما سبق لاتمام عملية الزواج وهي تتعلق بطبيعة المهر وطريقة الزفاف وهما يشكلان الجانب المادي من الزواج، فالمهر في المجتمع البدوي يستمد مباشرة من نمط معيشتهم فاما ان يكون عدد من الماشية او الابل او مقدار من الذهب ولا يكون ابدا نقدياً كما صرح لنا بعض المسنين من البدو والمستقرين بحيث يضطر البدوي في بعض الاحيان الى بيع البعض من الماشية من اجل شراء المقدار المطلوب من الذهب، ان طبيعة هذا المهر قد تغيير كلية فلم يعد يحدد

من جهة اخرى مع طموحه ،وهو الزواج من متعلمة يتقارب مستوى فكرهما مع فكره ،ثم ان نصف الاصيلين يؤكدون على ان الزواج من خارج القبيلة والاقارب مكنهم من الاندماج السهل في المدينة ، بحيث وسع دائرة النسب واصبح لديهم من يساعدهم على حل مشكل السكن فاغلبيتهم يسكنون في بيت اهل الزوجة ،كما ان زواجهم كان مع اللواتي يسكنون المدينة وهذا يعني بالنسبة اليهم ارتقاء اجتماعي يطمح اليه اي بدوي تحرر من قيود العرش والعائلة بعد تفككها ومع ذلك نجد ان الاتجاه نحو الزواج من خارج القبيلة او الاقارب يظهر على انه يؤثر فيه المستوى التعليمي الا في الحالات الشاذة او تحت ضغوط موضوعية كما رأينا سابقا ،بحيث نجد انه كلما ارتفع المستوى التعليمي من الابتدائي الى الثانوي يكون الاتجاه واضح نحو اختيار الزوجة من خارج القبيلة او الاقارب

عادة الزواج : المهر والزواج .

لا تتوقف المؤشرات الدالة على التغير والثبات لظاهرة الزواج على سن الزواج واختيار الزوجة او درجة التقارب بين الزوجين ، بل ان هناك مؤشرات اخرى ،وهي في الواقع تشكل مرحلة موالية لما سبق لاتمام عملية الزواج وهي تتعلق بطبيعة المهر وطريقة الزفاف ،وهما يشكلان الجانب المادي من الزواج ، فالمهر في المجتمع البدوي يعتمد مباشرة من نمط معيشتهم ،فاما ان يكون عدد من الماشية او الابل او مقدار من الذهب ،ولا يكون ابدا نقديا ،كما صرح لنا بعض المسنين من البدو والمستقرين بحيث يضطر البدوي في بعض الاحيان الى بيع البعض من الماشية من اجل شراء المقدار المطلوب من الذهب ،ان طبيعة هذا المهر قد تغيير كلية ،فلم يعد يحدد

بروز الاغنام بل اصبح يراعى في تحديده المستوى المعيشي وهو يحدد نقدا ، وقد لوحظ في السنوات الاخيرة نوع من التساهل في تحديد المهر من قبل الفتيات اللواتي يرين ان الاباء هم الذين يبالغون في تحديده ، فقد جاء على لسان بعض الفتيات انه لم يعد يهمهن المهر المرتفع بقدر ما يهمهن ايجاد شريك حياة تتقاسم معه السعادة والتراضي .

اما فيما يخص طريقة الزفاف فقد تصادف وجودنا في قصر البخاري مع بداية شهر اوت (ربيعة اعراس لشباب من اولاد شعيب بدو وبدو (استقروا في هذه المدينة " ، فكانت طريقة الزفاف متطابقة مع الزفاف المعتاد في المدينة ، بحيث تم الزفاف بحضور فرق موسيقية ، ويعتبر العرس فرصة يتباهى فيها اهل العريس ، اما الحضور من الاقارب او غيرهم بما يملكون من المفاخر بعلن عنها سواءا بين النساء أو الرجال ، لكن ثمة اختلاف في طريقة الاحتفال فهناك بعض المسنين من البدو حدثونا عن الكيفية التي كان يتم بها حفل الزفاف ، حيث تشارك النساء الى جانب الرجال في الفرح بالرقص والمرح كما يكون العرس فرصة للالتقاء بين الاقارب والتعرف على بنات بعضهم البعض ثم التمهيد لزواج جديد وهو عكس ما رايناه في الاعراس الاربعة بحيث يحتفل النساء بمعزل عن الرجال ، ويرجع هؤلاء البدو والمستقرين سبب ذلك الى كون الزفاف في المدن يحضر اليه من الاقارب ومن غير الاقارب في حين الزفاف في الحياة البدوية لا يحضر الا الاقارب .

<u>تعدد الزوجات لدى البدو المستقرين .</u>

تنتشر ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع البدوى وخاصة لدى مشايخ القبيلة واثريائها فلا نكاد نجد

واحدا منهم له زوجة واحدة .فامتلاك السلطة والثروة من طرف البدوي يمكنه من الزواج باكثر من امرأة .فمن بين 49% من افراد العينة المتزوجون الذكور هناك 15% لديهم اكثر من زوجة .و هولاء ينقسمون الى صنفين : فاما الموالين الذين يقومون بتربية الماشية من اجل الاتجار بها حيث يعهد الاهتمام بها الى رعاة يسهرون عليها ، بينما يستقر الموالي الذي هو من اصل بدوي في المدينة فتكون له زوجة مستقرة معه في المدينة وأخريات تعيش حياة بدوية مع ابنائها او مستقرة خارج المدينة ، بحيث يوفر لها كل حاجياتها . اما الصنف الثاني فهم اولئك الذين اصبحت لهم سلطة داخل البلدية .كرئيس بلدية مثلا. وهي حالة وجدناها في بلدية البواعيش.وبوقزول وهما يعتبران من البلديات التي يطغى عليها الطابع البدوي.بالرغم من استقرار اهلها ، فقد انتقلوا من بدو الى اشباه بدو، ولقد لوحظ ان هولاء يقضون بعض الشهور من السنة مع ازواجهم البدويات في مساكنهم خارج المدينة .فهو الذي ينتقل اليها ، ولم يسبق للزوجات البدويات ان زرن ازواجهن في مساكنهم داخل المدينة .

فالبرغم ان ظاهرة تعدد الزوجات لازالت مستمرة و منتشرة بين البعض من البدو المستقرون.لكن قد اخذت طابع مغاير لما كانت عليه .فالبدوي كان يعيش مع زواجه داخل خيمة واحدة كبيرة يفصل بينهن حجاب فقط، ويتلقين نفس العناية المادية . ما دمن يعشن معا السوال الذي يتبادر الى الاذهان، لماذا يلجأ البدو الى تعدد الزوجات؟ هل استمرار الظاهرة يعني الاستمرار في المحافظة على بعض القيم؟ للاجابة على هذا التساول حاولنا معرفة موقف المبحوث من تعدد الزوجات وفقا للحالة التي يراها ضرورية للزواج باكثر من واحدة كما هو موضح في الجدول التالي :

جدول رقم (29) يوضح موقف المبحوثين من تعدد الزوجات وفقا للحالة التي ينبغي ان يتزوج فيها الرجل باكثر من امرأة واحدة .

حالات تعدد الزوجات	المرض اي المراة		الرغبة الجنسية		الرغبة في الانجاب		لان الدين يسمح بذلك		المجموع	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
التعدد	70	50	31	22	12	9	27	19	140	100

يتبين من الجدول ان هناك نسبة 50% يرون ان للرجل حق الزواج باكثر من واحدة كما ان 22% يرون ان الرجل اذا لم تشبع غريزته الجنسية فله ان يتزوج باخرى ويرى 9% غير ذلك فاذا كان الرجل يرغب في انجاب اولاد اكثر فان تعدد الزوجات هو الحل، لكن ثمة اخرون يوكدون ان الرجل اذا رغب في الزواج فلا مانع له ،ما دام الدين يسمح بذلك، ونسبة هولاء 19% نصف العينة تبرر حقوق تعدد الزوجات بعجز الزوجة الاولى عن اداء دورها العائلي كما ينبغي مما يجعل افراد الاسرة في حاجة لمن يرعاهم و يسهر على حاجياتهم خاصة وان المرأة هي المسوولة عن اشغال البيت، فالرجل كما يعتقدون لا يمكن ان يقوم باعمال البيت عوضا عن زوجته فذلك امر ينتقص من رجولته ،فهذه الذهنية راسخة في ذهن البدوى حتى بعد استقراره كما نرى . فتقسيم الادوار في المجتمع البدوى والذى يعهد العمل خارج الخيمة للرجال فان المرأه لها وظيفة السهر على تربية الابناء بالاضافة الى القيام ببعض الاعمال الحرفية من توفر الاموال على زوجها ، لذلك فان مرض الزوجة يزيد من متاعب البدوى المستقر،خاصة وان اغلبية البدو الذين استقروا يمارسون اعمالا جانبية ،كبيع بعض السلع التقليدية التي تقوم المرأه

بصناعتها، كالاواني الفخارية والزرابي اما الذين يرون ان الرغبة الجنسية هي وحدها التي تسمح للرجل بالزواج باكثر من واحدة فالمراة حسب رأي هولاء متاع، فاذا كان للرجل قدرة على النفقات فلا مانع ان يتزوج باكثر من واحدة.

نجد هذه النزعة عند الذين ارتقوا اجتماعيا كأن اصبحت لهم سلطة داخل البلديات والدائرة وكذلك المواليين الكبار، ويبرر هولاء رغباتهم الجنسية بجواز الدين لتعدد الزوجات، وهو ما يراه ١٩٪ من المبحوثين، ثمة اخرون يرون ان الزواج من اكثر من واحدة يزيد في انجاب الاولاد الذين سوف يحملون عنه ثقل الحياة عند كبره فالابناء عبارة عن ثروة تختزن لسن التقاعد ما دام لايوجد هناك الضمان الاجتماعي الحكومي، كما نرى اذن فان تعدد الزوجات موجود وان تعددت مبرراته لكن هذا لاينفي وجود تغير في الاسباب الداعية الى تعدد الزوجات حيث نرى تقهقر تعدد الزوجات بدافع الرغبة في الانجاب وهذا يعني ان البدوي المستقر يدرك تماما متاعب تربية الابناء الذين يتحولون من منتجين في المجتمع البدوي الى مستهلكين لايساهمون في اقتصاد البيت، فهل لهذا التغير علاقة بمدة الاستقرار بحيث انه كلما كانت مدة استقرار البدوي طويلة كلما تغيرت مواقفه في هذا المضمار؟؟

للاجابة على هذا السؤال حاولنا تتبع تطور الموقف خلال فترات تاريخية مختلفة نلخصها في الجدول التالي :

جدول رقم (30) يبين العلاقة بين الموقف من تعدد الزوجات وتاريخ الاستقرار.

تاريخ الاستقرار / الموقف	قبل 1962		مابين 1962 و1972		بعد 1972		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
المرض	02	01	44	32	24	17	70	50
الرغبة الجنسية	04	03	14	10	13	09	31	22
الرغبة في الانجاب	06	04	06	04	—	—	12	08
لان الدين يسمح بذلك	10	07	12	09	05	04	27	20
المجموع	22	15	76	55	42	30	140	100

من بين الذين يرون ان المرض يعتبر سببا لتعدد الزوجات منها 01% كان استقراره قبل 1962، و32% قد استقروا في قصر البخاري ما بين 1962و1972،اما 17% فقد كان استقرارهم بعد 1972بينما الذين يبررون تعدد الزوجات بالرغبة الجنسية منها 03 % منهم استقروا قبل 1962، و10% ما بين 1962و1972 وان 09% حلوا بقصر البخاري بعد 1972،اما الذين يرون ان التعدد يكون بسبب الرغبة في الانجاب فهناك 04% استقرارهم في المدينة كان قبل 1962 نفس النسبة نجد ما لدى من كان استقرارهم ما بين 1962و1972 ولا يوجد من بينهم من استقروا بعد 1972،في حين من يرى ان الدين قد اباح ذلك منهم 07% توطدهم كان قبل 1962،و 09 % مابين 1962 و1972، و04 %فقط توطنوا بعد 1972.

ان أقدمية الاستقرار بالنسبة للبدوى يؤدى الى تحولات هامة في مواقفه وسلوكه ،لكن هذه التحولات ليست جوهرية

وانما هي مجرد تعديلات آنية للتكيف مع الاوضاع الجديدة التي اصبحت تحيط به في المجتمع الجديد والذى فرض عليه سلوكا يختلف عما اعتاده ،فاذا كان لزمن الاستقرار تأثيرا بسيطا على موقف البدوى من تعدد الزوجات فلا شك ان مواقف الشباب لا تتطابق مع المسنين كما ورد في فرضيتنا المتعلقة بالاختلاف في درجة تقبل القيم الجديدة بين المسنين والشباب لاختيار هذا الافتراض حاولنا ربط اسباب تعدد الزوجات بتغير السن وذلك على النحو التالي :

جدول رقم (31) يبين العلاقة بين موقف المبحوث من تعدد الزوجات.

السن	20 ـ 30		31 ـ 40		41 ـ 50		51 وما فوق		المجموع	
حالات تعدد الزوجات	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
المرض	11	08	50	36	07	05	02	01	70	50
رغبة جنسية	13	09	10	07	08	06	ـ	ـ	31	22
رغبة في الانجاب	03	02	ـ	ـ	05	04	04	03	12	09
لان الدين يسمح بذلك	06	04	04	03	10	07	07	05	27	19
المجموع	33	23	64	46	30	22	13	09	140	100

ان نسبة 08٪ ممن تتراوح اعمارهم بين 20و30 سنه يرون ان مرض الزوجة يخول له الزواج من غيرها ، ونفس

هذه الرؤية نجدها لدى 36% ممن تتراوح اعمارهم بين 31 و 40 سنة و 50% منهم ما بين 31 و 50 سنة و 10% فقط يفوق 51 سنة .

كما ان هناك 90% ممن تتراوح اعمارهم ما بين 20 و 30 سنة يرون ان تعدد الزوجات يكون بدافع جنسي ونفس الموقف نجده لدى 70% ممن تتراوح اعمارهم بين 31 و 40 سنة و 60% من الفئة التي اعمارهم بين 41 و 50 سنة ولا يذهب الى هذا الرأي اي شخص يفوق سنهم 51 سنة .

اما النظرة التي ترى ان تعدد الزوجات بالانجاب تشمل 20% تتراوح اعمارهم بين 20 و 30 سنة و 40% سنهم ما بين 41 و 50 سنة و 30% سنهم اعلى من 51 سنة ، واخيرا الذين يرون ان سبب تعدد الزوجات هو اباحة الدين له ، هناك 50% و 40% سنهم محصور بين 20 و 30 سنة و 30% سنهم ما بين 31 و 40 سنة و 70% ما بين 41 و 50 سنة ، اما ما فوق 51 سنة هناك 50%

ان اعلى نسبة من المبحوثين يرون ان العرف وحده هو الذي يخول للرجل من ان يتزوج باكثر من واحدة واغلبيتهم اي 36% تتراوح ما بين 31 و 40 سنة هذه الفئة عاشت الحياة البدوية بنفسها ، كما ان مدة استقرارها نوعا ما بعيد يمتد الى ما بعد الاستقلال مباشرة فالاحتكاك بالمجتمع الحضري غير من بعض تصوراتهم ازاء ظاهرة تعدد الزوجات ، فبالرغم من ان المدينة نفسها لازالت تحمل سمات بدوية ومع ذلك فان امتداد القيم الحضرية بدأت تنتشر من جراء الهجرة العكسية من المدن الكبرى الى هذه المدينة كموظفين في مختلف المستويات ، فتعدد الزوجات من منظورهم لا يكون الا في الظروف القاسية ، وهذا دلالة واضحة في تحول المبادئ لديهم على الاقل في هذا الجانب اي في الاسباب الداعية للتعدد ويفسر هذا الاتجاه نجده عند الشباب .

ثمة عامل اخر ساهم في انتشار هذه الظاهرة

فنحن نعرف ان الاتصال الاول بالمدينة من طرف البدوي

يكون في الشمال بشكل فردي، فيقيم اما في الفندق او
في مقر عمله او عند الاقارب وذلك لمدة قد تمتد
لشهور طويلة قد تمتد لسنة بكاملها فيكون البدوي امام
وحين التحرر من الرقابة الاجتماعية التي تفرض
عليه من اهله وعشيرته من جهة واغراءات القيم
الحضرية من جهة ثانية، خاصة وان البدوي البعيد
تقريبا من زوجته بشكل مستمر سواء كان ذلك في حله
وترحاله، فزواجه مرة اخرى في المدينة هو استجابة
لمتطلباته الجنسية كما انها تثبت بقاءه في المدينة
فقد وجدنا ٣٠٪ تم زواجهم في بيت اولياء الزوجة، ومع مرور
الزمن تمكنوا من ايجاد مسكن او بنائه في اطراف
المدينة .

ومهما كانت اسباب ظاهرة تعدد الزوجات
بالطريقة السابقة، فان نتائجها غالبا ما تكون وخيمة
لانها تتم دون علم الزوجتين الاولى والثانية، وعند اكتشاف
الحقيقة التي تظهر بمرور مدة طويلة لكون الزوجتين
يعشن بعيدات عن بعضهن، فالاولى في البادية والثانية
في المدينة يؤدي ذلك في بعض الاحيان الى الطلاق، فمن
بين ٢٠ قضية طلاق حضرناها في المحكمة، عادت اسباب
١٢ قضية منها الى اكتشاف الزوجات امر زواج الرجل
بامراة ثانية، وكان طلب الطلاق من الزوجة التي تعيش
معه في المدينة، اما الزوجة البدوية فهي تخضع
لزوجها مهما كان الامر .

٣ . تفكك العائلة البدوية .

ترتكز الحياة الاجتماعية للبدو على العائلة
الممتدة، حيث يعيش الجميع تحت سقف واحد، خاضعين لسلطة
الشيخ الكبير في العائلة، فهو الذي يحدد الادوار لاعضائها
ويقضي امورها ويفصل في قضاياها مما يجعل العائلة
متماسكة اقتصاديا واجتماعيا وحتى في حالة زواج احد
افراد العائلة فانه يبقى تحت سلطة ابيه لان الملكية

موجودة يشارك فيها الكل ابتداءا من الخيمة الى وسائل النقل والمماشية بل حتى اواني طهي الطعام،فهذه الوحدة تفرضها الحياة البدوية نفسها التي لا تقبل التجزئة نظرا للانتقال المستمر من مكان الى اخر،مما يترتب عنه حاجة العائلة الى الحفاظ على تماسكها وتعاونها بتجاوز متاعب الانتقال،ومن ثم فان استمرار البعض منهم هل يؤدي الى اختفاء نزعة العيش تحت سقف العائلة الممتدة ما دامت متاعب الانتقال قد انتهت،ولم يعد يحتاج من يرعى معه الماشية او يساعده في حط الرحل وتثبيت الخيم او فكها،كما انه لم يعد يخشى هجوم قبائل اخرى عليه فقد امن على نفسه بوجود مؤسسات تحميه؟ للاجابة على ذلك طرحنا سوال مباشر على المبحوثين فيما اذا كانوا يرغبون العيش مع اهاليهم ، بعد الزواج بالنسبة للذكور،اما الاناث فالسوال يتعلق في رغبتهم في العيش مع اهل ازواجهن فكانت المعطيات على الشكل التالي :

جدول رقم(32) يبين مدى رغبة الابناء في البقاء مع والديهم بعد الزواج .

الجنس / شوقة الابناء	الذكور		الاناث		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
العيش مع الوالدين	31	22	12	09	43	31
العيش بعيدا عن الوالدين	63	45	34	24	97	69
المجموع	94	67	46	33	140	100

ان نسبه 22% من الذكور يرغبون في العيش مع والديهم بعد الزواج اما الاناث فمنها 09% في حين يوجد

45٪ من الذكور و 84٪ من الاناث يرغبون في العيش بعيدا عن والديهم او بعيدين عن اهل الزوج بالنسبة للاناث اذن فكلا الجنسان لم يعد يرغبا في العيش مع الوالدين اي حوالي 60٪ وترتفع هذه النسبة اكثر عند الاناث اذا ما اخذنا النسبة الى مجموعهن نجد 74٪ لا يرغبون في العيش مع اهل الزوج ،فهن يفضلن تكوين اسرة منفصلة عن كل تبعية للعائلة الممتدة ،ان تفتح المرأة على العالم الخارجي سواءا كان عن طريق التلفزة وما تنقله اليهن من قيم جديدة عنهن ،او من خلال الاحتكاك بنساء الجيران الامر الذي غير الكثير من نظرتهن للحياة الزوجية ، فقد اكدت البعض منهن لما سألناهن عن سبب رفضهن العيش مع اهل الزوج ، اذ ان العيش في عائلة واحدة كبيرة يفرض عليهن سلطتين الاولى من والدى الزوج والثانية من الزوج نفسه بالاضافة الى ذلك فانهن لا يتمكن من اشباع حاجياتهن ، فالمرأة اصبحت تتوق الى الارتقاء اجتماعيا انطلاقا من البحث عن وسيلة تضمن لها مكانة فعالة داخل الاسرة ، وهذه الوسيلة تكمن في رغبتهن في العيش منفصلات عن اهل الزوج .

ان عادات الزواج لدى الجماعات البدوية المستقرة في مدينة قصر البخاري وان اختلفت في بعض القيم حيث ان رواسب الاجداد من قيم وعادات لا يمكن التخلي عنها في ظرف قصير بل قد يمتد تاثيرها الى عدة اجيال اخرى بالرغم من الولادة في المدينة والعيش فيها ولكن هذا الامتداد ليس كلي لجميع القيم واسما تلك التي تبدو جوهرية ويرافق هذا الامتداد تغيرا بطيئا ، يحدث هذا وحتى لو لم يكن اي علاقة بين هذه الاجيال والبادية ولكن ما دامت الولادة في اسرة من اصل بدوي وما دامت ايضا السلطة في يدها فان التراث البدوي يبقى محفوظا في الذاكرة الاجتماعية ، فالزواج الداخلي لا يزال منتشرا بين هولاء

البدو المستقرين كما ان الفتى والفتاة لايملكان ارادة الاختيار في الزواج فكل شيء يفرض من العائلة حتى طريقة حفل الزفاف، ان استمرارية هذه الزواسب نتج عنها صراع بين القيم التي يحملها الابا، وتلك التي تفرضها الحياة الحضرية، ومع ذلك يفقد بعض الاباء قدرة التحكم في فرض العادات البدوية على اولادهم نتيجة تصادمهم مع بعض العوائق الموضوعية كضيق السكن الذي يستحيل فيه بقاء العائلة الامر الذي يجعل الاب يمنح حرية لابنه للسكن في مسكن مستقل لكن الروابط العائلية القديمة تبقى موجودة بحيث ان الابن مضطر الى استشارة ابيه او اقاربه في الكثير من القضايا الخاصة كالختان والزواج ... الخ

وهكذا التغيير الطارئ في القيم لايعني بقاء الروح الجماعية بنفس الدرجة التي كانت عليها " فوجد اكل واحد لنفسه والالم المجيء ادت الى تفكك العائلة وانقسامها واوجدت الفوضى الاجتماعية لصعوبة المراقبة حيث استحالت معها توصيل الاوامر، فالفرد اصبح لايمثل الانفسه ورأيه غير مسموع، وهذا لايعني غياب الشعور الجماعي وخاصة بعد تقسيم الارض"(١).

٣ الانجاب .

يخضع البدو والبدوية بعد الزواج الى سنة الحياة التي تتحكم في تصورات وحاجيات المجتمعات الانسانية حول الانجاب الذي يعد ثمرة التزاوج بين الرجل والمرأة، الشيء الذي يختلف بين المجتمعات هو الغاية من الانجاب وهي التي تحدد مدى رغبة كل من الرجل والمرأة في انجاب عدد معين من الاطفال، فالمألوف عند البدو هو الميل الى انجاب اكبر عدد من الاطفال، وهذه الرغبة قد تدفع في بعض الاحيان الى تعدد الزوجات، ولمعرفة استمرارية هذه النزعة او اختفائها لدى البدو المستقرين

---

(1) LEON Lehuraux , Op - cit : P 49

من الجنسين طرحنا سؤالا عليهما حول عدد الاطفال المرغوب في انجابهم فكانت المعطيات كالتالي :

جدول رقم (3.3) يوضح رغبة المبحوثين في الانجاب (ذكورا واناثا)

الجنس / عدد الاطفال المرغوب في انجابهم	الذكور		الاناث		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
01 الى 02	27	19	06	04	33	33
03 الى 05	33	24	26	19	59	59
05 وما فوق	34	24	14	10	48	48
المجموع	94	94	46	33	140	100

يرغب 19 % من الذكور في انجاب طفل او طفلين و 24 % من 03 الى 05 اطفال نفس النسبة اي 24 % يميلون الى انجاب 05 اطفال وما فوق، اما الاناث 04 % منهن يرغبن في الانجاب من 02 الى 05 اطفال و 10 " منهن تتمنى انجاب ما فوق 05 اطفال .

ان اراء المبحوثين حول الانجاب تختلف حيث يرغب اغلبية الذكور والاناث الى انجاب اكثر من ثلاثة اطفال فالذكور يميلون اكثر الى الانجاب فأحد المبحوثين اردف قائلا " لتمنى ان يكون لي 10 اطفال فالذى خلق يرزق والله هو الذى يحدد عدد الابناء وليس انا " وهنا المن يقيد انجاب عدد كبير من الاطفال بالتربية بقوله "اذا كنت قادرا على تربيتهم فعدد كبير منهم افضل " كما ان بعض البدو يرفضون تحديد عدد الاطفال المرغوب في انجابهم ، اذ يعتقدون ان ذلك تحت تصرف الارادة الالهية ، فهنا نلاحظ الازدواجية في القيم فالبدوى يحس بثقل

التربية التي قد تنجم عن الانجاب خاصة وانه يخشى كثيرا امتداد قيم المدينة الى بيته ومن ناحية اخرى فان النزعة البدوية للانجاب اكثر تدفعه الى طلب المزيد من الاطفال مادام العدد يحدده الله .

اما الاناث فنلاحظ ان اغلبيتهن يفضلن انجاب من ٣ الى ٥ اطفال وهو عدد وسطي ، وهنا نلاحظ نوعا من التردد في مواقف البدويات المستقرات من الانجاب ، فقد اصبحن يدركن مخاطر انجاب عدد كبير من الاطفال سواء من ناحية تربيتهم او القدرة على توفير حاجاتهم ومع ذلك نرى النساء ان الانجاب لابد منه ويفضلن جميعا ان يكون المولود طفلا فانجاب الذكر يرضي جميع العائلة وخاصة الزوج الذي تختلف رعايته لزوجته بعد وضعها حسب جنس المولود ، فاذا كان المولود طفلا سارع الى تلبية مطالب زوجته والعكس في حالة انجاب بنت خاصة اذا كان الاطفال الاخرين كلهن اناث فانه يقصر في حق زوجته وتفقد مكانتها داخل العائلة ، هذا في حالة انجاب الاناث اما اذا كانت المرأة عاقرا فانها تعاني الكثير من جراء المضايقات التي تتعرض لها من قبل اهل الزوج فالانجاب هو رمز اجتماعي للخصوبة وانوثة المرأة ،

وقد ارتبط الانجاب بعدد من المعتقدات منها الاعتقاد بان من يجلس على هذا الحجر فانه سوف يكون الابناء كلهم من الاناث وهذا كله يوضح الخوف من انجاب البنات وهي ميزة المجتمعات التي تفضل الذكور عن الاناث لاستخدامهم لاستخدامهم في العمل والحرب فالذكر رمز القوة ، كل من كان لديه ابناء ذكور كثيرين كان محترما بين عشيرته وكلامه مسموع وهذه الصفة مازالت راسخة في ذهنية البدوي المستقر ، وحتى تتوضح الرؤية اكثر فيما يتعلق بالانجاب والعوامل التي تتأثر بها حاولنا معرفة مدى الاختلاف الموجود بين مختلف اعمار المبحوثين لمعرفة

تصور الاجيال حول الانجاب،وهو ما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم (34) يبين موقف المبحوثين من الانجاب ومدى تاثير السن في ذلك .

فئات الاعمار / العدد	20 — 30		31 الى 40		41 الى 50		51 وما فوق		المجموع	
	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
من 1 الى 2	20	14	11	08	02	01	—	—	33	23
03 الى 05	09	06	36	26	08	06	06	04	59	42
من 05 وما فوق	04	03	17	12	20	14	07	05	48	34
المجموع	33	23	64	12	30	21	13	09	140	100

يبين الجدول ان هناك 14 % من المبحوثين الذين تتراوح اعمارهم ما بين 20 و30 سنة يفضلون ان يكون لهم من ولد الى ولدين، و06 % يتمنون ان يكون لهم من 03 الى 05 اطفال اما الذين يرغبون في اكثر من ذلك فهناك 03 % كما ان الذين تتراوح اعمارهم بين 31 و40 سنة ، منهم 08 % يفضلون طفلا او طفلين ، و26 % يفضلون ان يكون لهم من 03 الى 05 اطفال، ومنهم ايضا 14 % يرغبون في اكثر من ذلك، في حين الذين تفوت اعمارهم 51 سنة لايوجد من بينهم من يفضل طفلين على الاكثر ولكن هناك 04 % يتمنون ان يكون لهم من 03 الى 05 اطفال، و05 % يرغبون في ان يكون لهم اكثر من ذلك،وهذا الاختلاف يوضح تاثير السن في الميل الى الانجاب،فكلما زاد السن انخفضت الرغبة في انجاب عدد كبير من الاطفال بينما الشباب يميلون الى تخفيض عدد الاطفال،ولكن ما هي الوسيلة التي يفضلان بها الاقلال من الولادات،ان كبار السن يرفضون تماما فكرة تحديد النسل او التباعد بين الولادات باستخدام

التعليمات الطبية ، فهم يلجئون الى العزل الطبيعي لتنظيم النسل ولا يستعمل هذه الطريقة الا القليل منهم،كما ان الشباب يرفضون فكرة تحديد النسل ويفضلون تنظيمه ، ولكن نلاحظ ترددهم في الموقف اذا سألناهم فيما اذا سبق لهم ان استعملت نسائهم الحبوب الطبية لتنظيم النسل يرفضون الاجابة" ويكتفون بالقول "عند الضرورة سوف نستعمل هذه الحبوب".

ان فكرة تحديد النسل او تنظيمه مازالت افكار جديدة على البدو والمستقرين ويصعب هضمها نظرا للاعتقاد القطعي بالقضاء والقدر ، وهي تعتبر من الامور التي تخدش شعورهم،كما ان العامل الديني يلعب دورا مهما في توجيه سلوكهم، وهكذا نجد ان عملية الحمل والولادة في المجتمع البدوي تحيط به جملة من المتغيرات الاجتماعية توضح طبيعة العادات والممارسات الثقافية ،فكما رأينا عند تحليلنا لرغبات المبحوثين من الجنسين في الانجاب وجدنا ان الانجاب خاصة عند النساء لا يعد مجرد نتيجة لاتصال بيولوجي بين الرجل والمرأة بل اكثر من ذلك فالمرأة عند حملها ووضعها للولد تكون قد برهنت على انوثتها كما تكتسب بذلك مكانة اجتماعية مرموقة داخل العائلة ،كما ان الرجل ملزم اثناء فترة الحمل بتوفير كل حاجياتها ، بل في بعض الاحيان يكون الطلب مكلفا جدا ،فهم يعتقدون ان المرأة في هذه الفترة تكون في حالة (وحم)،فاذا لم يوفر لها زوجها مطالبها فان المرء يظهر علامات تشويهية في جسم الولد ، فاحدى النساء قالت ان ابنها ظهرت في ظهره بقعة رمادية على شكل عنقود عنب،فحين جاء الوحم طلبت من زوجها ان يشتري لها العنب،لكن ذلك في غير فصله فعجز عن تلبية مطالبها،بالرغم من تنقله الى العديد من الاماكن فلم يحصل عليه .

اما فيما يتعلق بعملية الوضع فنلاحظ ان البدوية تبدأ بها بعض المؤشرات تحدد بها موعد الوضع او اقترابه وتتم عملية الوضع بمساعدة بعض البدويات المتقدمات في السن، هذه الطريقة التقليدية بدأت تختفي حيث ان غالبية حالات الوضع تتم في المستشفى وهذا دليل على اتجاه البدو المستقرين نحو الطب الحديث ومع ذلك نلاحظ بان الاهتمام بصحة المولود تتم بطريقتين: اولا الاعتماد على التداوي التقليدي، واذا لم ينفع يتم الاستنجاد بالطبيب ولكن الطب التقليدي هو الجوهر الذي يجربه البدوي اولا ثم الطب الحديث.

عند اقتراب الوضع تلجأ المرأة الى استلاف جزء من الحبل السري لامرأة اخرى لها اولاد من الذكور فتحتفظ بذلك الى غاية الوضع وهي تعتقد ان ذلك سوف يكون اولاد كثيرين، وهذا بالنسبة للواتي لم يسبق لهن ان وضعن وان استخدام هذا الحبل السري يكون عن طريق الاختيار حتى يكون ولدها وسيما وذكيا مثل الذي استلفت حبل السري وهناك طرق عديدة لتقديم العلاج للطفل، فعندما يصاب فم الطفل ببعض الالتهابات تقوم الام بحك حبة الطفل وهي تشبه حبة الجوز على قطعة اجر هي مطلية بالزيت فيد من كل جوانب لسان الطفل بها، كما تضع الام الكحل الولدها لحماية صحته وصحة عيونه وهذه العادات والتقاليد هي جانب من مجموعة من الممارسات والتقاليد التي تتأسف بعض النساء لاختفائها.

المبحث الثاني : التنشئة الاجتماعية .

المحور الاول : الاطوار التي يمر بها الطفل في تنشئته الاجتماعية

في سياق معالجتنا لوضعيه البدوى المستقر في مدينة قصر البخاري من الناحية الاجتماعية والاقتصادية فان مسألة التنشئة الاجتماعية تعد من المسائل الاكثر حساسية ،فعلى اساسها تتحدد السمات الاجتماعية للفرد فاما ان تضمن هذه التنشئة ترابط علاقات التواصل بين الاجيال المتعاقبة ،او تحدث قطيعه من خلال تمرير عادات وتقاليد جديدة تؤدى الى التحول في التصورات الاجتماعية ،ويبدو ان مفهوم التنشئة الاجتماعية يتضمن معنيين : اولا هما يعتبر ضرب من ضروب الترويض او السياسة (تربية الاطفال) التي يمتاز من خلالها الى جعل الطفل يستبطن المعايير كالاعراف والمواقف والادوار والمعارف وحسن التصرف اى ما يعرف بادب الحياة ،والتي ستشكل نوعا من البرامج المصممة استرضيلاحقا موضع التنفيذ الالي نسبيا ،وبمقابل هذه التنشئة الترويضية تنشئه تفاعلية وهي اكثر واقعية ومرونة من مسار التنشئة الترويضية (٨)

ان الطفل البدوى يمر بطورين مثله مثل الطفل في المجتمع الحضرى حيث يتلقى تنشئة خاصة اثناء سن الطفولة في هذه المرحلة تقوم الام بتلقين ابنها العديد من المسائل التي تسمح له بالاندماج الاولي في الحياة الاجتماعية للبدو،وغالبا ما ترتبط المبادى الملقنة ببعض المعتقدات الغيبية ،كان يغرس في الطفل فكرة ان الذى يأكل من الصحن يعرضه الى مصائب مستقبلية ،او اذا تناول بعض الاجزاء من الذبيحة يتعرض الى امراض،ويعني هذا ان الطفل سوف يكون تحت مراقبة ملازمة له اينما حل وهكذا يتقيد الطفل باعراف وعادات القبيلة بشكل آلي،اما الطور الثاني من التنشئة الاجتماعية

٨ـ د . خليل أحمد خليل ، مرجع سابق ، ص 50

تبدا ببلوغ الطفل سن الرشد فتتعزز معارفه ومداركه حيث تتسع دائرة احتكاكه بالعالم الخارجي خاصة الذكور، فيصبح ملازما لابيه ،فالشاب البدوى ينشأ على اساس الانفصال الجنسي حيث يفرق بينهما منذ الصغر ولا يجوز اى اتصال بينهما حتى انه نادرا ما تتحدث الاخت مع اخيها فضلا عن ابن الاقارب،كما يتربى الطفل على الشجاعة والاقدام ، فالطفل في بعض القبائل يمنع من اكل كبد الانثى من الحيوانات خاصة الدجاج اذ يعتقد ان كل من يتناولها يتولد لديه الخوف، وهو ما يدل على حرص البدوى على تربية ابنه على الشجاعة ،وهكذا نجد ان الطفل البدوى يتلقى تنشئة اجتماعية من مؤسستين اجتماعيتين هما :الاسرة والقبيلة ،لكن بعد الاستقرار في المدينة يتقاسم مهمة التنشئة الاجتماعية عدة مؤسسات سواء كان ذلك بشكل مباشرا و غير مباشر اهمها المدرسة والمسجد حيث يتم تعليم الاطفال حفظ القران قبل دخولهم الى المدرسة ،واجهزة الاعلام خاصة التلفزة بالاضافة الى الاسرة والمحيط الاجتماعي الذى يعيش فيه البدوى المستقر،وهكذا تتداخل عوامل الاندماج الاجتماعي وتتداخل مع ذلك القيم بشكل لا يتوافق والتصورات البدوية المحافظة فيبدى مقاومة للقيم الجديدة حتى يتجنب عملية انحلال البنى الاجتماعية ،وبالتالي تجذيره من اصله البدوى، اذن أول موقف يمكن ملاحظته ازاء مختلف هذه المؤسسات هو موقفه ازاء المدرسة وتعليم ابنائه ،ويمكن ان يتوضح لنا ذلك من خلال معرفة المستويات المختلفة لابنائه .

جدول رقم (35) يبين المستوى التعليمي لابناء المبحوثين .

المستوى	دون سن الدراسة		ابتدائي		متوسط		ثانوى		جامعي		امي		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
المجموع	10	07	58	41	21	15	13	09	05	04	33	24	140	100

يتضح من الجدول ان 07% من ابناء المبحوثين دون سن الدراسة اي لم يبلغ بعد هولاء سن الدراسة اما 41% لديهم مستوى ابتدائي و15% تمكنوا من الوصول الى مستوى متوسط ثم 09% لديهم مستوى ثانوي ولم يصل الى الجامعة من ابناء المبحوثين سوى 04% اما 24% لم يسعفهم الحظ للدخول الى المدارس ولا حتى حفظ القران على يد حفاظ القران .

يتبين اذن من المعطيات الواردة في الجدول ان اغلبية ابناء المبحوثين يزاولون تعليمهم في المستوى الابتدائي والمتوسط ، حيث تتناقص بشكل ملحوظ فنسبة الذين تمكنوا من اجتياز التعليم المتوسط الى الثانوي والجامعي 13% كما ان نسبة الابناء الاميين كبيرة نوعا ما وهولاء كما ظهر لنا ميدانيا من كبار السن الذين توطن اهاليهم في الوقت الذي كان فيه سنهم لا يسمح بالدخول للمدرسة ونشير هنا ان ابناء البدو والمستقرين اصبحت لديهم حظوظ كبيرة في مواصلة الدراسة الثانوية والجامعية نتيجة تزايد النفقات ومع ذلك فان البعض منهم تمكنوا من الحصول على ارتقاء اجتماعي حيث اصبحوا يشتغلون في سلك التعليم الابتدائي والمتوسط ، ومن ثم ضمنوا سكنا ملائما ووظيفة قارة تحمي الاسرة وتضع حدا لامل العودة الى الحياة البدوية ، وعلى هذا الاساس يمكن ان تكون المدرسة عامل تغيير في حياة البدو، ومن ناحية فان "ما نعتبره عاملا من عوامل التغيير يمكن ان يكون هو نفسه مظهرا من مظاهر التغيير في الحياة الاجتماعية "(1) فتعليم ابناء البدو والمستقرين يمكن ان يكون احد التغيرات التي حدثت لدى هولاء الجماعات وفي نفس الوقت يمكن ان يكون عاملا مؤديا لحدوث تغيرات اخرى، فالتعليم من ناحية سوف يغير من مهنة الابن فبدلا من الرعي فانه يصبح مكونا تربويا او موظفا اداريا يتقاضى راتبا محدودا ومستقرا لا يتاثر بالعامل الايكولوجي بل هذا

(1) انيس صبحي حسنا : مرجع سابق ، ص 256 .

يمكنه من الزواج من فتيات المدينة فتتغير نظرته الى الكثير من مسائل الحياة ولقد صدف بحثنا بحضر الاساتذة من اصل بدوي في منطقة المفاتحة ، حيث زرناهم في بيوتهم فكانت من حيث نمط البيت لا يختلف كثيرا عن النمط الموجود عادة لدى سكان المدينة ، وكذلك طريقة الضيافة نفسها تتطابق مع ما هو معتاد لدى الحضر، كتقديم صوان من القهوة والحلوة ، وهذا ما يحدث لدى الابناء الذين كان لهم الحظ في مزاولة دراستهم، الا ان موقف الاباء من التعليم والمدرسة يخضع لمعيار العادات والتقاليد ،فما مدى تأثير هذه العادات والتقاليد في تحديد علاقة المدرسة بالاسرة لكشف ذلك طرحنا على المبحوثين سؤالا يتعلق برأيهم في مدى تكامل او تناقض في الدور الذي تؤديه كل من المدرسة والاسرة فتحصلنا على المعطيات التالية :

جدول رقم (36) يوضح العلاقة بين المدرسة والاسرة .

دور المدرسه والاسرة	المدرسه والاسره لهما نفس الدور		ليس لهما نفس الدور		دور متكامل		المجموع	
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
المجموع	37	27	72	51	31	22	140	100

يبين الجدول ان 27٪ من افراد العينة يعتقدون ان للمدرسة والاسرة نفس الدور، اي يمكن ان تحل المدرسة محل الاسرة فتقوم بتزويد الطفل بكل ما يمكن ان تقدمه له الاسرة من تربية وتعليم،بينما يرى 51٪ عكس ذلك فما تقوم به المدرسة يختلف تماما عما تقدمه الاسرة للابن فهذه الاخيرة تتولى اعالة الطفل ماديا وعاطفيا وتغرس فيه بعض القيم الاخلاقية وتساهم في اندماجه الاجتماعي من خلال اكسابه عادات وتقاليد محيطه الاجتماعي ، بينما دور المدرسة بالنسبة اليهم ينحصر في تزويد الطفل بالعلم

والمعرفة التي تسمح له بالحصول على الوظائف الهامة او المترتية المادية ،كما ان هناك ٢٢٪ يعتبرون ان المدرسة دورا مكملا لما تقوم به الاسرة ، حيث يساهمان معا في تكوين تكوين شخصية متكاملة لدى الطفل ،فالمدرسة تمنح الطفل مكانة اجتماعية مرموقة مما يتحصل عليه من شهادات ووظائف محترمة ،ولكن على ضوء هذه المعطيات يبدو ان المدرسة كمؤسسة اجتماعية جديدة بالنسبة للبدو المستقرين مؤسسة قاصرة لا يمكن ان تؤدي نفس الدور الذي تؤديه الاسرة ، فدورها مادي بحت،فالبدوي المستقر يرى ان المدرسة هي وسيلة للاندماج في المجتمع الحضري، فبفضلها يرتفع من مستواه المادي والعلمي الامر الذي يجعله مقبولا من قبل المجتمع الحضري،اذن دور المدرسة هنا بالنسبة اليه وسيلة استراتيجية التخلخل في المجتمع الحضري دون قيام موقف عدائي لاستقراره في المدينة ، وحتى تتوضح مكانة المدرسة ودورها لدى البدوي المستقر طرحنا سؤالا محددا حول دور المدرسة ، هل ينحصر في تربية الاطفال ام هو وسيلة للحصول على شهادة علمية تسمح باكتساب وظيفة محترمة ام ان المدرسة دورها اسمى من ذلك فهو انارة عقول الاطفال بالعلم والمعرفة كما تمكنهم من فهم محيطهم الاجتماعي والمادي فتوزعت اراؤهم على الشكل التالي :

جدول رقم (37) يبين الدور الذي تقوم به المدرسة

الدور الذي تقوم به المدرسه	تربية الابناء		الحصول على شهادة للعمل		التعليم		المجموع	
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
العدد	24	17	68	49	48	34	140	100

يرى ١٧ ٪ من المبحوثين ان دور المدرسة هو تربية الابناء فيما يخص تهذيبهم وتلقينهم فضائل الاخلاق وتدريبه بشكل سليم طرق التعامل مع محيطه الاجتماعي بينما يرى

٤٩٪ ان المدرسة تمكن الفرد من الحصول على شهادات تمكن
الحاصل عليها من ايجاد عمل مستمر،فالمدرسة هنا مجرد
موسسة للتكوين المهني البحت،بمعنى اخر وربما تعني،كما ان
٣٤٪ يحصرون وظيفة المدرسة في تعليم الابناء ما يجهلونه
من المجتمع والطبيعة وبالتالي تمكنهم من تنمية فكرهم
وفتح بصيرتهم على خفايا الكون، وعليه يمكن ان نقول ان
المدرسة بالنسبة للبدو المستقرين وسيلة لضمان التوطن في
المدينة،فالكثير من البدو استقروا بفضل ابنائهم الذين
توصلوا الى المستوى الثانوي فاصبحوا اساتذة ومعلمين في
المدارس الابتدائية والمتوسطة وهذه الوظائف مكنتهم من الحصول
على مسكن وظيفي، وهكذا تكون العائلة قد وجدت مأوى
ثابت ومستمر ووضعت بذلك حدا لتنقلاتها،وهذه الغاية
تظهر حتى في طبيعة مكان الاستقرار،اذ يحرص البدوي ان
يكون موقع التوطن قريبا نوعا ما من المدارس حتى يتسنى
لابنائه مزاولة الدراسة وحتى يخفف من اعباء نفقات النقل
لكن بشكل عام نجد انه بالرغم من حرص البدوي على تعليم
ابنائه ،فان الوضعية العامة لاغلبية ابناء البدو غير مشجعة
ذلك ان الدخل العائلي محدودا ولا يسمح بتوفير ظروف مساعدة
على رفع مستواه التحصيلي،لان مصادر تكوينه الفكرى
محدودة تنحصر على المعلومات التي تقدم في المدارس،كما
ان اغلبيتهم لا يجد من يساعده في البيت على الدراسة هذا
من جهة،ومن جهة اخرى فان هولاء الاطفال ليسوا متفرغين
للتعلم بل ان جل اوقاتهم خارج فترة الدراسة يقضونها
اما في جلب الماء من اماكن بعيدة على ظهور الحمير او
الرعي ببعض رؤوس الماشية التي توفر الحليب للعائلة وتعتبر
موردا اقتصاديا مساعدا يعيل العائلة عند الحاجة .

وهناك مشكل اخر يعاني منه هولاء الاطفال، هو
عدم امتلاكهم للادوات المدرسية بشكل كامل ونتيجة لهذه
الوضعية هو وجود اعداد كبيرة من المتسربين من المدارس

خاصة من اولئك الذين لا يستطيعون الاجتياز الى المستوى الثانوي باعتبار ان هناك تساهل في تحديد شروط الانتقال الى المستوى الابتدائي والمتوسط،فاذا كنا قد اكدنا سابقا حرص البدوي المستقر على تعليم ابنائه بغية ضمان استقراره والرفع من مستواه المادي،فهل هذا الحرص يشمل الجنسين معا ام ان هناك تمييز بينهم،لحل هذا الاشكال طلبنا من المبحوثين تحديد المستوى الذي ينبغي ان يتوقف عنده تعليم الفتيات وهو ما توضحه معطيات الجدول التالي :

جدول رقم (38) يوضح موقف كل من المرأة والرجل من المستوى الذي ينبغي ان تكتفي به البنت.

المستوى / الجنس	ابتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
ذكور	22	16	45	32	23	17	04	03	94	68
اناث	13	09	22	16	09	06	02	01	46	32
المجموع	35	25	67	48	32	23	06	04	140	100

بالنسبة الذكور نجد ان نسبة 16 % يرون ان تعليم الاناث لا ينبغي ان يتجاوز المستوى الابتدائي فقط حتى تستطيع القراءة والكتابة ،وخروجها الى الدراسة في هذا السن لا يؤثر على سمعة العائلة ،ويرى 32 % ان المستوى الابتدائي غير كاف بل ينبغي ان تزاول التعليم المتوسط حتى تتمكن من الوصول الى مستوى تستطيع فيه القراءة والفهم دون الاعتماد على احد ،اما الذين اجابوا ان المستوى الذي تتوقف فيه البنت عن الدراسة هو المستوى الثانوي، وحينها تكون قد وصلت الى السن المسموح به للزواج ، ولذلك لا يمكن ان تواصل دراستها العليا ، الا ان 03 % يذهبون الى ابعد من ذلك فيما يخص تعليم الفتاة فهم يرون انها تتمتع بجميع الحقوق مثلها مثل الذكر، وان التعليم

قضية شريفة وبالتالي لايوجد هنا مستوى معين ينبغي ان تستفيد به الفتاة في تعلمها . بينما موقف الاناث انفسهن حول مسالة تعليمهن فإن 55% منهن يكتفين بالمستوى الابتدائي و16% يعتبرن المستوى المتوسط كاف لهن فهذا المستوى يسمح لهن بالدخول الى موسسات التكوين المهني المتدرب على الخياطة والطرز وبعض الحرف اليدوية التي تتماشى مع تصورهن الا ان 60% من الاناث لا يكتفين بالتعليم المتوسط حيث تتجاوز طموحهن الى التعليم الثانوي وواحده فقط ترى ان الفتاة لها الحق في مزاولة الدراسات العليا .

يبدو ان التعليم المتوسط هو المستوى الذى يراه كل من الذكور والاناث كاف لتعليم الفتاة فهذا الموقف وان كان لا يزال يخضع لقيم الماضي الذى يمنح البنت بشكل مستمر لكون بلوغ الفتاة سن الخامسة عشر يعني انها فتاة معدة للزواج ولا يجوز لها الخروج او ان يراها احد فهناك فترة تقضيها البنت في البيت دون الخروج وذلك قبل زواجها وتعرف بفترة الحجوبة اذن فبالرغم من هذا الجمود النسبي في القيم فان بوادر التغير البطيء في ذهنية البدوي المستقر واضحة فهذا التغير تتحكم فيه عدة عوامل اجتماعية واقتصادية .

فظاهرة تعميم تعليم الفتاة في الابتدائي والمتوسط تتزايد سنة بعد سنة فهناك متوسطة واحدة للبنات كانت تضم 304 تلميذة سنة 1977 وارتفع هذا العدد سنة 1988 الى 510 تلميذة وذلك باضافة اقسام جديدة كما توجد متقنة حرفية للبنات تضم 170 تلميذة يتوزعن على ثلاثة اختصاصات هي الخياطة والطرز(1) وهي الحرفة المفضلة لدى البنات وهن يطالبن بتوسيع المتقنة وتحديثها والاختصاص الثاني يتعلق بالزخرف والرسم والفرع الاخير خاص بالادارة وهناك متوسطتين مختلطتين حديثتين وهذه الموسسات التعليمية محصورة

---

(1) احصائيات البلدية الخاصة بقطاع التعليم .

في قصر البخاري فقط ولا يوجد في كل من بلدية البواعيش وبوغزول البدويتين، وهذا يعني حرمان كافي ابنات هذه المناطق من متابعة الدراسة ما بعد المستوى الابتدائي باستثناء بعض العائلات البدوية التي لديها اقارب في مدينة قصر البخاري او الشهبونية .

المحور الثاني : الضبط الاجتماعي .

1) ـ السلطة داخل الاسرة .

تخضع الاسرة البدوية الى تنظيم خاص يكون فيه تدرج سلطوي يجعل من المجموعات الاسرية وحدات تخضع لشيخ القبيلة الذي في الغالب يكون منحدر من عائلة شريفة ذات مكانة محترمة بينهم خاصة ان هذه الاسرة تجمعهم رابطة الانتماء الى جد واحد ، نفس هذا التنظيم معمول به داخل الاسرة التي تعد نموذج مصغر للمجتمع الاكبر وهو القبيلة بحيث تتمركز السلطة في يد الاب فهي تنتمي الى العائلات الابراسية التي يهيمن فيها الاب على افراد العائلة فاوامره نافذة غير قابلة النقاش واذا كان البدوي المستقر في المدينة قد اصبح امام قيم جديدة يسيطر عليها طابع الفردانية فما مدى استمرار السلطة الابوية في العائلة المستقرة ؟ للجواب على هذا السؤال اعتمدنا على تحديد متغير طرح بشكل مباشر على المبحوثين وهو تداول السلطة داخل الاسرة عند غياب الاب،كما اعتمدنا على بعض الملاحظات الدالة على استمرار او اختفاء السلطة الابوية ، والتي نحصرها فيما يلي :

جدول رقم(39) يبين تداول السلطة داخل الاسرة عند غياب الاب.

من ينوب عن الاب عند غيابه	الابن الاكبر		الام		العم الاكبر		المجموع	
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
العدد	26	19	91	67	20	14	140	100

لقد وجدنا لدى 19 ٪ من المبحوثين ان الام هي التي تتولى السلطة داخل الاسرة في حالة غياب زوجها في حين

تحسود السلطه للابن الاكبر لدى 67٪ من المبحوثين وتنتقل السلطة للعم الاكبر عند 18٪ من افراد العينة .

ان انابة الابن عند غياب الاب ظاهرة مألوفة لدى البدو بحيث الابن الاكبر يحل محل ابوى بطريقة تلقائية لان هذا الاخير يكون قد تدرب عن ابيه الذى يحرص على مصاحبة ابنه له في الرحلات، كما يوكل اليه التصرف في بعض المسائل ، الا ان مسؤولية الام حتى عند غياب زوجها تبقى محدودة جدا ، بل انها لا تستطيع ان تأخذ قرار ما الا باستشارة ابنها الاكبر الذى يملك زمام السلطة بعد ابيه ويكون له الحق في الحسم في امر زواج اخوته الاقل منه سنا سواء كانوا ذكورا او اناثا ، ولقد لاحظنا ان المرأة لا يمكن ان تخرج من البيت الا بامر ولدها الاكبر، حتى وان كان ذلك من اجل الذهاب الى المستشفى او الطبيب ، كما قد يكون خليفة الاب اخيه الاكبر اى العم، حيث يستشار في امر البيع والشراء والحسم في الخلافات والزواج ويخص العم باحترام كبير من طرف ابناء اخيه ، وهو بمثابة الاب اذن من الواضح استمرارية التدرج السلطوي وتمركزها لدى الجماعات البدوية المستقرة التي ما زالت تحافظ على بنيانها من خلال خضوع اعضاء العائلة لسلطة واحدة ، هذه السلطة التي تملك حق التصرف الاجتماعي كما راينا سابقا بالاضافة الى حق التصرف الاقتصادى، فبقية الاخوة مجبرين على تسليم مداخيلهم الى الاخ الاكبر حيث يقوم بدور الانفاق على العائلة وتوفير حاجياتها في كل المسائل مع منحهم مبالغ معينة للتصرف فيها بحرية ولقد ادى وجود هذه الظاهرة اى تمركز السلطة داخل العائلة في الابن الاكبر عرقلة روح المبادرة والاعتماد على النفس لدى افراد العائلة وكثيرا ما ينتج عنها تعسف من قبل الاخ الاكبر في حق اخوته خاصة الاناث، ولكن من ناحية اخرى فانه يحافظ على وحدة العائلة ويحول دون تفككها ويسهل عملية الانفاق على العائلة وبالتالي يكون شبه تكامل وتكافل

داخل الاسرة خاصة عند فقدان احد مم عمله او اصابته بمرض فانه يكون تحت حماية هذه العائلة كما ان العيش داخل مثل هذا النوع من العائلات يجعل الفرد مضطر على العمل لان العائلة تخضع لتقسيم الادوار بشكل صارم وينبغي الالتزام به

٢.٥ - معايير الضبط ووسائل العقاب.

قبل التحدث عن طبيعة الضبط الاجتماعي عند الاسرة البدوية المستقرة والقائم بمسوولية هذا الضبط داخلها يجدر بنا تحليل مفهوم الضبط الاجتماعي حتى تتوضح لدينا الرؤية .فهذا المفهو تداوله علماء الاجتماع الامركيين في عشرينيات هذا القرن .خاصة فيما يتعلق بالدراسات التي تتناول الانحراف والاجرام .وهذا بالطبع لدى فئات اجتماعية معينة ، كالمهاجرين وابناء الاقليات الاثنية من الطبقات الوسطى .وعليه فان اطار الضبط الاجتماعي ينحصر في تطابق التصرفات والسلوك الفردية مع جملة القواعد العرفية السائدة ، ومنه فان الضبط موجملة الموارد المادية والرمزية التي يمتلكها المجتمع لضامين توافق سلوك اعضائه مع مجموعة قواعد واحكام مبدئية مجاة ويعاقب الخارج عليها (1) وعلى ضوء هذا التحديد نستنتج ان الضبط الاجتماعي يختلف من مجتمع الى اخر معنى ذلك ان البدوي الذى اعتاد الانضباط والانصياع الى مجموعة القواعد والاحكام المتعارف عليها في القبيلة سوف يصطدم بقواعد وأوامر واعراف خاصة لم يالفها من قبل فما موقفه من هذا الضبط الاجتماعي الجديد ؟ لمعرفة ذلك حددنا جملة من السلوكات والتصرفات التي يعاقب الطفل عليها في حالة ارتكاب بعض هذه الممنوعات استقيناها من المجتمع البدوى والبعض الاخر من المجتمع الحضري ، كالسرقة والكذب و عقوق الوالدين واهمال المدرسة ، والسهر خارج البيت، ولمعرفة

---

(1) خليل احمد خليل : مرجع سابق ، ص 127 .

استمرار او تراجع الجدوى من هذه السلوكات غير السوية، وتحديدا درجات من انواع العقاب التي يمكن ان تفرض على من يرتكب هذه الاخطاء، وهو ما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم(40) يبين درجات العقوبات المسلطة على بعض السلوكات المنحرفة .

السوانح المعاقب عليها / طبيعة العقاب	الكذب		السرقة		عدم الاهتمام بالدراسة		عدم تنفيذ اوامر الاولياء		السهر ليلا		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الضرب	12	09	19	14	04	03	06	04	09	06	50	36
التأديب	—	—	—	—	07	05	10	07	13	09	30	21
الحرمان من بعض المزايا	06	04	04	03	04	03	09	06	02	01	25	18
الطرد من البيت	02	01	07	05	01	01	06	04	14	10	30	21
المقاطعة	—	—	02	01	—	—	03	02	—	—	05	04
المجموع	20	14	32	23	16	12	34	24	38	27	140	100

يوضح الجدول ان هناك 14٪ يرون ان ارتكاب فعل السرقة يستحق عقاب الضرب المبرح حتى يمتنع عنها الابن، اما 09٪ ليرون ان عقاب الضرب يستحقه من كانت عادته الكذب،كما ان هناك 03٪ يوجهون عقابا لضرب للابناء الذين لا يبدون اهتماما بالدراسة و04٪ يطبقون على من يعصي اوامر اوليائه، و06٪ يضربون ابنائهم في حالة المبالغة في السهر خارج البيت.

اما عقاب التأنيب فهو موجه من طرف05٪ ضد ابنائهم الذين لا يهتمون بالدراسة و07٪ منهم ظ ضد عاصي الوالدين و09٪ يطبقونه على من يسهر خارج البيت ليلا من ابنائهم.

كما ان جزاء الحرمان من بعض المزايا كما لمصاريف الشخصية او مصاحبة الابن لابيه في النزهة او السماح له بمشاهدة التلفزة، او اللعب مع ابناء الجيران فان 03 % يرون ان ذلك ينبغي ان يفرض على من يقوم بالسرقة و01 % على من يكتشف في سلوكه المدرسي الكذب، و03 % يفرض على الابناء الذين يهملون الدراسة كالغياب او الفشل المدرسي او شكاوى الاساتذة، اما 06 % فيرون ان هذا العقاب يجب فرضه على من لا يمتثل لاوامر والديه و01 % فقط يرى ان هذا العقاب يستهله من يسهر خارج البيت ليلا، اما عقاب الطرد من البيت فهو حسب 05 % ينبغي فرضه على مرتكبي السرقة، و01 % يوجه ضد من لا يتحلى بالصدق او الاهتمام بالدراسة و04 % ضد عاق الوالدين ويسلطون 10 % على من يسهر ليلا.

واخيرا عقاب المقاطعة سواء كانت هذه المقاطعة معنوية كعدم رد تحية الابن من طرف الوالدين او عدم التحدث معه لفترة معينة وفي بعض الاحيان مقاطعة الابن في المأكل اى عدم السماح له بالاكل مع ابيه خاصة وان الطعام في المجتمع البدوى يتم بشكل جماعي حيث تجتمع العائلة حول صحن واحد، فهذه لاشكال من الجزاءات، يرى 01 % انها تكون من نصيب السارق و02 % ضد من يعصي اوامر اهله.

ان الملاحظة الاولى التي يمكن ملاحظتها هي استمرارية البدوى المستقر في تطبيق عقاب الضرب في تقويم سلوك ابناءه حيث توجه بالدرجة الاولى ضد مرتكبي السرقة، ذلك ان البدوى معروف عنه انه يمتاز بدرجة كبيرة من الثقة، ذلك انه قد يبيع قطيعا من الاغنام بمجرد كلمة ولكن هذه الثقة تختفي كليه في من يشتبه في اخلاقه ليس فقط بالنسبة السرقة ولكن ايضا الكذب فهي صفة منبوذة لدى المجتمع البدوى، ونلاحظ من ناحية اخرى عدم اكتراث البدوى بامر الدراسة حيث انه لا يراقب بشكل مستمر ابنائه في المدرسة فهي عادة تكاد تكون جديدة بالنسبة اليه مما لا يكتفي بالتأنيب بالنسبة لبعض المظاهر التي واكبت انتقاله الى المدينة كسهر ابنائه خارج البيت خاصة اولئك الذين لا يمتلكون

جهاز التلفزة فقد يطرد الابن من البيت اذا بالغ في ذلك لانه يعتقد ان السهر في الليل يودي الى الانحراف اي تعاطي الخمر او السرقة. فالبدون حذر اتجاه ما يراه من سلوك في المدينة وبشكل عام فاننا نلاحظ فقدان السيطرة على تربية الابناء في ظل المجتمع البدوي ، فالابناء يتمردون على طاعة الاباء ، واصبح الاب في حيرة من امره ، فهو لا يستطيع العودة الى الحياة البدوية لانه فقد وسائل العيش فيها ، كما ان قيمة وعاداته مهددة بالزوال ، يظهر هذا القلق في مواقفه المتشائمة حول المستقبل الاخلاقي والمهني لابنائه ، يقول " جيل اليوم ضائع ، الم نكن نحن هكذا ".

ان ما يمكن ان يفسر هذا الانفجار الاجتماعي الذى قضى على وحدة العائلة وانسجامها من خلال انتقال الموروثات الثقافية والاخلاقية من جيل الى جيل هو مدى وجود نوع من الروابط التي تصل الابن بوالديه ، ومن ثم اقتضى منا محاولة الكشف على درجة التقارب والتباعد بين الاولياء والابناء حول بعض المسائل التي تمس حياة الابن حاليا ، اى بعد الاستقرار في المدينة حيث النظام المدرسي المختلط ، واحتكاك الابن بابناء الحي في الشارع والذين في الغالب هم من مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية مما يوسع دائرة التاثير على سلوك الابن لاختيار مدى وجود اتصال بين الاباء والابناء ، طرحنا على الاباء سؤالا حول المواضيع التي يمكن ان يناقشها مع ابنائه فما دام السؤال مفتوحا بهذا الشكل فقد تخللت الاجابات توسعا كبيرا لكن جلها كان يتمحور حول قضايا معينة نوردها مختصرة في هذا الجدول :

جدول رقم(41) يبين درجة التقارب والتباعد بين الاولياء والابناء .

درجة الاتصال	لايوجد اى اتصال .		اتصال ينحصر في الامور العائلية		المواضيع الخاصة بعلاقة الرجل بالمراة غير المسموح بها		اتصال مباشر وعام		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
العدد	18	34	33	24	55	39	04	03	140	100

يوضح الجدول ان نسبة 34% يرفضون اى مناقشة مع ابنائهم بينما 24% يحصرون المناقشة مع ابنائهم في الامور العائلية تلك التي تتعلق بحاجياتها او توزيع المهام داخلها او نظامها ، كما ان نسبة 30% يتحاشون التحدث مع ابنائهم في المسائل المتعلقة بعلاقة المرأة بالرجل فذلك يعتبر من المحرمات الممنوع الخوض فيها ، وهناك 03% لايرى مانعا في التحدث مع ابنائه في اى موضوع كان شريطة ان يكون في حدود احترام العلاقة الابوية ، فالشيء المؤكد هنا هو القطيعة الكاية الموجودة بين عالم الاباء والابناء هذه القطيعة اوجدتها ظروف معينة ،فلم يعد البدوى يجد متسعا من الوقت للتحدث مع ابنائه نتيجة طول مدة الشغل كما ان الوقت المتبقي يقسم بين شراء لوازم البيت ومشاهدة التلفزة ، هذه الاخيرة فرضت على الاسرة البدوية سلوكا متناقضا ،بحيث اصبح من الاشياء الضرورية في البيت، لكن مع وضع حاجز بين النساء والرجال اثناء المشاهدة ، فغالبا ما تشاهد المرأة التلفزة من خارج البيت اى من الباب او النافذة ،وعند البعض نجد نوعا من المساكن التي تكون فيها بيتا واسعا في وسطه جدار به باب تسمح الولوج داخل القسم الاخر من البيت، ما البيت بكامله يحتوى بابا واحدا فقط ، فتجلس النساء في القسم الاول من البيت والرجال في القسم الثاني فيتمكن الجميع من مشاهدة التلفزة ولكن منفصلين عن بعضهما البعض ، فالبدوى المستقر مازال متحفظا ومترددا من القيم المتشرة ويبدى مقاومة ،وان كانت لم تحد نفعا ،امام التحولات السريعة في مجتمع المدينة .

المحور الثالث:

المعتقدات ووظيفتها الاجتماعية .

قبل التعرض الى جوانب التغير في مجال المعتقدات نرى من الضروري التطرق الى قضايا اثارها التراث السوسيولوجي في موضوع المعتقدات،لقد تناولت العديد من البحوث مسألة حساسية المعتقدات بالنسبة الى الواقع،ذلك ان المعتقدات تسعى دوما الى توجيه واقعنا وفرض سلوكا معينا ازاء هذا الواقع وغالبا ما يتعرض الانسان الى صراع بين الواقع المفروض عليه والمعتقد الذي يحمله ،كما تناولت دراسات اخرى الطابع النفسي النسبي الذي ترتديه المعتقدات ودور المعتقدات ووظيفتها في تحديد :

ا ـ اهداف الفعل الفردي والفعل الاجتماعي .
ب ـ الوسائل المثلى لتحقيق الاهداف .
ج ـ العلاقات بين البنى الاجتماعية والمعتقدات.
د ـ دور المصالح في تقرير المعتقدات او مدى فاعلية النظرية النفعية المعتقدات.(1)

اذن فان المواضيع التي عولجت في اطار علم الاجتماع في هذا المجال عديدة ،وبنفس هذا التعدد نلاحظ وجود اختلاف حول تحديد مفهوم المعتقدات،فهناك من يرى ان المعتقدات هي في جوهرها تمثلات للواقع شوهتها تأثيرات المصالح ،وهذا هو الاتجاه الماركسي والماركسيون او التموترات بالنسبة لفرويد،فهذا الرأي يكون صالحا في بعض جوانبه ،اذ ان المعتقدات بشكلها العام هي دليل تقويم وفصل هي" ادلة منتخبة أوأداة مصطنعة ،حسب الاحوال ، من قبل فاعلين اجتماعيين وبمقتضى شخصيتهم وموقعهم ومحيطهم وهو اتجاه دوركايم(2)، فهذا التحديد الاخير يبين ان المعتقدات هي من نسيج البشر لكنها تستجيب لحاجيات الانسان بشكل ارادي،وتعتبر

(1) احمد خليل احمد : مرجع سابق ،ص 197 .
(2) نفس المرجع ، ص 198 .

انعكاسا للواقع الاجتماعي ولذلك فان معالجة اى معتقد يقتضي تناوله في سياقه الاجتماعي والتاريخي باعتباره متوارثا .

الاعتقاد في الاولياء

ان المجتمع البدوى مثل المجتمعات الاخرى قد كون جملة من المعتقدات اثناء سعيه لتسخير الجانب الايكولوجي المحيط به ،هذه المعتقدات عبارة عن تصورات و تفسيرات للظواهر التي تحيط بالبدوى ونظرا لكونه لايملك تفسيرا علميا للكثير من الظواهر فانه يلجأ في الغالب الى تفسيرها بقوى مجردة يعتقد انها هي المتحكمة فيها ،ولذلك ينبغي اعتبار المعتقدات بمثابة اجابات عن اوضاع ونفعاليات ،فلا ينبغي اصدار حكم مبا شر في جمود ما او استمرارها . فالفرد يواجه صعوبات جمة عندمحاولة التخلي عن معتقد معين حتى ولو كانت لديه ادلة عن عدم صحة المعتقد ، ولاختيار هذا الافتراض استعنا ببعض المتغيرات لمعرفة مدى استمرارية بعض المعتقدات لدى البدو ون المستقر، كالاعتقاد في الاولياء وزيارة الاضرحة والمشعوذين وانتشار الطب الشعبي ، بالاضافة الى تركيز ملاحظتنا على بعض المعتقدات الاخرى التي حاولنا فك رموزها ففيما يتعلق بالاعتقاد في الاولياء طرحنا على المبحوث سؤالا قياسيا يتمثل في معرفة درجة التشبث في الاوليا، وذلك من خلال التردد على اضرحتهم فتحصلنا على المعطيات التالية :

جدول رقم (42) يبين ارتياد المبحوث على اضرحة الاوليا،

التردد على الاضرحة	لا تتردد عليها		تتردد عليها احيانا		الارتياد عليها بانتظام		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
المجموع	38	25	78	56	27	19	110	100

ان نسبة 25 % اكدوا انهم لا يزورون اضرحة الاوليا، و56 % ......

يـزورونهـا احيـانا بينمـا ٤٩٪ يـؤكـدون زيارتهـم المنتظمـة لـهـذه الاضرحة والتبـراك بهـا، ان الاعتقـاد في الاوليـاء وان لـوحـظ نـوع مـن التـراجع فـي عـادة التـردد عليهـا بشكـل مـنتظم،ذلك ان البـدوى يحمـل نـوعـا من التـقديـر لهـؤلاء الاوليـاء ومـن اشـهـر الاضـرحـة التي يتـردد عليها البـدو المـستقرين في قصـر البخـارى هـو ضـريـح الشيـخ مـوسـوم، هـذا الشيـخ اصله غيـر بـدوى الا انـه حـظـي بمبيت حسـن لـديهـم،فـاصـله من غـريـب دوار واحـد شـرفـة بـالاقـرب مـن مـليانـة التي ينتشـر فيهـا عـادة زيـارة الاضـرحـة كثيـرا حيثيـقـام فيهـا حتى النشـاط التجـارى الـذى تـقـوم بـه النسـاء.

قـدم الشيـخ مـوسـوم الى المـنطقـة مـن اجـل تعليـم القران حيث اسـس زاويـة لتلقيـن سكـان المـنطـقـة العلـوم الاسـلاميـة،وقـد تتلمـذ في زاويتـه العـديـد مـن الجـزائريـيـن مـن مختلـف جـهـات القطـر، يـذكـر بعـض الشيـوخ الكبـار انـه كـان لـمحـمـد ميسـوم عـدة كتب قضى عليهـا الاستعمـار قبـل ١٨٨٣ تـاركـا وراءه بعـد مـوتـه اثـارا وتـراثـا متداولا بشكـل شـفـوى، لكـون ان مـدينتـه بـوغـار قـد احـرقت مـن طـرف الجـنرال " بـاراقـي ديـلـر" فـي ٢٣ مـاى ١٨٤١، باعتبـارها قـاعـدة لـلاميـر عبـد القـادر كمـا يـؤكـد كبـار السـن، وكـانت العـاصمـة المتنقلـة لـه، يـقـع ضـريـح الشيـخ مـن الجـهـة الغـربيـة لقصـر البخـارى تقـام فيـه كـل سنـة مـع بـدايـة فصـل الصيـف احتفـالات كبيـرة تستمـر لاكثـر مـن اسبـوع ويسمـى هـذا الحـفـل بـالـعزردة حيث يجمـع لـه الامـوال والـدقيـق مـن سكـان المـنطقـة وتـذبـح الـذبـائح وتتوزع الاطعـمـة عـلى الجميـع وتقـوم في تلك الايـام النـذور مـن الـذيـن يعتقـدون ان الـوالي قـد استجـاب لـطـلبهـم وذلك انهـم يظنـون ان الـولـي الصـالح لـه القـدرة عـلى الاشـفـاء حيث يتـولـى استقبـال الـزائـريـن (الـوكيـل) الـذى يكـون بمثـابـة الـوسيـط بيـن الـولـي الصـالح المـتـوفـي والـزائر، فـالمـرأة العقيمـة تـأتـي الى الضـريـح وتطـوف عليـه مـرتيـن وتـدعـو مـن اللـه ان يـستجيـب لـهـا ويرزقها الاطـفـال وتـنـذر شيئـا مـا تمنـحـه لـضـريح الشيـخ في حـالـة الاستجـابـة وفـي غـالب الاحيـان يكـون الـنـذر مـن الاضـحيـات كـالمـاعز والاغنـام، كـمـا يعتقـد البعـض ان الطـواف حـول الضـريـح يشفـي بعـض الامـراض التـي

تمييز الاطفال التي يعجز الطب عن مداواتها، فهناك قبة تحتوي
على اربعة نوافذ صغيرة جدا يدخل منها الابن مرتين
بينها عدة امراتين ثم يوضع مبلغ من النقود حسب المستطاع
(كيلها صفات النية) وتطلعة قماش وتاخذ المرأة بعض الاشياء
من الضريح وغالبا ما يكون كمية من الملح (ملح الشيخ) واخذ
هذا الملح يدل على ولاء الشخص واخلاصه للولي الصالح وذلك
اننا نجد هؤلاء البدو عندما يحرم شخص ما على الطعام
يأبى بعضهم عليه قائلا (الملح ملحنا وخدعنا) بمعناه طعامنا
وعيشنا. ضريح ثاني الشيخ البخاري يقع في الناحية الجنوبية لسور
الصفا تحته يقام فيه ايضا ما يسمى بالمزرده كل بداية صيف
يحضر مالكي المتعاقبين بهذا الواقي، ويعتقد ان الشيخ البخاري
من اصل مغربي اقام في قصر البخاري منذ القدم، وهناك من
ينسب تاسيس المدينة الى هذا الشيخ حيث سميت باسمه
(قصر البخاري) قدم الشيخ اليها بهدف نشر تعاليم الاسلام وعند
وفاته اقام اهله على ضريحه قبة بمرور الزمن اصبح الناس
يزورون ضريحه ويتبركون به بتقديم النذر والذبائح. والقيام
ببعض الطقوس عند ضريحه وتعلق على القبة المبنية على
ضريحه قطع من مختلف الاقمشة .

هذا فيما يتعلق بالاولياء الذين توفوا، اما بعض الاحياء
منهم وهم قليلون فيقدمون للزائرين احجبة مكتوبة بالصمغ
وهو شبيه بالحبر لكنه مستنتج من عملية حرق اصواف الاغنام
ثم يوضع داخل زجاجات وتتم عملية الكتابة بريشة حمامة
او قطعة قصب مدببة على شكل قلم، ولا يستعمل القلم العادي
المصنوع، ويكون محتوى الاحجبة ايات قرانية وتعويذات تكاد تكون
غير مفهومة تماما لانها خاصة بالطالب نفسه ثم يلف على
الورقة جلد الماعز ويوضع تحت ابط الشخص صاحب الحجاب
بحيث لا يفارقه الا عندما تنتهي المدة التي يحددها الشيخ، وعند
ذاك تدفن تحت التراب او تحرق، ولا يستخدمها الا صاحبها .
ان هذه الاحجبة تستخدم لاغراض عديدة، فالاغراض

المجسمة بوضعه الوالي بعض المعاقير توضع في كأس ماء يضاف اليها (الكتبة) وهي الورق الذى كتب عليه ثم يشرب منه المريض كما يستخدم لابعاد المجنون او الحسد او ظلما او طلبا للحب بين الرجل والمرأة ، ولا زالت معتقدات اخرى تنتشر كالاعتقاد في الانفس الشريرة التي تملك عيونا حادة ، اذا نظرت الى ملكية فخمة لشخص ما او الى ابنائه سوف يلحقه ضرر ... بذلك الشيء الذى مال اليه قلب الشخص الشرير ووقعت عيناه عليه ، فقد وجدنا لدى العديد من العائلات المستقرة عادة تلطيخ الاطفال الصغار بالسخام الفحم حتى يبعد الحسد عنهم كما يلاحظ على شرفة بعض البنايات التي هي في طور الانجاز او قد انجزت لتوها ، اما النباتات الشوكي او قرون الاغنام ، فالبدوى يعتقد ان الشوك والقرون يبعدان عيون الحسود وهي حجاب معنوى يقي من الحسد ، كما تستخدم عند مدخل بعض البيوت القصديرية التي يملكها البدو والمستقرين ، الصفائح التي توضع في اسفل رجل الحصان او الحمار ، وهذا يعني رد الشر بشر مقابل ، فالشوك وخزه مؤلم ، كما ان الاغنام تستخدم قرونها للدفاع عن نفسها وكذلك بالنسبة للصفائح .

ولا يزال البدوى المستقر يعتقد في الجن وامكانية اصابته البشر اذ يعتقدون ان اماكن الجن هي التي ترمى فيها القاذورات بكثرة وتوجد ايضا في المقابر وكل من يمر بهذه النواحي ليلا قد يتعرض الى الاصابة بالجنون فيصبح سلوكه غير طبيعي ، فيتكلم كلاما غريبا ثم ينطوى على نفسه ، فهم يعتقدون انه يتحدث مع الجن والمصاب لا يتعرض له احد حتى ولو قام بالحاق الضرر بغيره ، فهذه قاعدة عرفية تتطابق مع القاعدة القانونية التي تسلط العقاب فقط على العاقل .

ان درجة الاعتقاد في الاولياء تتأثر بمتغيرات اجتماعية اخرى بحيث تتفاوت درجة الاعتقاد باختلاف هذه المتغيرات فنجد من هو مرتبط اشد الارتباط بهذه المعتقدات بينما نجد البعض لا يبالون اى اهتمام بها ، فقد يؤثر عامل الجنس والسن وكذلك المستوى

التمايمي في تصور الفرد لها ، وعليه حاولنا معرفة طبيعة هذه العلاقة التي قد تحدث تغيير في معتقد ما ، فمتغير السن قد يكون عاملا حاسما في توجيه هذا التصور ، ذلك ان كبار السن قد عايشوا الحياة البدوية ومعتقداتها بينما الشباب ابنائهم لم يمارسوا البداوة ، الا الشباب الذين بعد استقرارهم حديثا وهذا ما سوف يوضح لنا الاختلاف الموجود بين الاجيال المتعاقبة في قبول تصورات ومعتقدات غيبية وكذلك مدى انتقالها من الاباء الى الابناء باعتبارها موروثات الاصل الاجتماعي البدوي وهذا ما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم (43) يبين مدى تاثير متغير السن في الاعتقاد في الاولياء .

فئات الاعمار المتردد على الاضرحة	20 – 30		31 – 40		41 – 50		51 وما فوق		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
عدم الزيارة	13	13	14	10	03	02	—	—	35	25
زيارتها في بعض الاحيان	10	07	17	34	17	12	04	03	79	56
زيارتها مرارا	05	04	03	02	10	07	09	06	27	19
المجموع	33	24	64	46	30	21	13	09	140	100

يشتمل الجدول على مستويات اربعة من الاعمار فهناك الفئة الاولى التي تتراوح اعمارها بين 20 و 30 سنة ، اما الفئة الثانية عمرها يتراوح بين 31 و 40 سنة ثم الفئة الثالثة ينحصر عمرها بين 41 و 50 سنة ، واخيرا الذين يفوق سنهم 51 سنة .

فالفئة الاولى الذين يبلغ سنهم ما بين 20 و 30 سنه ، يوجد من بينهم 13 % يتوكدون عدم زيارتهم للاضرحه اما 07 % يزورونها احيانا بينما 04 % يداومون على زيارتها ، اما الفئة التي تتراوح اعمارهم ما بين 31 و 40 سنة ، فان 10 % منهم لا يعتقدون في الاولياء بينما 34 %

يعتقدون في الاولياء الصالحين ويزورون اضرحتهم احيانا اما 20٪ يترددون عليها بشكل دائم.

في حين الذين تتراوح اعمارهم ما بين 41و50 سنة فمنهم 20٪ لا يزورون اضرحة الاولياء و12٪ يعتقدون في الاولياء، لكنهم يزورونها احيانا وهناك فقط 70٪ زيارتهم للاضرحة منتظمة، واخيرا من بين الذين يفوق سنهم 51 سنة لا نجد من بينهم من لا يعتقد في الاولياء بحيث نجد 30٪ يزورونها احيانا و60٪ تردد هم عليها منتظم ودائم.

ان الاغلبية الساحقة من الشبا بيلاحظ تراجعهم عن معتقدات الاجداد، ولكن هذا لا ينفي تردد البعض منهم عليها وذلك بشكل غير منتظم، فهم بالرغم من عدم زيارتها فلا يجرأ أي احد منهم على المساس بشخصية الاولياء، ثمة ملاحظة اخرى تتعلق بتمسك كبار السن بهذا المعتقد، فالتغير الذي حدث في عدم اكتراث الشباب في هؤلاء الاولياء يعود إلى عدة تأثيرات ساهمت بشكل مباشر اوغير مباشر، فالتوعية الدينية من قبل بعض الائمة الشباب المتخرجين من الجامعات ويلقون دروسا في المساجد ساعدت على التقليل من قيمة اضرحة الاولياء في الاستشفاء او القدرة على تقديم شيء للاحياء، كذلك فان فئة الاعمار التي تتراوح اعمارهم ما بين 20 و30 سنة فهم من مواليد فترة الاستقلال، وهذا يعني ان اغلبيتهم تلقى تعليما في المدرسة، حتى ولو كان على الاقل المستوى الذي يحملونه أبتدائيا ويتضح كل ذلك من المعطيات الواردة في الجدول التالي :

جـــدول رقـــم (44) يـوضـح مـدى تاثيرا لمعتقـدات بالمستوى التعليمي .

المستوى التـردد على الاضرحة	امـي ت	امـي %	ابتـدائي ت	ابتـدائي %	متوسط ت	متوسط %	ثـانـوي ت	ثـانـوي %	جـامعي ت	جـامعي %	المجمـوع ت	المجمـوع %
عدم زيارة الاضـرحـة	02	01	16	16	11	02	04	03	02	01	35	24
زيارتها احيانا	20	21	36	36	08	06	03	02	01	01	78	56
زيارتها مرارا	10	07	03	03	05	04	08	06	01	01	27	20
المجمـوع	12	29	55	55	15	18	15	11	01	03	140	100

يظهر من معطيات الجدول ان من بين الذين لا يقراون ولا يكتبون نسبة 10% لا يترددون نهائيا على الاضرحة و 21% يزورونها احيانا و 67% زيارتهم لها (للاضرحة) دائمة ومنتظمة ، اما الذين لديهم مستوى تعليمي ابتدائي بما فيهم الذين تلقوا حفظ القران في المساجد ويعرفون الكتابة نجد 11% لا يزورون هذه الاضرحة بينما 29% يترددون عليها احيانا لاداء بعض الطقوس و 60% زيارتهم منتظمة ودائمة ، كما ان من بين الذين لديهم مستوى تعليمي متوسط 69% لا يعتقدون في الاولياء و 60% يعتقدون في الاولياء ، لكن زيارتهم لها غير منتظمة ، و 64% زيارتهم منتظمة ، ومن بين ذوي المستوى الثانوي 63% لا يزورون الاضرحة ، في حين 20% يقومون بزيارتها احيانا و 60% يترددون عليها بشكل دائم ، واخيرا وهم اقلة ذوي المستوى الجامعي 60% لا يزورونها ابدا ، اما البقية اي 10% زيارته لاضرحة الاولياء نادرة ، وكذا هناك 10% يزورها بشكل دائم .

ان اهم ملاحظة تستوقفنا في هذه المعطيات هي الاعتقاد التام في الاولياء من قبل الذين لم يتلقوا اي تعليم ثم يبدأ نوعا من التراجع في هذا الاعتقاد كلما ارتفع المستوى التعليمي ، الا ان نسبة المعتقدين في الاوليا ، ترتفع عند الذين لديهم المستوى التعليمي الثانوي بيد ان تأثيره غير فعال ذلك ان هذا الاعتقاد لا يزال منتشرا بين

البدو المستقرين وان كانت الاكثرية منهم لم تعد زيارتهم لاضرحة الاولياء منتظمة، مما عدا كبار السن الذين ترسخت في ذهنياتهم العادات والتقاليد البدوية واصبحت جزءا من حياتهم، وهذا يتطابق مع ما ذهبنا اليه في افتراضنا ان المعتقدات والقيم بطيئة التغير من جهة، كما ان كبار السن اي الجيل الاول من البدو المستقرين اكثر تمسكا بهذه المعتقدات.

ان استقرار البدوي في المدينة ادى الى تغير متفاوت في القيم حتى بين الجنسين فيما يتعلق بالمعتقدات فما هي مستوياته هذا الاختلاف؟ وهذا ما سوف نوضحه من خلال المقارنة بين الجنسين حول مدى تقبلهم للمعتقدات السائدة والخاصة بالاضرحة الاولياء

جدول رقم (45) موقف الجنسين من زيارة آضرحة الاولياء

التردد على الاضرحة	عدم زيارتها نهائيا		زيارتها في بعض الاحيان		زيارتها بانتظام		المجموع	
الجنس	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	27	29	67	70	01	01	94	100
الاناث	04	17	12	26	20	57	16	100
المجموع	30	35	79	56	27	19	110	100

يبرز من معطيات الجدول ان ٢٩ ٪ من الذكور لا يزورون اضرحة الاولياء، وان ٧٠ ٪ يزورونها بشكل غير منتظم و٠١ ٪ فقط يترددون عليها بشكل منتظم بينما نلاحظ لدى الاناث وجود ١٧ ٪ لا يعتقدون في الاولياء و٢٠ ٪ يزورونها بشكل غير منتظم في حين ٥٧ ٪ قد اعتدن الزيارة المنتظمة لهذه الاضرحة.

ان الملاحظ هو التراجع الكبير في الانقياد للمعتقدات بشكل منتظم ومستمر، فذلك الالتزام الذي يبديه البدوي ازاء معتقداته يظهر انها اصبحت يكتفي فقط بالارتباط عليها احيانا او في الحالات القصوى كالمرض الحاد او تحت ضغط الاصدقاء والاولياء بينما نجد الذكور عكس الاناث فهن اكثر تشبثا بهذه المعتقدات

ويبدين احتراما كبيرا للاولياء، اما فيما يتعلق باصناف النساء الاكثر اعتقادا في الاولياء من النساء العوانس طلبا لا حجبة الشيخ الولي، وفي كثير من الاحيان يلجأن الى العرافات التي تخبرها من السحر الذى حال دون زواجها، وتقدم لها طرقا سحرية للمداواة اما الصنف الثاني من النساء يأتين الى اضرحة الاولياء او يقصدن الطالب من اجل مداواة بعض الامراض التي تصيب ابنائهن اما الصنف الثالث فهن المسنات يزرن الاضرحة تبركا و تقليدا للاجداد، ولا تقتصر زيارة الاضرحة عند هذه الاسباب بل تتعداها الى وظائف اجتماعية اخرى حيث لوحظ مرا فقة النساء لبناتهن حتى تتعرف عليها النساء الاخريات قصد تزويجهن، اما بالنسبة للرجال فهي مناسبة للالتقاء بالاقارب خاصة من بني قبيلته لتبادل الاخبار والاطلاع على اوضاع تربية الماشية في البادية، وتقديم معلومات عن مراكز الرعي الجيدة والاسواق، خاصة في الظرف الراهن الذى لوحظ فيه ازمة بأتم المعنى نتيجة الجفاف والامراض حيث وصلت ماشيتهم الى اطراف مدينة البليدة .

ان موضوع التغير والثبات في مجال المعتقدات يصعب حصره والتعمق فيه بما فيه الكفاية ذلك ان موضوعا متسعا جدا من جهة لانه يشمل كل جوانب الحياة، ومن ناحية اخرى يصعب تفكيك وفهم بعض الرموز التي تتضمنها المعتقدات ما لم نتبع السيرورة التاريخية لظاهرة وهذا يصعب على الباحث الاجتماعي لانه يجد نفسه محشورا في اختصاص اخر نظرا لعدم وفرة هذه الدراسات التاريخية بشكل كافي ولذلك تتعقد مهامه ولكن ما تعرضنا اليه ميدانيا يمكن ان يوجهنا الى بعض الاستنتاجات الهامة فيما يتعلق بجوانب التغير والثبات في المعتقدات عند الجماعات البدوية المستقرة في قصر البخاري .

لا تزال جوانب عديدة من ثقافة البدو المستقرين تتأثر ببعض المعتقدات الدينية كالاعتقاد في الاولياء

الذين يحظون باحترام كبير فالاسماء التي تطلق عليهم تدل على هذا الاحترام" كالشيخ، سيدي، المرابط" كما تحاك شخصية هؤلاء ببعض القصص الخارقة للعادة والتي تدل على مكارمهم وحسن تدينهم او حتى الاعتقاد في قدرتهم على احداث بعض المعجزات او الحاق الضرر على كل من يمس شخصيتهم بالسوء حتى في عدم وجودهم ويقوى هذا الاعتقاد نتيجة تداول الناس لها والتحدث بها واكثر من ذلك التفاخر بها نظرا للاختلاف الموجود بين القبائل الاخرى فهو اذن اكثر من مجرد مداوى للامراض فله وظيفة اجتماعية خاصة ينهي الخلافات بين اعضائها ويحافظ على وحدة القبيلة وتمسكها بتقاليدها كما يقوى رابطة التكامل الاجتماعي، فالحفل الذي يقام سنويا تحت ما يعرف بالزردة تذبح فيه الذبائح وتقدم الاطعمة للجميع فيستفيد منها الفقراء والمحتاجين كما نجد ان البدوي عندما يستقر يشتد ارتباطه بهؤلاء الاولياء ليحمي نفسه وحتى لا يحس بالعزلة الاجتماعية التي تفرضها عليه الحياة في المدينة .

كما يؤثر الاعتقاد في الاولياء تاثيرا واضحا في الحياة الاجتماعية ويظهر ذلك في كون الجماعات البدوية المستقرة يسلكون مسلكا لا يؤدي الى اغضاب اي ولي من هؤلاء الاولياء وهو اكثر انقياد لها بالرغم من ان حياته في المدينة تقتضي الانقياد للقوانين الوضعية وهذا ما يفسر خرق البدو الكثير من المبادئ المنظمة للحياة الاجتماعية في المدينة وعدم قبول الانصياع لها بسيطرة القوى الغيبية على سلوكه وتصوراته .

ان الشيء المهم ايضا هو الاهتمام الكبير بالدين من طرف هؤلاء الشيوخ وذلك من اجل التحكم الروحي في افراد القبيلة ففي الوقت الذي يشاهد المجتمع البدوي تفككا في بنياته نرى هذا الحضور الديني كمراقب ومرشد روحي، فالجماعات البدوية المستقرة في قصر البخاري قد تعرضت جوانب عديدة من مستحدثاتها الى تغيرات بطيئة نظرا لوجود عوامل عديدة تعيق تسارع هذا التغير كتوسطا لمنطقة ما بين الحياة البدوية والريفية

من جهة ومن جهة اخرى الحياة الحضرية ، فهي منطقة انما اتصال وامتداد للحياة البدوية ، وحتى ان التغيرات البسيطة التي سبق وان تعرضنا الى نماذج منها ، فان طبيعة التغير يتسم بانه تغيير سطحي لا يمس البنى الفكرية أو التصورات الأساسية عن الكون المعتقدات متوجه بنظرة اقرب الى البداوة منها الى الحياة الحضرية وحتى في مجالات اخرى فان الروح القبلية تكيفهم مع النظم الادارية المحلية الجديدة كتخييرهم الاشخاص الذين ينتمون الى عشيرتهم وعدم التقيد بقوانين البلدية فيما يخص الالتزام بقوانين العمران والنظافة .

باعتبار ان المعتقدات بمثابة اجابات عن اوضاع تفاعلية فانه على ضوء ما سبق يصعب الحكم على جمودها واستمرارها او اختفائها ، ذلك ان البدوي المستقر يعاني على الصعيد الفردي صعوبة التخلي عن معتقد معين حتى وان بدت له في بعض الاحيان عدم صحة معتقد ما ، وهذا ما يفسر اضطراب اضطراب وتردد البدوي المستقر عندما يجد نفسه في مواقف تتعارض مع تصوراته .

المبحث الثالث: الاندماج الاجتماعي .

المحور الاول : درجة الاحتكاك بين البدوي المستقر ومحيطه .

يجد البدوي المستقر في المدينة نفسه محاطا بجماعات يجهل عنها الكثير خاصة وان البدوي لم يعد في نظر الحضري ذلك الشجاع الذي يفرض حمايته على سكان المدن من الخزوات ـ مقابل قيمة معينة من الثروة ، كما لم يعد مهاب الجانب في ظل سيادة السلطة وانتشار الامن بمختلف انواعه والتي هي تابعة للدولة الحديثة ، بل اصبح يشعر داخليا على انه فردا مهزوما فقد ثروته وكيانه ولم يعد يقوى على ممارسة حياته البدوية بمعزل عن سكان المدينة ، وفي المقابل نجد ان الحضري اصبح لديه احساس بالتفوق، فهو يفهم كل شيئ يحيط به ،كما انه يحسن استخدام والتعامل مع الاشياء المحيطة به انطلاقا مما يلاحظ من استهزائه بلهجة البدوي ولباسه ، وازاء هذا اللاتكافؤ في الاوضاع الاجتماعية لكل منهما ،هل البدوي سوف ينطوي على نفسه ومن ثمة فانه لايصمد امام الحياة الحضرية التي تفرض عليه التعامل والتفاعل معها وفق معايير جديدة عليه تفترض علاقات خاصة فيما يخص علاقة الجيرة ومن يحيطون به في العمل والسوق لتحديد سلوكاته ،وعليه فقد حاولنا معرفة فيما اذا كان البدوي لديه علاقات بجيرانه انطلاقا من مؤشر الزيارة وذلك ما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم (46) يوضح درجة التقارب والتباعد بين المستقر ومحيطه من خلال زيارة الجيران .

زيارة الجيران	عدم الزيارة		زيارتهم في المناسبات		تبادل الزيارات دائما		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
العدد	50	36	76	54	14	10	140	100

منها ان 36% من البدو المستقرين في قصر البخاري لا يقومون بتاتاً
بزيارة اجيرانهم وهذا يتعلق بالذين يعيشون على شكل تجمعات
قريبين من بعضهم البعض، اما 54% تنحصر زيارتهم لجيرانهم في
المناسبات، كالاعياد والافراح او بمناسبة مرض او مولود جديد، في حين
10% يقومون بزيارات دائمة ومنتظمة لجيرانهم وقد نجد من النساء
ممن لا يمر يوماً الا وزرن بعضهن البعض للتحدث او للحصول على
حاجاتهن من الجيران، اذ البدوي المستقر هنا مطالب بانشاء
علاقات مكثفة مع محيطه حتى يضمن اندماجه بشكل اسرع، وهذا
ما يفسر كون نصف افراد العينة يقومون بزيارات لجيرانهم، اما
الكيفية التي تتم بها هذه الزيارات فلا زالت تتم بطرق تقليدية
اي بدون اشعار مسبق كما هو معمول به في المدينة، كما ان الزائر
يلزم باخذ هدايا رمزية للبيت الذي يزوره وهي غالباً ما تكون
من المواد الغذائية كالسكر او القهوة او الشاي او الحلويات المشتراة
من السوق، وتكون هذه الزيارات مكثفة في حالة ما اذا كان احد
الجيران لا يملك تلفزة فتتجمع عدة عائلات امام جهاز التلفزة،
لكن هذه الظاهرة بدأت تزول نتيجة انتشاره بين جل العائلات
تقريباً، وتكتسي مثل هذه الزيارات طابع اجتماعي هاماً جداً،
بحيث توفر للبدوي الاطمئنان على وجوده في المدينة، فمن
خلالها يستطيع التعرف اكثر على مشاكل المدينة وكيفية مواجهتها
وخاصة اذا كانت احدى العائلات بدوية الاصل استقرت منذ زمن
طويل بحيث تنقل تجربتها الى العائلات البدوية الجديدة وتزودها
بالمعلومات الهامة التي تمكنها من تسهيل سبل العيش في المدينة
وتظهر مدى حاجة البدوي امثال هذه العائلات من خلال تاثير
تاريخ الاستقرار في درجة اتصال البدوي بمحيطه الاجتماعي حيث
ان تحديد ذلك سوف يبرهن على صدق افتراضنا ان الاستقرار
الجماعي يساعد اكثر على الاستقرار النهائي للبدوي ويضمن له
اندماجاً تدريجياً في المجتمع المحيط به، حيث تساعد عدة عوامل
في تدعيم تثبته في المدينة، فبالاضافة الى امتداد المعتقدات
البدوية الى المدينة من خلال اقامة الطقوس الموسمية امام
اضرحة الاولياء، وكذلك وجود اقارب له في المدينة، فان الزيارات

لا تقل … في تدعيم هذا الاستقرار وجعله اكثر مرونة وذلك

ما يبينه الجدول التالي :

جدول رقم (47) يبين العلاقة بين درجة الاتصال بالجيران وتاريخ الاستقرار .

تاريخ الاستقرار	قبل 1962		مابين 62-1972		بعد 1972		المجموع	
درجة الاتصال	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
لا توجد زيارات متبادلة	02	01	25	18	23	17	50	6
زيارات في المناسبات فقط	13	12	46	33	13	09	76	54
زيارات دائمة	03	02	[illegible]	04	06	04	14	10
المجموع	22	15	76	55	42	30	140	100

يتضح من الجدول انه يوجد من بين الذين استقروا قبل 1962 ، و 01% لا يقوم بأي زيارة لجيرانه اما 12% منهم يقومون بزيارات متبادلة في المناسبات و02% زيارتهم لجيرانهم دائمة ، اما الذين كان استقرارهم مابين 1962و1972 و هناك 18% لا يقومون بزيارة … جيرانهم ، … 33% زيارتهم لجيرانهم مرتبطة بالمناسبات ، اما 04% زيارتهم دائمة لـ … جيرانهم ، اما الذين استقروا بعد 1972 فنلاحظ ان 17% لا يزورون لاقاربهم كلية ، و 09% يزورونهم فقط في المناسبات على عكس 04% الذين يداومون على زيارة اقاربهم من الجيران .

فما يمكن ان نلاحظه من المعطيات … استمرار الزيارات الخاصة بالمناسبات حيث انها تشكل … موحدة لاستمرار اتصال … المستقر بمحيطه الاجتماعي وهذه الظاهرة كانت سائدة … بشكل مكثف لدى الذين كان استقرارهم قبل 1962و1972 حيث كانت تطغى العادات والتقاليد الاصيلة في المجتمع الكلي حتى من سكان المدينة اما في الظرف الحالي نلاحظ سيطرة الفردية والانغلاق

وذلك ما يوضحه الجدول التــــالي

جدول رقم (18) يبين العلاقة بين درجة الاتصال بالجيران وتاريخ الاستقــرار

تاريخ الاستقرار	قبل 1962		مابين 62 972		بعد 1972		المجمـوع	
درجة الاتصال	تكرار	٪	التكرار	٪	تكرار	٪	التكرار	٪
لاتوجد زيارات متبادلــة	2	1	25	18	23	17	50	36
زيارات في المناسبات فقط	13	12	46	33	13	09	76	54
زيارات دائمة	03	02	05	04	06	04	14	10
المجمـوع	22	15	76	55	42	30	140	100

يتضح من الجدول انه يوجد من بين الذين استقروا قبل 1962 ـ 1٪ لا يقوم باي زيارة لجيرانه اما 12٪ منهم يقومون بزيارات متبادلة في المناسبات و 2٪ زيارتهم لجيرانهم دائمة ، اما الذين كان استقرارهم مابين 1962 و 1972 وهناك 18 ٪ لا يقومون بزيارة جيرانهم اما 33 ٪ زيارتهم لجيرانهم مرتبطـة بالمناسبات اما 4٪ زياراتهم دائمة لجيرانهم اما الذين استقروا بعد 1972 فنلاحظ ان 17 ٪ لا يزرون اقاربهم كلية و 9 ٪ يزورونهم فقط في المناسبات على عكس 4٪ الذين يدمون على زيارة اقاربهم من الجيـــران .

فما يمكن ان نلاحظه من المعطايات السابقة استمرار الزيارات الخاصة بالمناسبات حيث انها تشكل الوسيلة الوحيـدة لاستمرار اتصال البدوي المستقـر بمحيطـه الاجتماعـي ، وهذه الظاهرة كانت سائدة بشكل مكثف لدى الذين كان استقرارهم قبل 1962 و ما بين 1962 و 1972 حيث كانت تطغى العادات و التقاليد الاصيلة في المجتمع الكلي حتى من سكان المدينة اما في الظرف الحالي نلاحظ سيطرة الفردية و الانغلاق على الذات نتيجة الكثافة السكانيـة التي بدأت ترتفع زد على ذلك التنوع البشري الذي انتشر في قصر البخاري ، حيث عبرعن ذلك

احد السكان القدماء في قصر البخاري بقوله : (ترى في اليوم الواحد اصناف متعددة من الاشخاص الجدد فلا تستفيق في الصباح الى على بيت قصد يبني جديد في الحي) فانتزعت بذالك الثيقة بين الجيران و ذهب معه ذلك المبدأ الذي يؤمن به البدو و هو قولهم (الجار اوصى عليه الرسول)؟ و(الجار القريب خيرمن الاخ البعيد) وانتشر بدلا من ذلك التحفظ و الارتياب ازاء الجار و يظهرو ذلك في بعض السلوك حيث يمنع الجار من فتح نافذة مقابلة لمسكن جاره ، و هي ظاهرة متطابقة مع التنظيم العمراني الحديث ،وياخذ البدوي المستقر حديثا احتياطات ازاء جاره من خلال بناء حائط فاصل بينه وبين جاره ، وعندما تكون هذه الاسوار بنيت من قبل البلدية و فقاللعمران الحديث ، ياخذ البدوي في ادخال تعديلات عليها باضافة لبنات اخرى ليصبح الحائط عاليا يحجب بيت الجار تماما . هذا السلوك الجديد للبدوي هو بمثابة وسائل يتخذها البدوي لمقاومة القيم التي لم يالفها ،فالعائلات التي تحيط بالبدوي المستقرقد لا تنتمي الى نفس العرش الذي ينتمي اليه ،كما قد تكون ليست من اصل بدوي تختلف عنه في العادات و التقاليد ،كما انه يكون كارد فعل عن الفضائح الجنسية التي تحدث من حين لاخر بين ابناء الجيران و هو ما لا يتفق مع تصورات البدوي فالعائلات البدوية فقدت سيطرتها على ابنائها الذين اصبحوا يقلدون كلما يرونه في جهاز التلفزة و المحيط الاجتماعي الذي يتواجدون فيه اماما و ضعية سكنية سيئة من حيث ضيقها و تقاربها من بعضها ،وغياب بعض الاولياء نتيجة اقامتهم في ورشات عملهم البعيدة . فان مثل هذه النتائج لا يمكن تجاهلها و لكن اذا كانت الجيرة حالية . لم تعد تؤدي دورها في الاتصال الاجتماعي بشكله الطبيعي المعهود فـانه توجد وسائل اخرى للاندماج الاجتماعي للبدوي المستقر في المجتمع الحضري هذه الوسائل توفرها المدنية نفسها كالمقاهي والشارع وايضا المسجد ،يظهر دور هذه الوسائل في الجدول التالي و الذي يوضح المكان المفضل للالتقاء بالزملاء و الاصدقاء وحتى الاقارب .

اماكن الاتصال الاجتماعي

جدول رقم (49) يوضح اماكن الاتصال الاجتماعي .

المكان اي مكان الالتقاء	المقهى		الشارع		السوق		البيت		المسجد		المجموع	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
العدد	43	31	12	9	58	41	.07	5	N20	14	140	100

ـ يوضح الجدول ان المقهى يعد مكان مفضل للالتقاء بالزملاء بالنسبة 31 % في حين يشكل مكان مفضل لذلك بالنسبة لـ 9 % وهناك 41 % يفضلون السوق للتحدث مع الاصدقاء . ولا يعد البيت ملتقى للاصدقاء لـ 14 % ومهما يكن ، فان المقهى يعتبر مكان مريح ليلتقي فيه البدوي المستقر مع افراد عشيرته للتحدث حول مختلف المصالح التي تخصهم والتي تزيد من استمرارية الروابط الاجتماعية البدوية القديمة اذ لا يمكن ان يمر يوما على البدوي المستقر الا ويكون قد تردد على المقهى بعد عودته من عمله . ولهؤلاء البدو المستقرين مقاهي خاصة بهم يلتقون فيها بشكل دائم اثناء اتصالنا بالمبحوثين ، كنا كلما بحثنا عن واحد منهم دلونا اهله على المقهى الذي يتردد عليها ، ويكاد يتعارفون داخل هذه المقاهي كل المترددين عليها ، فجلوسنا مع بدوي واحد سرعان ما نجد انفسنا محاطين بمجموعة اخرى من البدو . وداخل هذه المقاهي الغريب يكون ملفت للانتباه والكل يترصدونه بنظراتهم ويتسائلون عن هويته .

ويعد السوق ملتقى اوسع لا يشمل فقط البدو والمستقرين في المدينة وانما اولئك الذين لا يزالون يمارسون الحياة البدوية ، ومن ثم فان السوق ملتقى اعلامي وثقافي ، يتلقى البدوي المستقر الاخبار عن عشيرته البدوية كما يزودها هو بدورها بمختلف معطيات السوق الخاصة بالماشية بما في ذلك اسعار العلف والمناطق الرعوية .

كما ان السوق يؤدي دور ثقافي باعتباره يجمع جماعات اجتماعية مختلفة ينتشر فيها الطب الشعبي والمشعوذين الذين يجمعون حولهم الكثير من المترددين على هذه الاسواق تقريبا بشكل دائم خاصة كبار السن الغير مرتبطين بالعمل ، الى جانب الادوار السابقة للمقهى والسوق فانه لا تقل اهميتها فيما يتعلق بتشجيع الذين لا يزالون يمارسون البداوة على التخلي عن حياة الرعي والانتقال والاستقرار في المدينة . كما ساهمت من ناحية اخرى في تلاحم البدو ومقاومة الضياع حيث يوجد تكافل اجتماعي كبير بينهم ، فالموال المستقر في المدينة يجلب عدد من البدو للاستقرار حتى يتسنى له تشغيله لمصلحته ، فالخطوة الاولى استقرار مؤقت

وفردي اي يكون البدوي عامل اجير عند الموال ، والخطوة الثانية هي استقرار دائم وعائلي – مادام يجد من يقرضه ، ومن يوفر له العمل الماجور الدائم ، مادامت مراقبة البلدية للمحيط العمراني ضعيفا جدا نتيجة لوصول بعض البدو الى مراكز السلطة فان عملية بناء كوخ قزديري يبدو امر سهلا جدا .

– المدينة واستيلا بها للبدوي المستقر :

– ان البدوي وهو يمارس حياته بشكل طبيعي في مجاله الواسع السهوب او التل ، الوقت الكافي للراحة ، والتحدث للعائلة والاهتمام بحاجاتها ، والاشراف على توزيع الادوار داخلها ، فهو غير مقيد بوقت ولا تنظيم ، عمل صارم ولكن وهو يطا بقدميه المدينة فان نشاطه يصبح يخضع لتنظيم مفروض عليه ، فهل يجد البدوي المستقر متسعا لممارسة نشاطات غير تلك المتعلقة بالسعي وراء لقمة العيش ، وهو ما سوف نراه من خلال معطيات الجدول التالي :

– جدول رقم (50) يبين الانشطة التي يمارسها المبحوث خارج وقت العمل .

الانشطة	اعمال مختلفة		مشاهدة التلفزة		المطالعة		ممارسة الرياضة		ولانشاط		مجموع	
	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪
العدد	6	4	16	11	5	4	20	14	93	66	140	100

يتجلى من الجدول ان 4٪ نشاطهم خارج وقت العمل غير محدودة فاما نجدهم يمارسون حرف اضافية في البناء عند الخواص اوالاتجار في بعض السلع التي يكثر عليها الطلب في الاسواق المحلية ، او التحدث مع الاصدقاء في المقهى او الشارع بينما نجد 4٪ ايضا اوقات فراغهم يقضونه في المطالعة في مكاتب المسجد والمكتبة الشخصية في البيت ،

حيث نلاحظ ان البلدية كانت تحتوي على مكتبة ، لكنها اغلقت ابوابها ، وجل الذين يمارسون المطالعة هم من الطلبة ذوي المستوى الثانوي ، ولقد وجدنا من يهتم بشكل جدي بتاريخ قصر البخاري لكن انعدام المراجع والوسائل تثبط عزائمهم . وهناك فئة اخرى وهي تشكل 14 ٪ تمارس الرياضة في القاعة المخصصة للشباب والتي تقتصر على فئات معينة دون غيرها . بالاضافة الى قلة الوسائل بها ، فالقاعة تشبه مخزن الاثاث القديم المتراكم بداخلها ، بالرغم من تخصيص البلدية ميزانية معتبرة لفائدة الشباب ، فان المشاريع المسطرة لم تنفذ بعد وتبقى الرياضة الشعبية المتمثلة في كرة القدم هي المفضلة لدى هؤلاء الشباب ، فهي بالنسبة اليهم وسيلة لملاء الفراغ خاصة وان الدائرة لا تحتوي الآن على ملعب واحد وهو محتكر من طرف الفريق التابع للبلدية . اما الباقي من الشباب فيمارسون الرياضة بشكل فردي او جماعي خارج المدينة . كما يوجد 66٪ ممن ليست لديهم اي انشطة محددة ، ولقد حاولنا معرفة اسباب عدم ميلهم الى اي نشاط خارج العمل وقد كانت اجابتهم تنحصر في كثرة المشاكل اليومية وانعدام الوسائل فهناك حسب رأيهم اعمال هامة ينبغي التفكير فيها .

اذن فالبدوي المستقر لم يستفيد بعد من الخدمات التي توفرها المدينة فهو يعيش فعلا مهمشا ، ليست لديهم اوقات يمكن ان يستفيد فيها فكريا وجسميا ، فهو على الدوام يسعى لتامين عيشه وحاجيات عائلاته المتزايدة ، فالمدينة جردته من تلك المزايا التي كانت توفرها له الحياة البدوية ، كالتامل في الطبيعة ، وراحة الضمير نتيجة بساطة العيش والحاجيات معا فهو يعيش في ديمومة ، الهدف منها واحد هو اعادة تجديد قوة العمل وتوفير الحد الادنى من القوت لضمان البقاء ، وهذا ما ينطبق على البدوي حديثي الاستقرار .

اما الذين استقروا منذ فترة طويلة فقد اصبحت لهم تطلعات و طموح او سع حيث نجد البعض منهم توصلوا الى مناصب في السلطة داخل البلدية او الدائرة و مختلف المصالح الاجتماعية و الصحية . فما هي الطرق التي اوصلت هؤلاء الى هذه المراكز ؟ فالسلطة عند البدو لها معايير خاصة حيث تخضع للتدرج الاجتماعي الموروث — — عائلة الاشراف — او القوة للذين يملكون قطيع كبير من الماشية ، و عدد كبير من الابناء . لكن معيار السلطة في المدينة يخضع لمعايير الكفاءة و الشهادات و هذه تكاد تنعدم عند البدوي المستقر ، فالوسيلة الوحيدة للوصول الى ذلك هي توظيف عامل القبلية و القرابة لتحقيق ذلك وعليه تساءلنا عن مدى ممارسة البدوي المستقر للنشاط السياسي و هو ما يوضحه الجدول التالي :

— جدول رقم (13) يوضح فيما اذا كان البدوي المستقر يمارس النشاط السياسي ام لا .

ممارسة النشاط السياسي	نعم		لا		بدون اجابة		المجموع	
	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪
العدد	30	21	88	63	22	16	140	100

يوضح الجدول ان 21٪ يمارسون النشاط السياسي و 63 ٪ لا يمارسون النشاط الساسي في حين امتنع 16٪ عن الاجابة ، بالرغم من اننا لم نطرح السؤال بشكل مباشر و هو هل تمارس النشاط السياسي ، فقد حاولنا معرفة ممارسة المبحوث للنشاط السياسي بطريقة غير مباشرة بالاعتماد على عدة مؤشرات ، كانخراطه في الاحزاب السياسية و مدى تتبعه للاتجاه السياسي للبلاد . و موقفه من هذا الاتجاه ، لقد لاحظنا ان البدوي المستقر منذ مدة ،

الكثير منهم انظموا الى جبهة التحرير الوطني
مما مكنهم من الوصول الى مراكز السلطة في البلديات
التابعة لدائرة قصر البخاري ومن ثم فتح الباب امام
توطن البدو حيث تسارع عدد المستقرين في الفترة
الممتدة ما بعد 1972 (الاحصائيات الرسمية للبلدية)
ولكن هؤلاء الذين توصلوا الى مراكز السلطة ، نتيجة
نزعتهم القبلية التي وجهت تسييرهم للبلديات انعكس ذلك
على اوضاع البلدية الذي اصبح سيئا ، حيث حرم البدو والمستقرين
الذين لا ينتمون الى نفس العشيرة التي ينتمي اليها شيخ
البلدية ويلا حظ وجود وعي لدى الفئات المحرومة باللاتكافوء
بين السكان فالبدوي المستقر لم يعد همه الاستقرار فقط
في المدينة وانما تحسين ظروفه الاجتماعية كباقي افراد
المجتمع الاخرين باية طريقة كانت . وهذا يفسر لا جانب
من اسباب التخلي عن الحياة البدوية التي لم تحضى بمثل
ما حضيت به المدن وحتى الارياف .

المحـور الثانـي :

ـ البدوي المستقـر والماضي التاريخـي .

هل البـدوي بعد تخليـه عن الخيمـة والتنقـل . وتثبيـت مسكنـه قـد وضـع حـدا الاي عـلاقة قـد تذكـره بالماضي ، الاجابة عن هـذا التساؤل صعبـا جـدا ، فقـد رأينـا عند اختيـارنا للفرضيتين المتعلقتين بالتغيير عنـد الاباء والابنـاء وكذلك طبيعـة الصراع في التغيـر المـادي والقيمي ، لاحظنا وجود تباين،حيث لا يزال كبـار السـن من الابـاء يحتفظـون بالعادات والتقاليـد البدويـة في حيـن نـرى شبـه انسلاخ عـن هـذه العـادات من قبـل الابنـاء تحت تاثيـر وطـأة المجتمـع الحديـث الذي تعـددت وسـائـل تأثيـره كمـا رأينـا ان جـوانب التغيـر المادي اسـرع من تغيـر القيم التـي تتطـلب مـدة طويـلة جـدا ، فـيكفي وجـود هـؤلاء الشيـوخ حتـى يتذكـر الابـن تـاصـله الاجتماعـي ، وكذلـك تمسك والديـه بالمظهـر البـدوي في اللبـاس وبعض السـلوك كل هـذا يجعلـه على صيلـة بالعـادات البدويـة ، ولكن هـذه القيـم لا يمكـن ان تصمد لمـدة طويلـة ما لم توجد عوامـل اخـرى تذكـر فعـلا البدوي بما ضيه ووجـود ميـل ايضـا فعلي لـدى البـدوي نحـو هـذا الماضي ، للوقـوف على ذلك حاولنـا معرفة فيمـا اذا كـانت للبـدوي اتصالات مع اقـاربه من البـدو ونجمعنا المعطيات التاليـة :

ـ جـدول رقـم (52) يبيـن فيمـا اذا كان المبحـوث في اتصال مستمـر باقـاربـه .

الاتصـال	لا يوجد اتصال		اتصال في بعض الاحيـان		بانتظـام		المجمـوع	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
العـدد	41	29	83	59	16	12	140	100

كما هـو مبيـن في الجـدول فـان 29 % وضعـوا حدا لاتصـالهـم باقـاربهـم مـن البـدو وبينمـا يقوم 59% باتصالات محـدودة بعشيرتهـم البدويـة عـلى عكـس 12 % الذيـن يلتقـون باقاربهـم بانتظـام ،وهكـذا نلاحظ ان حنيـن البدوي المستقر الى ماضيـه

لم ينقطع بعد ، فالمناسبات تشكل همزة وصل بين الحياة الحضرية الجديدة لهؤلاء العائلات والحياة البدوية فهناك بعض المبحوثين الذين يقومون بقضاء بعض الايام في الخيام كل سنة في الموسم الذي تنتقل فيه عشائرهم الى المناطق المحاذية لقصر البخاري ، و تعتبر العائلات المستقرة من البدو معبر لاحق لاستقرار باقي افراد العشيرة عند الضرورة .

فالبدوي لا يريد ان ينسلخ كلية عن ماضيه البدوي ، هذا الماضي الذي يحمل عنه في مخيلته . الكرم ، وعزة النفس والشجاعة كما يشمل تاريخ العائلة . ولا غرابة اذا تعانقت الخيمة والشقة و تجاورت حتى ولو كانت لمدة قصيرة ، فقد نصب احد كبار البدو والمستقرين في منطقة عين وسارة خيمة بالقرب من مسكنه الجديد الفاخر لاستقبال اقاربه من البدو ، وقد رفع على الخيمة هوائي بسيط لجهاز التلفزة ، فهي صورة توضح على ان مثل هذه المدن عبارة عن تجمع سكني لمختلف الانماط البشرية بحيث يغيب فيها التحضر التام . فاستمرارية هذه الذهنية المحافظة على نفس العادات والتقاليد في المدينة بشكل عائق حقيقي لكل محاولة لتحضير هذه الفئات وادماجها في المجتمع الكلي خاصة وان عملية الادماج هنا تلقائية والتساؤل هنا يطرح حول ماإذا كان تمسك البدوي بماضيه ارادي يستعمل فيه اساليب المقاومة لأي ذوبان في المجتمع الحضري ، وهذا ما نحاول معرفته من خلال الجدول التالي الذي يبين موقفه من الحياة البدوية والحضرية .

– جدول رقم (33) يبين موقف المبحوث من الفرق بين الحياة البدوية والحضرية .

الفرق بين البداوة والمدينة	ظروف الحياة المادية		السلوك		هناك توازن بينهما		المجموع	
	التكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
العدد	76	54	40	29	24	17	140	100

يتضح من الجدول السابق ان 54٪ يرون ان الفرق بين الحياة البدوية و الحياة الحضرية في المدينة هو فرق مادي ، بمعنى اخر تتوفر المدينة على كل مستلزمات الحياة بما فيها مختلف الخدمات الاجتماعية كا لمستشفيات و المدارس ، و المياه و كذلك الكهرباء ووسائل النقل . كما انهم يرون ان المدينة تخلصهم من ارتباطهم بتذبذب الطبيعة التي كانت تسيطر على حياتهم و تجعلهم يجهلون مستقبلهم خاصة فصول الجفاف ، بينما يرى 29٪ انه الاختلاف بينهما يمكن في تباين السلوك ، ففي المدينة يغيب التكافل الاجتماعي و الخضوع لسلطة الكبير واحترامه ، و سيطرة الاب على ابنائه ، فيحيثما يوجد فيها ... الانحلال و الفردانية التي تطغي على الاشخاص في معاملتهم لبعضهم البعض ومع ذلك هناك 17٪ يرون انه يوجد توازن بين الحياة البدوية و الحياة الحضرية . فالبادية مع صعوبة مجالها الطبيعي توفر سلوك السوي و كذلك مع انحلال الروابط الاجتماعية في المدينة فانها توفر الرفاهية و الحياة السهلة .

ان من هذه المواقف يتبين على ان البدوي حلوله بالمدينة كان تحت التأثير المادي ، و هو مدرك للا خطار التي قد تصيب عاداته و تقاليده ، و لكن امام ذلك لا يجد الاختيار واحد هو التشبث بالبقاء بالمدينة مهما كانت العوائق و الصعاب مع مقاومة الانحلال الاجتماعي و لكن هذا الموقف نفسه تتحكم فيه عوامل اخرى فهل نفس الموقف نجده عند الشباب ، و هو ما سوف نعرفه في هذا الجدول التالي و الذي يوضح مدى تأثير السن في التمييز بين الحياة البدوية و الحياة الحضرية . ذلك ان الظروف و التنشئة التي وجد فيها مختلف فئات الاعمار تختلف ومنه فانه لكل فئة موقفها المبني على تصوراتها الخاصة للمجالين البدوي و الحضري .

جدول رقم (54) يبين العلاقة بين السن وموقف البدوي المستقر من الاختلافات بين الحياة البدوية والحضرية .

فئات الاعمار السن / الموقف	20 الى 30		31 الى 40		41 الى 50		51 سنة ومافوق		المجموع	
	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪
الظروف المادية	25	18	47	34	3	2	1	1	76	55
السلوك	1	1	4	3	25	18	10	7	40	29
هنات توازن بين البداوة والحياة الحضرية	7	5	13	9	2	1	2	1	24	16
المجموع	33	24	66	46	30	21	13	09	140	100

يتضح من الجدول ان الذين تتراوح اعمارهم ما بين 20 و 30 سنة هنات 18 ٪ يحصرون الفرق بين المدينة والبادية في للظروف المادية ، و 19 ٪ يحصرونها في السلوك اما 5٪ يضعون البادية والمدينة في كفة واحدة .

اما الذين تتراوح اعمارهم مابين 31 و 40 سنة هنات 34٪ يرون ان الفرق مادي بينهما و 3 ٪ يرون العكس فهم يركزون على الاختلاف في السلوك اما 9 ٪ يعتقدون ان لكل من المدينة والبادية سلبيات وايجابيات كما نلاحظ في الجدول ايضا ان الذين تتراوح اعمارهم ما بين 41 و 50 سنة يوجد 2٪ يركزون على الظروف المادية في التمييز بين حياة البداوة والحضرية اما 18 ٪ يرون ان الاختلاف كامن في السلوك لكن واحد 1٪ من هذه الفيئة يوازن بين النمطين من الحياة ، اما فئة الكبار السن اي اكثر من 51 سنة فواحد فقط يميز بين المدينة والبداوة من خلال الظروف المادية ، اما 7٪ فانهم يركزون على السلوك و 1٪ يرى ان هنات توازن بين البادية والمدينة لاحتوائهما على سلبيات وايجابيات معا .

اذا فان ما نلاحظه هو اختلاف في وجهة النظر بين الشباب وكبار السن حول الاختلافات بين الحياة البدوية والحياة الحضرية ، فكبار السن يهتمون اكثر بالجوانب المتعلقة بالقيم اي السلوك والتصرفات وطبيعة التعامل بين الاشخاص ، حيث يعيبون على المدينة ذلك نغفيها لاتحترم المعايير الاخلاقية حسب رايهم بينما يرى الشباب ان المدينة توفر كل ما يتطلبه الفرد من مستلزمات الحياة ، وهذا يؤكد مرة ثانية التغيير الحاصل عند الشباب فالاجيال التي تلي كبار السن يمكن ان تتكيف اكثر مع الحياة الحضرية اذ ما وفرنا لهم وسائل الاندماج السليمة التي يمكن توفيرها انطلاقا من مؤسسات التربية بمختلف انواعها وكذلك مؤسسات الاعلام المكتوبة منها والمسموعة والمرئية ايضا وذلك يدعم كل ما من شأنه ان يوجه السلوك نحو الفضائل كما يجب ان نجعل الشاب يدرك ان المدينة لا تنحصر فضائلها في الجانب المادي ولكن ايضا تشتمل على جانب القيم كتكامل الادوار واحترام النظام والقوانين وبالتالي احلال مثل هذه القيم الحضرية محل التصور الخاطىء الذي يحمله الاباء والابناء عن المدينة . وهذا كله من اجل ضمان اندماج اجتماعي سليم لهذه الفئة من المجتمع التي لا يمكن تجاهل وضعها وثقلها في المجتمع من حيث التأثير والتأثر .

نتـــائج البحـــث :

شهدت الحياة البدوية في السهول الجزائرية و صحرائها تغيرات هامة مست الجانب المادي منها و الاجتماعي على حد سواء الا ان البحث الميداني قد اظهر على انه يوجد اختلاف في تسارع التغير المادي و الاجتماعي ، ذلك ان الجانب الاول اكثر استجابة لعوامل التغير ، على عكس القيم الاجتماعية التي تبقى مصاحبة للبدوي اينما حل وارتحل . وفصلنا بين الجانبين لا يعني استبعاد وجود تاثير متبادل بينهما ، بل كل تغير في احدهما يستدعي رد فعل في الجانب الاخر الى ان هذا الرد تتفاوت درجاته حسب طبيعة المؤثر و مدى الاستعداد للاستجابة .

فالتغيرات الاولى التي هزت المجتمع البدوي بدأت مع دخول الجيوش الفرنسية الى الصحراء الجزائرية سنة 1912 ، واخضعوا المنطقة لنظام لا يتماشى مع النظام السائد بين اهالي المنطقة ، ذلك ان اول اجراء اتخذته فرنسا هو تقنين ملكية الارض و رسم حدودها فتقلص بذلك مجال المرعي الامر الذي دفع الكثير الى التخلي عن الحياة البدوية التي ترتكز اساسا على الاقتصاد الحيواني الذي يعد في اساسه تقليدي و لما اكتشفت المعادن و البترول في هذه المناطق ، زاد من وتيرة تخلي البدو عن حياتهم المعتادة ، و تمركزوا حول ورشات العمل التي اقامتها فرنسا ، و من ثم حولت البدوي من مالك لوسائل الانتاج الى مجرد عامل اجير لا يملك الى قوة عمله ، و بلغت ازمة البداوة ذروتها مع اندلاع الثورة سنة 1954 حيث تعرضت الثروة الحيوانية الى النهب و الدمار من قبل المعمرين ، و عليه يمكن تحديد عوامل اربعة اثرت بشكل كبير في الحياة البدوية وادت بممارسيها الى التخلى عنها قصرا و هي :

1 ـ تقنين ملكية الارض الذي ادى الى تقليص المجال المخصص للمرعي .

2 ـ دخول تكنولوجيا حديثة الى المنطقة لصالح المعمرين قضى على بعض الانشطة الاقتصادية التي كان يقوم بها البدوي ، فدخول الشاحنة الى الصحراء تابعه توقف البدو عن نقل البضائع الصحراوية

نحو الشمال او من الغرب الى الشرق والعكس اى نقل التمور وملح الطعام وكذلك الانتاج من الاصواف والجلود الحيوانية الى غير ذلك من السلع الهامة حيث استولى عليها المعمر .

3ـ اقامة ورشات مختلفة لاستخراج المعادن حيث حولت البدوى الى عامل اجير مرتبط بالورشة من الصباح الى المساء وكذلك استقراره بالقريب منها .

4ـ التغير باستخدام العنف والاستلاء على الثروة الحيوانية بالقوة وتعرضها للدمار نتيجة الحرب .

هذه الوضعية ورثتها الجزائر بعد الاستقلال : مجتمع تفككت بنياته وانهار اقتصاده وبدلا من توجيه العناية الى هذه الجماعات نجد القيادة السياسية توجه كل جهودها الى اعادة بناء المدن الكبرى وتركيز الخدمات فيها ، ثم الاهتمام فيما بعد بالارياف من خلال الثورة الزراعية ولم يحضى المجتمع البدوى باقتصاده الحيوانى باى اهتمام فقد تأخرت القوانين المنظمة لهذا القطاع مع مشاريعه الاقتصادية والاجتماعية الى المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية اى بعدما استفحلت الازمة البدوية للتى ازداد تفهقرها امام عامل الجفاف الذى اصاب السهوب الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة ثم امتد الى المناطق التلية فى السبعينات . وامام هذا التفهقر نلاحظ تسارع فى وتيرة استقرار البدو فى المناطق الحضرية حيث شكلت مدينة قصر البخارى احد هذه المناطق حيث عرفت موجة من الهجرة البدوية باعتبارها منطقة توسط الشمال الساحلى والسهوب الصحراوية وكذلك الشرق والغرب الجزائري . فمدينة قصر البخارى تشكل القاعدة الاساسية فى الاتصال بين البداوة والحياة الحضرية فى المنطقة الوسطى للجزائر . حيث تحيط بها مناطق رعوية هامة : كالاغواط وجلفة وعين وسارة وقصر الشلالة بالاضافة التجمعات السكنية الشبه بدوية بالنسبة لبلديات البواغيش وبوقزول وكذلك الشهبونية فهذه المناطق تعتبر مناطق انتقال من الحياة البدوية الى الحياة الحضرية فى المدينة حيث زودت الاحياء المحيطة بمدينة قصر البخارى بهجرات عديدة من البدو ونحوها .كما ساهمت فى توسيع العمران فى قصر البخارى واقامت احياء جديدة فى أطرافها .

ـ انعكاسات استقرار البدو على المجال الرعوى :

لقد ادى استقرار البدو فى مدينة قصر البخارى الى تحول عميق فى المجال

الرعوي و الاكولوجي للمناطق المحيطة بالمدينة و التي كانت الى زمن غير بعيد مورد اقتصادي هام ، يتكامل فيه القطاع الزراعي و الحيواني ، ذلك ان هجرة البدو الصيفية نحو التل كان يساهم في تمويل ملاك الاراضي في هذه المنطقة باليد العاملة حيث ان البدوي كان يغتنم فرصة تواجده في التل حيث تتاح له فرصة الاستقرار لفترة طويلة نوعا ما في العمل في الحصاد من اجل كسب الاموال التي تسمح له من شراء حاجياته من لباس وشاي ومختلف الاغذية ، كما تسمح لماشيته من الاستفادة من بقايا الحقول بعد حصادها .

كما تعرضت الاراضي السهبية بالمنطقة الى اختفاء الغطاء النباتي الذي كان يشكل احد اهم المراعي المفضلة للبدو حيث لم يعد هناك من يعمل على تجديد هذا الغطاء النباتي خاصة بعد تدخل الدولة و تخصيصها لمشروع التشجير فقامت بحرثها وغرس بعض الشجيرات في مناطق محدودة لتترك فيما بعد لرحمة الطبيعة ، فلا هي اهتمت بها و لا هي تركت حرية الرعي للبدو ، فاصبحت هذه الاراضي معطلة اقتصاديا ، تزداد وضعيتها سوءا يوما بعد يوم حيث يصعب اليوم استصلاحها و تحويلها الى اراضي زراعية او رعوية . حتى ان التحركات الاخيرة التي قامت بها الدولة اتجاه تشجيع مربي الماشية في هذه المناطق اتت متاخرة فالذين منحت لهم القروض على اساس تجديد قطعانهم من الماشية و تربيتها بشكل تعاوني او فردي . فهؤلاء بمجرد تسلمهم للمبالغ المالية ، انفقوها في مجالات ، ليست لها اي علاقة بتربية الماشية ، حيث اشترى اغلبيتهم سيارات من اجل العمل بها في النقل الذي اذر عليهم ارباح طائلة في غياب وسائل النقل العمومية ، ومن ثم امكانية ارجاع المبالغ المستلفة الى بنوك الفلاحة بعد استثمارها في و سائل النقل هذه ثم الاستقرار النهائي في المدينة . ولقد ترتب على هذا الاستقرار انعكاسات على نمط حياتهم سواء اكان ذلك على مستوى القيم او الجانب المادي .

/ب/ ـ التغيرات على المستوى المادي :

السكن: ـ تظهر اولا بوادر التغير الذي احدثه استقرارهم في المسكن الذي يتحول من الخيمة البسيطة والمتنقلة الى بيت قصديري ثابت على شكل زريبة سرعان ما يتدعم في فصل الشتاء بالصفائح القصديرية حتى يقاوم قساوة الشتاء وعواصفها ، وعامة نلاحظ ان الاماكن التي يختارها البدوي للاستقرار ، فاما ان تكون بالقرب من منابع المياه كما هو الحال بالنسبة لمنطقة بوقزول حيث استقر عرش عبدات 1881 وكذلك اولاد شريف وبوجلال . وبالاضافة الى عشائر اخرى كالزناخرة والبواعيش كما يكون استقرارهم بالقرب من اضرحة الاولياء الصالحين مثلما هو الحال بالنسبة لعشيرة المفاتحة واولاد عنتر واخيرا يكون توطنهم على اطراف المدينة كعرش بن عالية وبعض العائلات من اولاد عنتر والزناخرة . وتخضع هذه التجمعات السكانية الى الوحدة العشائرية اذ يمثل كل حي وحدة اثنية تختلف عن الاخرى ، وهذا ما ساعد هؤلاء البدو من مواجهة طبيعة الاقتصاد السائد في المدينة والذي هو في اساسه استهلاكي فعائلة البدوي لم تعد وحدة منتجة يساهم كل افرادها في النفقات فبفضل استقرارهم الجماعي استطاعوا تحقيق نوع من التكافل الاجتماعي ، ذلك ان عملية بناء المسكن يتعاون فيه كل الاقارب وهذا مايفسر نمو الاحياء بشكل سريع حيث لا يستغرق اقامة بيت من القطدير او من الطوب والحجر الا ايام قليلة بل ان البعض منها تم في ليلة واحدة حتى لا تتدخل السلطات المحلية مادام بداخلها عائلة .

كما سمح الاستقرار الجماعي في المناطق الحضرية من الصمود اكثر امام القيم الجديدة التي تنظم حياة المدينة فقد لوحظ ان 61% من المستقرين كانوا قبل ذلك يقيمون عند اقاربهم اثناء حلولهم بمدينة قصر البخاري سواءا كعمال موسميين او كزوار ، وهذ يوضح الدور الذي لعبه الاقارب في تشجيع هؤلاء على الاستقرار بجوارهم ، كما انه 77% من الذين استقروا قبل الاستقلال كانت هجرتهم جماعية الى هذه المدينة ومن ثم مهدت لهجرات اخرى يغلب عليها الطابع الفردي ، فهؤلاء سمحت لهم الظروف من تجديد ثروتهم واصبح البعض منهم مواليين كبار يتعاملون مع الجماعات البدوية من خلال شراء قطعانهم واعادة بيعها في الاسواق وكثيرا ماساهم هؤلاء في تثبيت العديد من العائلات البدوية التي تشتغل لصالحهم كرعاة او سائقي شاحنات

و بالرغم من توصل بعض البدو الى بناء مساكن حديثة فقد اخذت هذه الاخيرة من الشكل العمراني الحديث مظهره الخارجي فقط بحيث استبدلت الخيمة بمسكن ثابت الا انه قد احتفظ بالاستعمال الداخلي للبيت بشكل يتماشى مع تصوراته ومعتقداته البدوية فهو اذن امتداد للخيمة .

ـ الشغل :

لم يعد البدوي مرتبط بما تجود به الطبيعة ، فقد تمكن من الحصول على اجر مقابل عمله بشكل مباشر ومحددا . بمقدار . وفي زمن الحصول عليه ، الا ان عائلة البدوي التي كانت تساهم بالقسط الكبير في تخفيض النفقات من خلال ما تنتجه فقد اصبحت عائلة يغلب عليها الطابع الاستهلاكي حيث تزايدت حاجياتها الامر الذي دفع بالبدوي الى تكثيف نشاطه و ممارسة عدة حرف ثانوية ، وذلك خارج عمله الاساسي ولقد تبين ان البدوي يفضل مهن دون اخرى ، حيث نجد نسبة 41 ٪ يشتغلون في الشركات الصناعية ، و الاشغال العمومية كحارسين او بوابين و 14 ٪ فضلوا التجارة و 11 ٪ اتجهوا الى السياقة . ان طبيعة هذه المهن تتطابق مع تصورات البدوى وماضيه فهو الذى كان يفرض حماية على الحضر . كما ان اجدادهم الذين كانوا يسيطرون على تجارة الصحراء وقيادة قوافلها هذا من جهة ومن جهة اخرى اهم ما يميز هذه المهن هو كونها غير انتاجية ، خاصة تلك المتعلقة بممارسة التجارة المتطفلة من طرف ابناء البدو المستقرين فقد اضروا باقتصاد المدينة وساهموا في ندرة السلع في الاسواق العمومية وارتفاع اسعارها نتيجة شرائها واعادة بيعها فتجار السوق السوداء ينتشرون في كل اطراف المدينة ولقد لوحظ ايضا ان البدوى قليل الاستقرار في الزراعة والاعمال اليدوية فهذا النوع من العمل منبوذا لديه ولا يشتغل فيها الا عند الضرورة ولفترة محدودة جدا لذن حتى ولو غير البدو نشاطهم الاقتصادى فانه يأخذ تصوراته اتجاه المهن من جذوره التاريخي . كما ترتب عن استقرار البدوى وتحوله الى عامل اجير تغير في طبيعة استهلاكه فبعدما كان يكتفي بالضروريات من المواد الغذائية التي يوفرها له اقتصاده الرعوى اصبحت حاجياته متنوعة وتتزايد يوما بعد يوم حيث ان الميل الى التقليد المجتمع الحديث فيما يتعلق ... ببعض الجماليات الخاصة باثاث التزيين قد انتشرت لدى اغلبية البدو المستقرين في قصر البخارى ، ويعتبر اغلبيتهم ان امتلاك اثاث التزيين متوقف على القدرة الشرائية للفرد وايضا مدى وجود مثل هذا الاثاث في

الاسواق وهو ضروري للبيت . وعليه فان نفس الميل الذي
نجده عند البدوي الذي يجوب الصحراء اتجاه تزيين خيمته
بالالوان و بالاعتماد على مايوفره له المحيط الطبيعي و الاجتماعي
ينتقل معه الى المدينة لكن اثاث التزيين هذه المرة يختلف في
نوعه و مصدره فقد اصبح اثاثا متنوعا و مستهلكا من الاسواق كما
تظهر عليه علمات تاثير الاحتكاك بالعائلات الحضرية و مشاهدته في
التلفزة فهناك بعض العائلات تملك اثاث تزيين مستورد امن
اوربا و يخصص البدوي لا قتناء مثل هذا الاثاث اموالا مكلفة جدا تكون على
حساب نفاقات المواد الاستهلاكية الضرورية . وهذا يعني ان استفادته
من رفاهية المدينة كان على حساب نفاقاته العائلية الضرورية و من
ثم لا يعد امتلاكه لاثاث التزيين الثمين مؤشرا لرفاهية البدوي
المستقر كما انه لم يؤدي الى احداث تغيير في قيم البدوي بحيث انه
يرفض استعمال تلك التي تتناقض مع تصوراته و معتقداته .

ومن جهة اخرى فقد استفاد البدوي بشكل متفاوت من التكنولوجيا
الحديثة ، فجهاز الراديو و التلفزة اصبح يمتلكه كل البدو المستقرين
حتى تلك العائلات التي لم يصل بيوتها الكهرباء ، وقد احدث هذا الاخير
تاثيرا واضحا على حياة البدوي فبعدما كانت عائلته تسهر ليلا مجتمعة
حول كبيرها سنا لتستمع لبعض الحكايات الشعبية او تجاربه و امجاد
القبيلة ما فقد اصبحت تجتمع امام جهاز التلفزة الذي دخل بيوتها
و اصبح مصدرا لبعض السلوك . ولكن هذا لا ينفي وجود مقاومة
داخلية اتجاه هذا الجهاز ، فلا يمكن بحال من الاحوال ان تشاهد
البنت التلفزة في حضور ابيها او اخواتها الذكور في نفس البيت ،
كما ان كبار السن نادرا ما يشاهدونه حيث انه يختررون نشرات الاخبار
وهم مهتمين بشكل كبير بالوضع السياسي الداخلي و الخارجي
اما الشباب فان مشاهدتهم للتلفزة دائمة و منظمة .

هذا و نجد تناقص في امتلاك بعض الماديات الاخرى
الاكثر ندرة وغلاءا كالثلاجة و السيارات و الشاحنات ، بحيث ان ظروف
البدوي المستقر لا تسمح بمتلاكها فاسعارها ترتفع باستمرار في حين
اجرته الشهرية تبقى مجمدة لفترة طويلة .

- اللبـــــــاس :

ومـن مظـاهـر التغير المادي تفضيل ابناء البـدو اللباس العصـري الاروبي الـذي انتشـر بشكـل واسـع بينهـم ، بل ان اغلبيتهم يحرصون على شـراء اخـر ما يستـورد منهـا من الخـارج وذلك بالنسبـة للجنسين معـا . الا ان كبـار السن لا يزالون يحتفظـون ببعض مظاهـر اللبـاس البدوي التقليـدي خاصـة الشـاش والبرنـوس او القنابـة فهمـا اخـر مـا يتخـلى عنهـا البدوي المستقـر لانهـا تمثـل الرمـز الاخلا قـي للبـدوي وتمسكـه باصالتـه .

وهكـذا نجد انـه بالرغم من ان التغير المادي لحـياة البدو كان سريعـا وشمل كل جـوانب حياتـه من سكـن وشغـل واثـاث وكذالك اللبـاس فـان هـذا التغيـر خاضعـا في بعض جوانبـه للعادات والتقاليد البدويـة كمـا انـه يوجـد تفـاوت بين استجابـة كبـار السن والشبـاب لهـذا التغـير فكبـار السن مترددين ويظهرون مقاومـة ازاء اي تغيـر حتى بين ابنائهـم ، وعليـه فانـه مع صـدمة المجتمـع الحديث تظهر حاجيات جديـدة عنـد البـدوي المستقـر .

مظاهر التغير في مجال القيم .

يبدو على انه من السهل ان تظهر بوادر النزعة الاستهلاكية للمظاهر المادية الحضرية عند البدوي، لكن يصعب جدا ان يتخلى بسهولة عن قيمه مقابل استهلاك القيم الحضرية . ذلك ان مسار التغير في هذا الجانب يعيقه عدة عوامل مما ينتج عنه تناقض بين المظاهر المادية وبين الكيفية التي يتعامل بها البدوي مع هذه المظاهر، حيث توجه سلوكه قيم بدوية بطيئة التغير ويعود ملازمته عاداته وتقاليده القديمة له الى ما بعد استقراره الى توفر نفس الظروف التي كانت تحيط بحياته البدوية الاولى فالتجمعات السكنية التي يتواجد ضمنها تنتمي الى نفس العرش، كما ان العائلة الممتدة بالرغم من فقدان الاولياء السيطرة على ابنائهم مازالت تشكل همزة وصل بين الحياة البدوية التي عايشوها وبين الجيل الجديد الذى لم يمارس البداوة . ومن ثم نلاحظ تحكم الزواج الداخلي في حياة الشباب فهناك ٨٣٪ تجمعهم بازواجهم علاقة قرابية (اي ابنة عم او عمة) مع ذلك تظهر تغيرات على مستوى القيم المنظمة للزواج خاصة فيما يتعلق بظاهرة تعدد الزوجات نلاحظ كل الشباب عن هذه الظاهرة في حين يتمسك بها كبار السن المنتمين الى الفئة الغنية ، ويعود هذا التقهقر في هذه الظاهرة الى العوامل الموضوعية التي اصبحت تؤثر على حياة الشباب كالسكن و انخفاض مستوى المعيشة وتاثير الوسط الحضرى في حين لا يزال يطغي على ميل البدوى للانجاب القيم التقليدية التي تمنع تدخل الانسان في تحديد او تنظيم النسل ، فعدد الابناء يحدده الله ولا دخل للانسان فيه ولذلك لم نجد من بين المبحوثين من يستعمل الارشادات الطبية في تنظيم النسل

التنشئة الاجتماعية :

على مستوى التنشئة الاجتماعية فان ابن البدوى المستقر يعاني من التناقض الموجود بين ما يتعلمه من عائلته التي لازالت متمسكة بالقيم البدوية وما تلقنه له المؤسسات الاجتماعية الجديدة كالمدرسة و اجهزة الاعلام و الوسط الاجتماعي الحضاري ، وقد انعكس هذا التناقض سلبيا على سلوكه و تصرفاته و مستوى تحصيله المدرسي و اخطر نتيجة لهذا الوضع هو فشل الاولياء في التحكم في ابنائهم الامر الذي جعلهم عرضة للاهمال و الضياع - بالرغم من طموح البدوي من ان يصبح ابنه حاملا لشهادات عليا تمكنه من الحصول على وظائف و سكن يرفع بها مستوى معيشته العائلية و يساهم في ضمان استقرارها

بشكل نهائي ، ولقد اقتصر هذا الطموح على الذكور فقط في حين ابعدت الاناث حيث يتناقص عددهن كلما ارتفع المستوى التعليمي ينعدم تواجدهن في المستوى الجامعي ، وهنا يظهر بوضوح تحفظ البدوي وتردده ازاء تعليم البنت .

الضبط الاجتماعي والمعتقدات

اما فيما يخص الضبط الاجتماعي فان هيمنة الاب على الاسرة وانتقال السلطة الى ابنه الاكبر لم تتغير كما ان معايير العقاب في تقويم سلوك الابناء لازالت تعتمد على الضرب ويبدي البدوي المستقر تشديد كبير فيما يتعلق ببروز بعض الظواهر التي لم يالفها في حياته البدوية ، كالسهر ليلا او تعاطي الخمر والمخدرات والاتصالات الجنسية اللا شرعية ، فقد تصل العقوبة الى الطرد من البيت فشرف العائلة وعرضها من المسائل التي لا يمكن ان يتغاضى عنها البدوي ، نفس هذا التمسك يظهر في المسائل المتعلقة بالمعتقدات والطقوس الدينية فبالرغم من تخلي الشباب عن البعض منها فان كبار السن يحافظون عليها حيث يظهر مثلا تأثير الاعتقاد في الاولياء بوضوح في توجيه الحياة الاجتماعية ذلك ان الجماعات البدوية المستقرة يسلكون مسلكا لا يؤدي الى اغضاب اي ولي من الاولياء وهكذا نجد ان البدوي يصعب عليه محاولة التخلي عن معتقد معين حتى ولوكانت لديه ادلة عن عدم صحة المعتقد .

واهم ما يمكن ان يحدد لنا مدى اندماج البدوي هو قدرته على احاطة نفسه بعلاقات مع غيره فالبدوي مطالب بانشاء علاقات مضعفة مع محيطه الاجتماعي الجديد ، حتى يضمن اندماجه بشكل اسرع ، لقد كان ذلك ممكن بالنسبة للبدو الذين كان استقرارهم قبل او بعد الاستقلال بفترة قصيرة بحيث كانت الاحياء تضم اعداد قليلة من السكان تتعارف فيما بينها . اما في الفترة الاخيرة التي شهدت فيها مدينة قصر البخاري هجرات مكثفة ومتنوعة ادت الى سيطرة الفردية والانغلاق على الذات واختفاء الثقة المتبادلة بين السكان ، وامام هذا الوضع يلجأ البدوي المستقر الى اساليب اخرى للاتصال بافراد

مجتمعه الاصلي (عشيرته) فالمقهى والسوق يعدان افضل الاماكن لهذا الاتصال الذي يأخذ بعد اجتماعي واقتصادي يساهم في ربط البدوي بعشيرته البدوية من جهة ويمهد لهجرات جديدة من جهة، كما يدعم استقرار البدوي من خلال ما يتلقاه من نصائح ومساعدات من ابناء عشيرته الذين استقروا قبله .

اذن على ضوء ما سبق فان استقرار البدوي في المدينة لا يعني بحال من الاحوال انه قد وضع قطيعة بينه وبين ماضيه التاريخي كما لا يعني ايضا انه اصبح حضري . فحياته في المدينة تعتبر امتداد لما الفه في حياته البدوية ، ولذلك فيبدلا من ان تتغير سلوكه وقيمه حتى تتماشى مع تلك الموجودة في المدينة فقد اعطى لهذه المدينة نمط شبه بدوي بكل ما يحمله ذلك من سلبيات فلا هو احتفظ بطابعه البدوي ولا هو استفاد ماديا وحضريا من استقراره في المدينة .

البيبليوغرافيا المراجع

1) المراجع بالعربية :

1 ـ أحمد أبو زيد ، طرق البحث في المجتمعات البدوية ، بحث ألقي في ندوة البداوة في الوطن العربي المنعقد بمدينة بوسعادة ، الجزائر ، 1983 .

2 ـ أحمد الخشاب ، سكان المجتمع العربي ، دراسة تكاملية ، دار المحامي للطباعة ، بدون تاريخ .

3 ـ سامية حسن الساعاتي ، الثقافة والشخصية ، بحث في علم الاجتماع الثقافي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط 2 ، 1983 .

4 ـ صلاح مصطفى الفوال ، علم الاجتماع البدوي ، القاهرة ، دار نافع للطباعة ، 1974 .

5 ـ صلاح مصطفى الفوال ، البداوة العربية والتنمية ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1967 .

6 ـ علي عيسى عثمان وآخرون ، أبحاث في برامج تنمية المجتمع البدوي في البلاد العربية ، سرس الليان ، 1962 .

7 ـ لويس كامل مليكة ، قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، المجلد الثاني ، 1970 .

8 ـ محمد السويدي ، بدو الطوارق ، دراسة سيوسوانثروبولوجية في التغير الاجتماعي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 .

9 ـ محمد عاطف غيث ، دراسات في علم الاجتماع القروي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1967 .

10 ــ محمد عاطف غيث ، دراسات في المجتمعات البدوية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1967 .

11 ــ محمد عبد المنعم نور ، الحضارة والتحضر ، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الاولى ، 1970 .

12 ــ محمد عبده محجوب ، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، بدون تاريخ .

13 ــ محمد علي محمد ، علم الاجتماع والمنهج العلمي ، دراسة في طرائف البحث وأساليبه ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ، 1983 .

14 ــ محمد علي محمد وآخرون ، دراسات في التغير الاجتماعي ، الاسكندرية ، دار الكتب الجامعية ، 1974 .

15 ــ محي الدين صابر ، المستوطنين ومشروعاته ، في مكي الجميل ، البدو والبداوة مفاهيم ومناهج ، سرس الليان ، 1966

16 ــ مكي الجميل ، البدو والبداوة في الوطن العربي ، سرس الليان ، 1962 .

17 ــ نبيل صبحي حنا ، المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي ، دراسة ميدانية ونظرية ، القاهرة ، دار المعارف ، ط 1 ، 1984 .

18 ــ نوري خليل البرازي ، البداوة والاستقرار في العراق ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1969 .

2) المراجع المترجمة الى العربية :

19 ــ ارنولد توينبي ، تاريخ البشرية ، ترجمة نقولا زيادة ، بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع ، 1985 .

20 ــ عبد الغني مغربي ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 .

3) المراجع باللغة الاجنبية :

21 - ALTCUF (R) " Nomadisme et Sédentarisation en EL HOGGAR " Colloque International Alger, Institut de Santé publique, 1969. PP - 125 - 131.

22 - AUGUSTIN ([illegible]) " L'évolution du Namadisme en Algerie " Imprimerie orientale, pierre fantana, 19[illegible].

23 - AWAD (Mohamed), le Nomadisme dans les pays du moyen Orient, Colloque International sur les problémes de la Zone Aride, Paris, UNESCO, 1960, PP - 357 - 358.

24 - BADUEL (Pierre Robert) le Défit salarien, dans l'enjeu salarien, table ronde de CRESM, Alger, C.N.R.S. 1984 - PP - 13 - 19.

25 - BERNARD (J.P), Paturages, Nomadisme et transhumance en zone sahelienne, recherche sur la Zone Aride, acte du colloque de paris, UNESCO, 1962.

26 - BONNEFNE (Y), contribution à l'étude des pasteurs nomades ARBAA, (Maison dédition non citée) 1962.

27 - BRICOL ([illegible]), l'habitat des nomades " Travaux de l'institut des recherches sahariennes, Alger , 1957.

28 - BOUKHOBZA (M) , l'agropastoralisme traditionnel en Algerie, Alger, O.P.U, 1982.

29 - BRIGGS (L.C), climats et adaptation humaine au Sahara, colloque internatio--nal de biologie des populations saharienne Alger, 1969, PP - 75 - 83.

30 - BURRI - (F) , le Nomadisme dans les montagnes et sur les hauts plateaux de l'asie du sud, colloque international sur les problémes de la zone Aride Paris, UNESCO, 1960 - PP - 369 - 385.

31 - C[illegible] - (Roy), Etat actuel du nomadisme au Sahara, recherche sur la zone Aride, PP - 329 - 393.

32 - CHELLIG (Rabah), la vie du pasteur et du fellah, Algerien, association pour le développement du pastoralisme, Alger, AARDES, 1978.

33 - CHOISEL (M.D) et autres, Adaptation du nomadisme pastorale à des stru--ctures modernes, étude de deux communes des hauts plateaux sudoranais, maheria et le Biod, Alger, CENEAP, 1975.

34 - CORNEILLE, Les chaamba leur nomadisme, Paris, C.N.R.S. 1962.

35 - FANON FRANTZ, Sociologie d'une révolution, Paris, Maspero 1968.

36 - HAKEM (R), Elements pour une économie politique du nomadisme précolo--nial en Algerie, These de doctorat 3éme cycle Alger, ains - Sciences économiques, 1984.

37 - HENNES (Noves), Elevage et agriculture, dans étude pastoralisme [illegible] El Biod et Macheria, Alger, AARDES , 1978.

38 - ISTA[illegible]DOUL (Jean) , monographie de Ksar El Bokhari (sans renseignement).

39 - LEHURAUX (Léon), ou va le nomadisme en Algerie, Alger, Baconnier, 1948.

40 - Montagne, Robert, la civilisation du desert, nomade d'orient et d'afrique, Paris , Hachette.

41 - Pelligra Daniel, Nomadisme Touggourt, Algerie, These 3ème cycle, Paris VI , 1979.

42 - ROMEY (Alain), les said Atba de N' Goussa (Histoire et état actuel de leur nomadisme) , Harmattain, 1982.

43 - Sagne (J), l'algerie pastorale son passé, ses origines, sa formation son present son avenir, Alger, édition Fantana, 1950.

4) المقــــالات بـــالاجنبيـــــة :

44 - CAPOT (Rey), le mouvement de la population dans les territoires du sud Algerien, in revue africaine 2ème, 3ème Trimestre, Alger, 1946.

45 - DESPOIS (Jean), la fixation des nomades dans la steppe de la tunisie orientale, in revue africaine n° 362 - 367 , 1955.

اســتـمــــارة الــبـحـــث

- الجنس: ذكر انثى / العمر
- المستوى العلمي : امي ابتدائي متوسط ثانوي جامعي
- اسم العرش او الفرقة المنتمي اليها : ....
- الحالة العائلية : اعزب متزوج

1- سن الزواج : ....
2- نوع القرابة التي تجمع بين الزوجين : ....
3- من الذي اختار لك الزوجة : بنفسك والديك اقاربك
4- ماذا اشترط لك في المهر ؟ ....
5- هل تفضل العيش بعيدا عن والديك ؟ نعم لا
6- كم طفل تفضل ان يكون لديك ؟ ....
7- هل تسمح لزوجتك العمل خارج البيت ؟ نعم لا
8- من ينوب عن الاب عند غيابه ؟ ....
9- ماهي الطريقة التي يتم بها الزواج : ....

....

10- ما هي المواضيع التي لا يمكن ان تناقشها مع ابيك او امك ؟

....

....

1- 11- ماهي الحالات التي ينبغي ان يتزوج فيها الرجل اكثر من واحدة ؟

....

1- 12- ما هي الاخطاء التي ينبغي ان يعاقب عليها الاولاد ؟ : ....

....

1- 13- من الذي يعاقب ؟ : ....
1- 14- ما هي طبيعة العقاب ؟ : الضرب . التانيب . حرمانه من بعض المزايا
1- 15- هل سبق لك ان زرت اضرحة الاولياء ؟
لا في بعض الاحيان مرارا

2- 1- كيف كان اتصالك الاول بقصر البخاري
كتاجر كزائر بالبحث عن الشغل
2- 2- اين كنت تقيم عندما كنت تتردد على قصر البخاري ؟
الفندق عند الاقارب باماكن اخرى
2- 3- هل استقريت لوحدك ام مع افراد اخرين ؟ نعم لا
2- 4- هل حاولت شراء قطعة ارض ؟ نعم لا
2- 5- هل تقدمت بطلب سكن ؟ نعم لا
2- 6- متى كان استقرارك ؟ قبل 1962 ما بين 1962 و 1972 بعد 1972
2- 7- طبيعة السكن الذي تملكه هل هو ؟ تقليدي من الطين والحجر
الاسمنت

.../...

2ـ 8ـ ما هي المسافة التي تفصل بين مسكنك والمدينة ؟ . . . .
2ـ 9ـ كم غرفة لديك ولمن هي مخصصة ؟ . . . .
. . . .

3ـ 1ـ هل تملك : مذياع   تلفزة   ثلاجة   دراجة نارية   سيارة
شاحنة

3ـ 2ـ اثاث التزيين الذي تملكه هل هو : مصنوع يدوي في البيت
مشتري من السوق

3ـ 3ـ اللباس هل هو : تقليدي   عصري

4ـ 1ـ ما هي الاعمال التي سبق لك ان مارستها ؟ . . . .
4ـ 2ـ ما هي مدة استقرارك في كل شغل ؟ . . . .
. . . .

4ـ 3ـ الشغل الحالي : فلاح   عامل في المصنع   عامل في قطاع الخدمات
اشغال حرة   تاجر

4ـ 4ـ ما هي المشاكل التي تعاني منها في اعمالك ؟ . . . .
. . . .

4ـ 5ـ الاموال التي تدخرها هل هي من اجل : مواجهة الحالات الطارئة
لتنفيذ مشاريع   لاقتناء بعض اشيا التنمية

5ـ 1ـ اين تلتقي باصدقائك ؟ في المقهي   في الشارع   في السوق
5ـ 2ـ هل تتبادل الزيارات مع جيرانك ؟ لا   في المناسبات   دائما
5ـ 3ـ هل انت عضو في احدي الجمعيات ؟ نعم   لا
5ـ 4ـ ما هي الانشطة التي تمارسها خارج وقت العمل : . . . .

6ـ 1ـ ما هي المزايا المدرسة ؟ تربية الابناء   الحصول على شهادات تسمح
الحصول علي شغل   التعلم

6ـ 2ـ هل يمكن ان تؤدي الاسرة نفس الدور الذي تؤديه المدرسة ؟ نعم   لا
6ـ 3ـ ما هو المستوي الذي ينبغي ان تكتفي به البيت ؟
ابتدائي   متوسط   ثانوي   جامعي

6ـ 4ـ ما هو المستوي التعليمي لابنائك . . . .
. . . .

7ـ 1ـ ما هو الفرق الموجود بين الحياة البدوية والحضرية ؟ . . . .
7ـ 2ـ هل تزور اقاربك في البادية ؟ لا   بعض الاحيان   بانتظام
7ـ 3ـ هل تحكي لابنائك عن الحياة في البادية نعم   لا

فهرس الجداول الاحصائية